

أبو حسن
الشاذلي

عبد العزيز
الدباغ

عبد القادر
الجيلاني

أحمد
الدباغ

ابن
مشيش

مدراج الفلاح
في معرفة أصناف الشيخ الفتاح

خادم المنهج النبوي
عزيز الكبيطي إدريسي الحسني

المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية و الجمالية

IACSAS

The International Academic Center of Sufi and Aesthetic Studies

منشورات المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية و الجمالية



الكاتب: عزيز الكبيطي إدريسي الحسني

منشورات: المركز الأكاديمي الدولي للدراسات الصوفية والجمالية

رقم الإيداع القانوني:

ردمك: ISBN :

الطبعة: الأولى / سنة: 2021م/ 1442ه

التواصل الإلكتروني: iacsas1@gmail.com

التواصل الهاتفي: 00212666295984



- إلى روح كل ولي والاه الله فعاش حياته داعيا الى الله.
- و إلى روح كل شيخ أفنى حياته في تربية خلق الله.
- والى روح كل مرشد مأذون أعان الأرواح على اللقاء.
- وإلى روح كل مريد متشوق طالب محب يريد الله.

مقدمة:

باسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على نبيه المصطفى الأمين..

اللهم صل على محمد الفتح الفتاح، والفاتح لكل مغلق، والميسر لكل عسير،

اللهم صل على محمد المرشد المربي والحافظ لحقوق الله.

بإذن الله تعالى وبإذن رسوله ﷺ وبإذن الأولياء والمشايخ الكرام نشارك هذا الفيض العميم والنعمة العظيمة مع كل من أراد السلوك إلى الله وتاه في التعدد واختلطت عليه الطرق والمسالك في زمن أصبح الباطل يَدَّعِي الحق ويظهر المعرفة والصحيح يختبئ في الجهل وينطوي في السريرة.

وبرحمة من الله تعالى أن وجهنا لنوره وحكمته ومعرفته لنوضح للمريد السالك وجه الحقيقة ووجه الشريعة في أول مفتاح يحتاجه للوصول وهو الشيخ الفتاح الذي لا يصح السلوك إلا به ولا يُقْبَل العبد في الحضرة إلا من خلال إذنه.

وهته التراتبية في أصناف المشايخ جُعِلَت مقصودة تستجيب لها الأرواح والعقول بما تستفيد وتُفيد، لذلك نرجو من كل قارئ أن يتوجه لله قبل كل شيء بصفاء القصد وحسن النية وأن يفرغ عقله من أي فهم سابق ليرى ببصيرته نور الحق

ويستمد من الحكمة ويتذوق بالروح ما سيغنيه بإذن الله عن نفسه ويُوصِلُه الى شيخه.

فلا حياء ولا خجل ولا سوء في أن يتخذ العبد لنفسه شيخا يُحَذِّره إذا ما انزاح عن الطريق، ويرفع همته إذا ما انطفأت شعلة النور بداخله، ويُصلح حاله إذا تعظمت نفسه وتجبرت، فالعيب هو أن يبقى الإنسان في غفلة عن أمره وعن شركه الخفي فيلاقي الله بنفسه وظلمانيتها.

فمن محبته ﷺ أن جاد علينا بهذا المنهج اليقيني الصحيح الذي يربط الأمة بنبيها عبر من جعلهم وسائط للربط وأعطاهم إذن التوصيل لحضرته وربط العباد به صلى الله عليه وسلم.

يقول الله تعالى في مُحْكَم تنزيله: "من **يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**"[1] أي أن الله تعالى جعل للهداية المُوصِلَة إليه شرطا وهو المرشد المختار من طرف الله تعالى لهته المهمة العظيمة، فوجهنا لسبيل الهداية وحذرنا من أسباب الضلال.

وبإذن منه تعالى نوضح الفرق بين المرشدين والمشايخ والأولياء سواء الأحياء منهم أو الأموات، وكذلك ضرورة الإذن المحمدي فى عالم الإرشاد والمشيخة لما في ذلك من نفع للعبد في تعبده أو للمريد في سلوكه. والحمد لله رب العالمين..

---

[1]- سورة الكهف، الآية:17

من هو الشيخ؟

الشيخ هو من وضع الله تعالى في يده أمر النفس وإرشادها وتوجيهها ونقلها من أرض الظلمات إلى سماوات النورانية.

ومن أسرار المشيخة الولاية على النفس وعلى الرأي وعلى المعرفة بولايته ﷺ عليهم.

والشيخ هو من وضع في سابق عهده أمره لأمر رسول الله ﷺ وحرر نفسه بطاعة الله وسُقي من رحمة الله ومن رسالة رسول الله، فأصبح مسيرا بالله لا بنفسه وعابدا لله لا لأهواء نفسه وقابلا لأمر الله في كل أحواله وشؤونه، فأخفى مِن باطنه كل تشوف ومن روحه أي تعلق ومن عقله أي تفكر ومن ذاته أي مقصد غير الله تعالى فأحياه الله بالله وبرسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمشيخة اختيار رباني واصطفاء محمدي ودلالة على أمر الله تعالى، فهو رعاية وحصن رباني منذ عالم الأرواح وفي عالم الأشباح أيضا، إلا أن هذا الاصطفاء نوعين:

١ - الاصطفاء الأولي الأزلي: أي أنه من أمر الله حيث حددت الأرواح لأدوارها في الوجود واختصت كل روح بوظيفتها في الأرض وفرق الله بين أرواح الأمة وأرواح الأئمة.

فجعل من بينهم أرواح خاصة خصها بخصوصيته وزادها على أرواح العالمين الفهم واليقين وهم المشايخ المحمديين، أي الذين اختارهم الله ساعة العهود وأشهد عليهم روح رسوله فسموا عند الله "أرواح الحمد". وعاهدهم بالربوبية وبالألوهية وبالوحدانية وزادهم العهود الغيبية (وهو ما اختصت به هته الأرواح عن سابقاتها، فأراهم الله من بسائط الرحمة ليُرشدوا الخلق وأطلعهم على فتن النفس والشياطين ليُوجهوا الخلق، فتعلموا من لدن الله قبل أن يُخلقوا في الأرض)، وهذا الاصطفاء الرباني هو اتصال بالله وبروح رسوله ﷺ أي اتصال كمال وليس اتصال إرشاد.

لأن اتصال الإرشاد اختصت به الأمة المحمدية جمعاء لأنه رسول الأمة ومرشدها للفرائض والواجبات والسنن والمكروهات، أما اتصال الكمال هو اتصال دائم يوصل إلى الله تعالى ويُرشد إلى العلوم الباطنية المحمدية التي تجعل الإتصال دائما بالروح وبالجسد.

٢- الاصطفاء المختار: وهو العناية التي تحصل بعد تقلبات ألواح القدر وبعد إرادة العبد ورغبته، وهي تقلبات الهداية الربانية والرحمات المحمدية.

فيحصل بالعبد تحول الأحوال وتقلب القلب وتحسن المقال ورفعة المقال، فيحصل به انتقال فوري من مشيخة النفس والشيطان إلى عناية الله ورسوله ﷺ

ليصبح مرشد الخلق لله بما جاء به رسول الله في الاتصال الأول الخاص بالإرشاد العام.

❖ الفرق بين المشايخ الأولين والمختارين:

أن الأول هو من حقت عليه كلمة الله وكلمة رسول الله فحظي بالاتصال الكامل أي أنه يرشد لمنهج رسول الله ﷺ ويوصلك إلى رسول الله برسول الله.

أما النوع الثاني فهو من يرشد لرسول الله ﷺ بسيرته وفقهه وحياته ويعرفك على منهجه ويدلك على الله بمعرفة الكتب ومعرفة ما جاء به المشايخ الأولين.

لذلك فإننا نجد بين المشايخ من هم يدعون إلى الله ويرشدون إليه بعلمهم وفهمهم الطري حديث العهد بربه جديد الاتصال برسوله ﷺ،ومنهم أيضا من يرشد إلى الله بكلام السابقين وبفهم المقتدين وقد يخلطونه بفهمهم أيضا، وهذه دعوة إلى الله لكنها ليست بالله إنما بفهم العقول فقط.

وأسرار المشيخة من أسرار العلم بالله، لأن العلم بالله يُعرفك كيف تعبده وحقيقة عبادتك لله تعالى وكيف تتحصل هته العبادة وبما تفيد، أي أنه علم تنفع به نفسك وتنفع به الآخرين، أما الشيخ العارف الذي اجتمعت فيه المشيخة والمعرفة، فيه من العلوم التي لا يظهرها حتى لنفسه ويحرم عليه إظهارها للغير، وينتفع الخلق بمعرفته عبره وبمصاحبته.

ومن علامات هؤلاء المشايخ العارفين:

- أنهم لا يُجادلون الناس كثيرا لمعرفتهم الدائمة بالحقيقة.
- ولا يظهرون أسرارهم وذلك تنفيذا لأمر الله.
- ولا ينظرون في نفسهم شيئا من المشيخة ولا المعرفة.

والشيخ حقيقة هو صنف من أصناف التجرد في الكون وهو كالإناء الفارغ يصب الله فيه ما أراد حيث أراد، وكل ذلك في خدمة الخلق وما ينفع الخلق، ونمثل ذلك ببذرة نبتت في عالم الروح (روح الشيخ) ونضجت لتأخذ مكانها في الأرض (الولادة البشرية) وفي أوج عطائها تفيد الخلق بما وهبها الله تعالى من نعم ولا شيء تفيد به نفسها (إفادة المشايخ للخلق بما جاد به الله عليهم فيكون علمهم متصل بالخلق وبما يفيدهم)، وقد تكون الشجرة موجودة كاملة حية تُسقى لكنها لا تثمر (وهؤلاء صنف آخر من المشايخ وهم مشايخ الباطن أو مشايخ أهل النور).

❖ ما الفرق بين المشايخ الأحياء والأموات؟ وهل للمشيخة ارتباط بزمن الماضي أو المستقبل أو الحاضر ؟

المشيخة سر واحد وإذن واحد يعطى من رسول الله ﷺ في الباطن ومن شيخ حي في الظاهر ليكتمل الإذن ويَصلح للمريد ليُصلح حاله. فشرط الحياة ضروري يلازم الشيخ في حياته الدنيوية غير الحياة البرزخية لأن التربية تكون بالمجالسة والبشرية والمعاصرة والمزامنة وهذه سنة الله التي ظهرت في الأنبياء والرسل أيضا. فالله قادر على أن يبعث ملائكة يتلون على الناس كلام الله أو أرواح توجههم في منامهم لكن جعل حكمته في الوجهان تمكن في الباطن والظاهر. أما إذا انتقل الشيخ الى عالم البرزخ فيرفع عنه التكليف الدنيوي في التربية فلا يصبح مسؤولا على تربية الأنفس ولا شفاء علالها بل تبقى بركة سره وإذنه سارية في الكون لمن اتصل بها وهته البركة لا تربي ولا تحصن لأنها تبقى متصلة بعالم ابرزخ أكثر من عالم الدنيا فتستفيد منها الأرواح أكثر من الذوات.

والمشايخ كلهم على علم وفهم بهته الحكمة الربانية. واللُّبْس يحصل للمريدين فقط لجهلهم بهذا الأُس الذي لا تصح المشيخة إلا به، وهو كون الشيخ حيا حياة يحتك بها مع الخلق فيربيهم ببشريته لأن الكل يميل للجانب الروحاني الجمالي وهذا وحده لا يوصل الى الله تعالى، بل قد يوصل الى جهنم والعياذ بالله.

فالمريد لا يمكنه أن يتخذ الميت شيخا لأن أمانة التكليف والتربية رفعت عنه بمجرد سقوط شرط الحياة عنه.

وتجديد الأولياء والمشايخ عبر الدهور لا علاقة له بالزمان ولا بالمكان بل بالمهمة التي يبعثون لتنفيذها متى ما أمر الله بذلك، لأن العديد من الخلق يعارضون هذا التجديد ويحصرون المشايخ في زمان كان، وزمن مضى حيث الله أراد، وهل إرادة الله تتوقف وهل مشيئته تنقطع؟ هذا سوء أدب مع الله وسوء فهم للعقيدة لأن مهمة الإرشاد والتكليف زُرِعَت في الأرواح منذ زمنها، وأما ظهورها في الدنيا فهو مجرد صورة لما وقع في الغيب. وذلك قُدِّر في الأقدار، حيث جعل الله تعالى لكل شيخ زمان يُبعث فيه بمهمته وتكليفه؛ ففي عالم الأرواح مثلا حُدِّد للشيخ الجيلاني مهمته ووقت بعثه للوجود ولحظة انتقاله لجناب الله، وكذا للشيخ سيدي عبد العزيز الدباغ، وللمولى ادريس ولمشايخ الحاضر أو المستقبل، كل ذلك قدر عند الله في أقداره وما الساعة إلا تنفيذ لذلك الأمر؛ فلا يصح حصر زمن المشيخة في وقت مضى لأن الشيخ مهمته هي هداية الخلق وما دام الخلق في تكاثر في الأرض فإن المشايخ يتكاثرون وإذا أذن الله بتوقيف هذا التكاثر فإن مهمتهم تنتهي لأنها مرتبطة بالخلائق التي لم يقض الله فيهم أمره بالفناء بعد، وبذلك فإن مهمة المشيخة والإرشاد ما تزال قائمة في الأرض .

روح الشيخ:

والروح في أصلها سر حي ذاكر ناطق حق، وفي اتصال هذا السر الروحاني بالنور المحمدي تجلت من ذلك حقيقة الروح القطبية الحاملة لاستمداد الأحدية ولإمداد المحمدية ولمحمودية الأحمدية.

الروح سر تجلى من الله تعالى في أولى مظاهر تجليات القدرة في الخلائق، ومن هذا التجلي ميزت بعض الأرواح ببقاء اتصالها بهذه القدرة رغم انفصالها عن أصل الإيجاد. لأن القدرة تحركت من سكونها وفاضت بإيجاد الأرواح ثم استقرت في سكونها، وفي ذلك السكون ظلت بعض الأرواح مرتبطة بالقدرة وهو ما يسمى في الغيب ب "شوكة المدد" أي أن الروح تبقى دائما متصلة بأزلية خلقها وعهد بعثها، وهته الأرواح اختصت بالعناية الربانية المحمدية في عالم الروح قبل عالم الجسد، لذلك فأهل الله وأولياءه قد اختيروا في السماء قبل الأرض وبالروح قبل الجسد.

فالروح بهذا الاتصال تبقى في حضرة القدوس دائما، وتتنزل عليها أسرار تلك الحضرة منذ خلقها إلى يوم فناءه في القدرة التي خلقت منها، لذلك فهذه الأرواح المميزة باختمار أسرار الله فيها ودوام التنزلات عليها عوهدت بتحمل أمانة التصريف في الأرض بما فيها من إذن التفعيل والتصريف والتحقيق والإرشاد، وعبرها تمتد

يد الله إلى الخلق وبها تسقى أرواح الأرض، لذلك قد يحدث التفعيل بهذه الروح والجسد غير مدرك لذلك، وهي ما تسمى بأرواح الأقطاب ومفهومها يتضمن وجهان:

❖ الوجه الأول: روح القطب:

أي الجامعة والمجتمع فيها أنوار الحق الأحدية وأنوار التحقيق الأحمدية وأنوار الحقيقة المحمدية، أي التي تجتمع فيها أسرار الحضرة الكبرى والحضرة العظمى والحضرة الجامعة.

وفي هذا المفهوم أيضا نظهر ما خفي في طيات هته الروح من الاتصال المباشرة والاغتراف الكامل من وحدة الهوية، فنقول "أنها خلقت من كل شيء وتجلت بلاشيء"، أي أن هته الروح خلقت من لب الوجود وهو القدرة لكنها تتجلى بفناءها في هته الوحدة فلا يظهر منها شيء سوى مظاهر الله فيها، وبذلك تكون مطوية على الإذن في التصريف وفي يدها حكمة التبليغ والتقليب، ومن مظاهر هته الروح أنك إذ قابلت حاملها يتغير حالك من مذنب عاصي إلى عارف ذاكر، وهذا مظهر بسيط من مظاهر التصريف التي مكنت فيها، وهو أمر اختاره الله تعالى ولم يترك اختياره لذا العباد.

❖ الوجه الثاني: روح القطب:

وهي المنفذ من الحقيقة إلى السريرة، كما أنها في الحال الأول محط التصريف من اليد الخفية إلى اليد الفعلية، فهي تُفعل أيضا بالمرور من الستر إلى الخفاء، لأنها جمعت في لب سرها الأكوان ومظاهر المكون.

وروح القطب أعلى من روح الغوث حيث أنها الباب للتحقق بهذا التصريف الالهي أما روح الغوث فهي منه إلينا وليست منا إليها، وهذا التفسير لا يقصد به العبادات والقربات والصلوات إنما هي أمور أعظم من مستحقات العبد تجاه معبوده.

والأرواح ليست كالأجساد لأن الذات إذا انتقلت الى جناب الله يختفي فيها كل سر كان ظاهر فلا يستفيد الوجود منها إذا عاذرته ولو كانت تحمل من الأسرار والحقائق ما يملئ البحار، لكن الأرواح تفيد الخلق في كل مظاهر وجودهم والإفادة الأكبر تكتمل بالوجهان أي حين تُحمل الروح في ذات تُخفي أسرارها، وهذا من أسرار الله في الروح لأنه لم يجعل لها فناء يفصلها عن الوجود بل جعل لها فناء يفصلها عن الذات فقط وبهذا فإنها تبقى مفيدة من عالم البرزخ وتتجلى على عالم الدنيا بمظاهر من الارشاد الباطني المعين على التثبيت.

ذات الشيـخ:

الذات هي المحط الظاهري للفيوضات الغيبية والكون الذي سخره الله حاملا لبحار الروح ومعارفها، فهُما كونان مستقلان يكمل كل منهما الآخر لكن لكل خصوصيات تميزه ومن مميزات الذات خاصة ذات الشيخ التي تعتريها التنزلات الظاهرية هي كونها مرآة تستمد وتمد الخلائق من جانبهم المحسوس فأنفس المريدين تتربى وتقهر عبر تجليات الذات عليها فلا تستفيد من تربية الروح إلا إذا وصلت لمستوى مهم من الصفاء والطهر لذلك تعتبر التربية على يد شيخ حي ضرورية ومهمة لما للبشرية من تأثير ايجابي تربوي.

ونضيف أن ذات الشيخ ليست كذوات العامة من الخلق لأنها تتميز بنورانيات خاصة تجعل بشريتها الطينية تذوب في النورانية مما يجعل الذات تتحقق بالروح مما يجعل الأسرار تتمكن من الذات تمكنا يحررها من العامية إلى الخصوصية.

والفرق بين الجسد والذات أن الجسد غالبا ما يُقصد به البدن أما الذات فهي اجتماع القلب والعقل والنفس والجسد، والقصد من ذات الشيخ هو اجتماع قلبه وعقله ونفسه على الله تعالى والمتحققة باكتمال التربية المحمدية حيث تكون نفس الشيخ نفس محمدية سليمة من كل الآفات والفتن وإلا فكيف بالعليل أن يشفي السقيم، لذلك فإن المشايخ المأذونين منه ﷺ تكون تربيتهم الذاتية كاملة

ويتحققون بكمال الجسد والعقل والنفس والقلب بالمفهوم التزكوي التربوي ومهما تزكى المريد ووصلت تربيته فلن يصل لمقام شيخه أبدا ولا يفكر في ذلك حتى لما قد يسبب له الإذاية، لأن المكمل بإذن رسول الله ﷺ ليس كالذي يسعى الى الكمال، فبينهما سنوات ضوئية من الفرق والنضج والتحقق، إضافة الى ذلك فإن ذات شيخ لا تُعتبر كاملة بالتربية فقط إنما بأسرار الإذن المتعلقة بها والتي تعطيها الخصوصية الدنيوية التي تنزه ذات الشيخ عن ذات المريد، لهذا فليحذر كل مريد من أي مقارنة تظهر له بسيطة لكنها تحكم عليه بسوء الأدب المبعد عن شفاعة الصالحين.

- **الفرق بين الروح والذات عدة نذكر منها:**

١ – الذات محل تنزل أسرار الله:

إن الذات إذا تنزلت فيها أسرار الله فإنها تستقر فيها وتتمكن منها وتزيدها نورانية، أما الروح فهي تجعل من التنزل فيها إمداد للغير، فكلما زادت الذات أسرار كلما زاد ارتباطها بالخلائق واستنفاعهم منها لأن التنزل الذي يحصل على ذات الشيخ يكون المقصود منه ذوات العالمين والتنزلات التي تحدث بالروح يبتغى منه انتفاع الأرواح ثم الذوات، فتنزلات الذات تفيد الذوات وتنزلات الروح تفيد الأرواح والذوات.

٢- الذات مظهر ظاهري لأمر الله:

فهي تحمل سر المحمدية لكنها لا تحيط بمظاهر الأحدية وببعض من مظاهر الأحمدية في خصائصها، لذلك يعتبر اكتمال ذات الشيخ من اكتمال ذاته ﷺ ومن أسرار ذاته التي تُستمد من فعل الإذن الذي بنقل الشيخ من الكامل تربيةً الى المُكَمل بسيدنا محمد.

٣- أن الروح خلقت للروح والجسد (الذات) فهي للذات:

أي أن الروح تنتفع من الروح التي تستمد منها والجسد الذي يجالس حاملها، أما الذات فهي تنفع الذوات وذلك لأن الذات قد لا تطيق بعض معاني الروح وأسرارها فيبقى التكامل بين الروح والجسد ضروري، فالمشايخ الحقيقيون هم من يعرفون بحق الذات وبحق الروح وإذا حدث نقص فإن التربية لا تكون كاملة.

فللروح أسرار تبقى خاصة بها مهما وصلت نورانية الذات وتحررها وشفافيتها فلن تطيقها.

٤- ذات الشيخ كنز ظاهري تنتفع به الأكوان:

وذاته حاملة لألوان الوجود ولكنوز الظهور ولذاته ﷺ وهي تفنى إذا تجلت روحها فيها، أما روح الشيخ فهي للباطن الغيبي اكثر من الظاهر المادي وهي لا تفنى في ذاتها مهما بلغت الذات نورا فتظل بارزة ظاهرة وهذا من أمر الله الحاصل فيها

والذي يجعلها من أقوى ما وُجد في الوجود ومن أنور ما نوره الله بنوره، فالذات قد تفنى في الروح لكن الروح لا تغيب في الذات أبدا.

٥- والفرق الأجم بين الذات والروح هو أمر التجلي:

فما تُعرف به الذات هو ما تُحمل عليه وما تحمل فيه، فما يلمسها من تجليات هو ما تنزل على العرش المخلوق أو أي مكلف مخلوق ثم إليها "أي بالواسطة". أما الروح فقد يُتجلى عليها دون واسطة، ومن لب الحضرة الأحدية إليها لأنها في هذا الحال بنفسها واسطة.

الذات هي القالب المادي للأصل الروحاني، وهي التوازن الكوني بين الحاضر والغائب، وهي في غالب القول تحيط بثلث الروح ونورانياتها. لكن ذات الشيخ تحيط بالروح وتحمل وسعها لكن لا تواكبها في معارجها ولا تتحقق بمعارفها بل تحملها وتسع وسعها وهو حال خاص لأهل الله، لأن الأصل في الذات الطينية والطين لا يحمل النور إلا أن الله تعالى خصهم ونور ذواتهم فأصبحت الذات نور والروح أنوار.

سر الشيخ:

باسم الله الرحمن الرحيم، ذكر العالمين، توحيد المسلمين، محبة المؤمنين، ملجأ المحسنين.. من الروح نرى الذات ومن الذات نعود للروح لتبرز لنا من جواهرها سر روحها. والسر في حقيقته ثلاث أصناف: سر الذوات، سر الأرواح، سر السر.

وهي مساكن في الأولياء ومشارب عند المشايخ، فمن هته الأسرار من هي خاصة بذات الشيخ ولا يشترك معه فيها أحد ولا تمد أحد ولا يعلمها أحد، وأسرار تنفع ولا يُنتفع بها، وأخرى تُرى للخلق وتسري فيهم. ومن أهل الله من اختص بكلية هته الأسرار، فجعل فيهم الله تعالى سره وسر إيجاده وسر الموجود في إيجاده.

❖ ما هو السر ؟

والسر هو جوهر خلق من مظاهر الإذن الإلهي، وأصله السريرة، والسريرة في أحديتها من الذات العظمى الواحدة.

فنقول سَرّ في باطن فلان، أي أوضع فيه من أجود ما يعلم وأرق ما يعرف وأكمل ما صوره. لذلك فالسر للسر سريرة و ما إن اجتمعت سريرة الذات الأحدية بسريرة الروح الأحمدية إلا وفاضت على كل كان فُعل أو في فِعل.

والسر في الكمال مجامع ومقاصد ارتقت من الذات الأحدية وتوسعت بمفاهيم الإذن الإلهي فتصورت بسهم جوهري أودع في أفئدة القلوب وأُسكن في وجدان القلوب.

و لسر الله مسكن محفوف في أرواح أنوار الله، فللملائكة أسرارهم وللجن من أسرار الله سرهم وللأرض والسماء وكل مخلوق سر، ولابن آدم سر. لكن لأهل الله أسرار عرفت بسر السر.

فالسر قد يشترك فيه عدد من العارفين كسر الدعوة إلى الله أو سر الفهم أو الحكمة، أما سر السر فهو ما اختص به خاصة الخاصة، فميز سرهم بسر آخر وهو منه ﷺ وهو الذي يُضيف الخصوصية.

❖ خصوصية الأرواح الحاملة للسر:

فأصله الرباني هو السريرة وأصله الروحاني هو المحبة، فمن أحبه الله فأحب الله جُعل محبوب الله وتشرب سر السريرة، وهذا اصطفاء واجتباء واختيار من الله.

والروح الحاملة للسر هي روح تغترف من كل المشارب والبحار، فهي في وحدة الله تسبح ولعباد الله ترشد، ومن محمد تتصف ولصفات الله تَصف، ومن الوجود تعرف كل موجود وبالقدرة تتصرف في سر الإيجاد.

وروح السر هي منزل الأسرار، وإذا استقرت في الأرض زارتها أرواح الأرض وإذا أخذت للسماء حملت بأسرار الوجود، فلا يحجبها عن القدسية حجاب ولا عن المحبوبية محبوب ولا عنه ﷺ ستار ولا عن الله أنوار.

ولهم من الخصوصية أيضا التوصيل بعد الإيصال والوصل، وهو أعظم خصوصية في أرواحهم، فلا يحجبهم عن هذا التوصيل واصل، ومِن وصلهم بالله تتفرق سبل الإرشاد.

فالفرق بين الإرشاد والتوصيل جلي واضح، فقد يرشدك أحد لمكان وهو لم يدخله بالضرورة ولايعلم هدفه ولا ما ينطوي عليه. أما من أوصلك فهو أرشدك بداية ثم سلك بك المسالك الى أن أوصلك وعرفك بالمكان واطمأن على حالك.

وذلك ما ينطبق على أهل التوصيل، فهم يرشدون ثم يوصلون لعين ولأصل ما أرشدوك إليه.

ومن فضل الله أن جعل في روح السر الإرشاد والتوصيل وهما متكاملان بفهم يجعل الإرشاد سبيل للتوصيل والتوصيل لا يكتمل إلا بالإرشاد وهذا من الحكمة التي جعلها الله بين الروح والذات يكتملان ويتكاملان، فالإرشاد من خاصية الروح والتوصيل من خاصية الذات والروح، لهذا جُعل الوصول الكامل في يد من يحمل السران والحقيقتان.

قلــب الشيــخ:

إن الفؤاد إذا انطوى على شيء فإنه يكون لله وإذا أخفى شيئا فهو من أمر الله وإذا أفصح عن شيء فإنه بإذن الله، وفي طياته خزائن السموات والأرض، وما بين جفونه تقبع وسائل السلوك ومنابع الهدى، فبشرى لمن أشرق الفؤاد في وجهه وأخذه في طيات أسراره.

والمعروف عن القلب أنه محل سكينة الروح وذكر النفس وتفكر العقل واستجابة الجسد، والقلب أيضا هو باب تفريغ خزائن الروح بمظهرها البشري ذو النطاق العقلاني، فمن ذكر القلب فقد ذكر ما هو مرئي للعالمين وما هو من مقروء ومحسوس ومنظور لمن أراد الأخذ عنه.

أما الفؤاد حقيقة هو جوهر القلب، فالقلب يكسو الفؤاد والفؤاد ينير القلب، وهو الموجود بين السريرة الدنيا والسر الأبكر، ففي وسعه ونضجه وبهائه وكماله اتصال بالله تعالى، فإن فاض عليه الاتصال جاد على القلب بالوصال وأذاق القلب بواصله الموجود والوجود.

وإنها لحكمة الله أن كسا سر الفؤاد بالقلب وكسا القلب بالجسد ومن أراده فنى في الخارج ليغذو في الباطن.

ولسر الله تعالى أكبر في عرشه المكسو بقلب عبده، وفي كينونته تتحرك كافه لتكون في القلب فعلا. فقدرة الله تعالى التي تتجلى على العباد بالتصريف هي من خزائن الفؤاد، فتُكَوّن فيه الكيان وتفعل فيه الأفعال وما يصل للقلب هو من نور الجمال أما دقة الفعل بالجلال فقد ظلت مخفية بين ثنايا الفؤاد.

لذلك فأحوال أهل الله متقلبة بتقلبات الحركة في الفؤاد، إذ القلب ينطق بالله والفؤاد يتحرك بقدرة الله، وما على العبد إلا التسليم لأمر الله.

- إن الفرق بين الروح والفؤاد أمر غيبي جوهري، لأن الروح يا إما في حالة تجلي أي تتجلى عليها الأنوار من أصل أو ذات أو فعل، أو في حالة تنزل أي تتنزل الأنوار والأسرار عبرها باتخاذها وسيلة لذلك. أما الفؤاد ففيه يتحرك الكون المفَعِل و هو ليس مكان التجلي ولا محط التنزل بل هو منبعهما معا لأن فيه الإذن المباشر من الله تعالى، والكنز المخفي فيه هو الكاف والنون، فلا الروح تعلمه ولا القلب يفقهه ولا الكون يطيقه.

والمعرفة بالفؤاد هي معرفة الأصل بالأصل أما المعرفة بالروح فهي معرفة الأصل بالتجلي ومظاهر التجلي. وكذلك المعراج الفؤادي يختلف عن المعراج الروحي، لأن عروج الروح متصل بتجليات الله في الكون وبمظاهر المشاهدة الروحية والأنوار التي تجذب الأرواح إليها، أما معراج الفؤاد هو معراج في الأصل إلى الأصل دون مشاهدة أو أنوار أو تجليات وهو أقصى مراتب المشاهدة حيث

تصبح المشاهدة في اللامشاهدة وهذا من فعل الأفئدة التي لا تحتاج لمعراج الروح لترى وترتقي إنما المعارج الحقيقية تحدث فيها لقوله في حديث قدسي " ما وسعتني سماواتي ولا أرضي ووسعني قلب مؤمن"،[2] وهذا من حال الفؤاد الذي يرى كل شيء في الوجود ولا يرى غير الله لهذا تصبح المشاهدة هي اللامشاهدة، فالله لا يُرى وهل من شاهدة بعده.

وهي حقيقة قلوب المشايخ وما تنطوي عليهم لذلك يقال: "العلم يؤخذ من صدور الرجال" لأنه محل الفؤاد ومحط التنزل ومشرب المعرف وبحار المعرفة التي لا تُحد بنور ولا بمشاهدة هي من الله وإلى الله، أما علم الروح فهو متصل بالأرواح ولا مكان ولا زمان يخلو من الأرواح غير الأصل المتفرد بالوحدانية.

2

السلسلة النورانية المحمدية:

إن الأرواح إذا اجتمعت فعلى المحبة والقلوب إذا اتصلت فعلى المودة والأجساد إذا تجانست فعلى الرحمة، أما السريرة إذا فاضت فإنها تفيض على الخلائق أجمعين وعلى آل الخصوصية السابقين.

والله تعالى جمع بين قلوب أنبياءه ورسله وربط عليهم بالمحبة وبالصلة الصحيحة، فكل منهم يمد والمدد منه تعالى وإذا حكموا فبأمر الله وإذا قضوا في الأرض فبمشيئة الله، لأن الكلمة فيهم واحدة والرابطة بهم موحدة لذلك فإن دعوتهم للتوحيد واحدة وهذا ما يسمى "بالرباط النبوي"، أي ما اجتمع في الرسل وأجمع عليهم الملائكة في السماء قبل الأرض وربطوا على قلوبهم بحقيقة الله وأمره الذي حق الوجود به وجعل هذا الرباط صلة بالله تجعل العهد على العهد.

وهذا أصل السلسلة النورانية التي نعود بها من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ،ومن سيدنا محمد ﷺ إلى أمته جمعاء، فرباط الرسالة أو النبوة يختص بكل مسلم آمن بالله ربا وبمحمد رسوله فإنه يدخل في زمرة المسلمين ويعرف برابطة الدين، وهذا هو النوع الأول من الاتصال، لكن الكثيرين يغفلون عنه ويجهلون حقيقته، فإذا لم يتحقق الانسان بهذا الاتصال النوراني فإنه لا محال سيتحقق بالاتصال الشيطاني الظلماني.

- وفي هذه الرابطة خصوصية أخرى لمن اختارهم الله ليتحققوا بها، فأحيوها في داخلهم كما يحيي الماء الجسد، وسُموا بأهل الله أي أنهم أدخلوا في قلب رسوله ﷺ فعرفهم الله تعالى بالأهلية لذلك المقام وأسكنهم في الرابطة النبوية وأخذوا منها المعارف وأُشربوا بها المناهج والسبل فارتقت أرواحهم وعرفت ربها قبل أن تبعث في الأجساد.

فالسلسلة النورانية هي النسب الروحاني المحمدي، أصلها مشتق من السماء وفرعها في الأرض، حية بحياة الذكر وفانية ببقاء الذاكر فيها، ولا روح تكسوها ولا ذات تحملها إلا سره ﷺ ومن أذن لهم في ذلك.

والسلسلة النورانية هي صراط مستقيم قويم يعرفها أهل النور ويختص بمعرفتها أصحاب البصيرة المنفتحة والسريرة المتصلة حتى يذكروا ما ذكره رسول الله ويؤتوا الحكمة والمنة كما أتاها رسول الله.

وهذا الفضل لا يعرفه إلا عارف ولا يدركه إلا طالب ولا يصله إلا متصل، لذلك فإن أرواح المشايخ تكون متصلة برسول الله ﷺ اتصال ظاهر فاني واتصال باطن حي ذاكر، فتمحو المحبة ما بين الفارق من زمان أو مكان ويصبح المحب لمن أحب قريب والواصل بمن اتصل سامع ومجيب.

الذات الوارثة:

وننطلق في تعرفينا من قول الله تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"[3]

إن انتساب أهل الإيمان لرقابة سيدنا محمد ﷺ ولشهود الله على عباده هو أمر يظهر الاتصال بين البصيرة الإلهية والبصر المحمدي والمشاهدة الإيمانية، وهته المشاهدة الإيمانية لا تتحقق بما هو روحي فقط أي اتصال الروح بالروح، بل هي من اتصال الذات بالذات وهو ما يسمى بالفناء المحقق حيث تتصل مشاهدة العبد ببصيرة الله المنفتحة على العوالم كلها وهذا مرورا به ﷺ.

فالذات الوارثة هي ذات تجتمع فيها البصيرة والبصر والمشاهدة، وهو إرث حي لحضور الله في الأرض والسماء، في الظاهر والباطن، في الغيب والحاضر، في السر والجهر، في الأول والآخر وفي كل أحواله الأولى والأخرى، لذلك فإن اتصال الذات الوارثة بالبصيرة الإلهية يجعلها منفتحة على أحوال الملك والملكوت ومدركة بما يحصل في مشارق الأرض ومغاربها وبالعوالم جميعها، فما بالك بالبشر والعباد والخلائق.

[3]- سورة التوبة، الآية: 105

فهته البصيرة اشتقت من اسم الله البصير المتصل بذاته، وهته الذات الوارثة فيها من مشاهدة البصيرة ما يطلعها على خبايا الأنفس وتطلعات القلوب وملذات العيش وفتن الشياطين. لذلك فإن للمؤمنين المخصوصين بالذات الوارثة إرث خاص غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى ومنها هذا العلم بالبصيرة.

- وفي تفسير آخر ندرج قوله تعالى "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هو يحزنون"[4].

والولاية الحقيقة تكون في الأرض قبل السماء في الحياة قبل الانتقال لجناب الله، فيعيش بها الولي متحققا بولاية الله تعالى في حياته فيجعله الله من موالي الحضرة القدسية، وكلها تنزلات تغشى الذات فترث أسرار المعرفة بالله المشبعة بولاية الله الحق.

فتصير الذات مرآة الشهود من حضرة الولي إلى الحياة الحق، وتصير الذات أيضا مرآة المشاهدة بين المؤمنين فيُرى فيها كل حال على حاله وكل ذو سر على أصله وكل ذو معرفة من هويتها، فلا يُستر عليها شيء من العلوم الظاهرية ولا العلوم الباطنية لأنها من ولاية الله تعالى أي رفع عنها الستر والخفاء وتنزل عليها بالدقة والفناء.

---

[4]- سورة يونس، الآية: 62

- والذات الوارثة هي ذات اكتملت بمحاسن الأوصاف المحمدية واختصت بأسرار الذات الإلهية، وهي نظر الله في الأكوان ويد المدد بين الخلائق والرحمة المحمدية الموجودة في الأرض، ونشير الى أن هته الذات لا تفنى كباقي الذوات البشرية وحتى وإن غادرتها الروح واستقرت في القبر فإنها تبقى كما هي ولا يمسها مخلوق ولا يقربها شيء وذلك لاحتفاظها بسعات الرحمة التي استقرت في كيانها؛ فالإناء الذي حمل الذهب والجواهر لسنوات وأعوام يبقى ذو قيمة ولو أفرغ من محتواه القيم، كذلك الذات الوارثة لجواهر المعارف الالهية وذهب الأسرار الغيبية فإنها تبقى متصلة بالشأن الالهي لأنها تعتبر محط التنزلات والكرامات فيحرم على الذود الاقتراب منها وذلك تعظيما وتوقيرا لأنوار الله التى تبقى مرسخة فيها بحيث يبقى ذكرها عند الله قام ودائم.

مشايخ أهل النور:

وهم من الأرواح المختارة لكن ليس لأهل الأرض ولا لأهل السماء بل لأهل البرزخ ولما بين الفالقين، فتكون أجسادهم في الأرض حية تمشي بين الناس وتأكل وتشرب وتنام كسائر البشر لكن أرواحهم متعلقة بمهمتها ووظيفتها في الوجود الناري البرزخي.

فتكون عليهم علامة النور ويعرفون بسيماهم لكن لا يملكون للخلق نفعا ولا ضرا و لا هداية ولا إرشادا.

وهو نوع قليل من المشايخ لا يعلم بحالهم إلا من هم مثلهم أو المشايخ الكُمل، لأن حقيقتهم مخفية عن العين المجردة والبصائر المنغلقة ومكشوفة لأهل الفراسة.

ومن خصوصية مشايخ أهل النور أنهم ذوو علم ومعرفة بما هو باطني أكثر مما هو ظاهري فلهم علم بلغات الجن ولغة سكان البرزخ وبسنن بواطن الأرض وما يدور فيها ولهم علم كبير بما يخفى عن عامة الخلق، لذلك فإن توجيههم للخلق قد يكون فيه ضرر للعباد وليس نفعا لهم.

مشايخ التبليغ:

وهناك من المشايخ أيضا من يسمون "بمشايخ التبليغ" ولهم وظيفة سامية في الكون وتتمثل في توجيه الأولياء العارفين الذين اصطفاهم الله تعالى لكن يحتاجون لشيخ حي يربطهم برسول الله ﷺ ويأخذون عنه قواعد الظاهر وآداب السلوك لأنها سنة الوصول.

وهؤلاء المشايخ ليست لهم وظيفة أخرى غير هته ويكون من قدرهم توجيه أسماء حددت في الأقدار وما إن يستوفوها يُنقلون لجناب الله تعالى.

ويمثلون ملائكة الأرض لأنهم بُعثوا لتبليغ الأمانة دون قصد أو نية أخرى من وجودهم.

لذلك فصحبتهم فيها نفع وقرب ونفحات ربانية لكنهم لا يوصلون كل من قصدهم، فحقيقة مقصدهم هي توصيل من أمرهم الله بهم.

وكل المشايخ الذي بعثوا من الله ميسرين للعبادة وغير معسرين في الوجود، رغم اختلاف طوائفهم ومقاصدهم ووظائفهم، لابد لهم من إذن محمدي بعد إذن الله تعالى.

لأن الإذن في عالم الأرواح النوراني هو إذن الله، ولعبور ذلك الاذن من الروح إلى الذات يحتاج إذن الظاهر وهو إذنه ﷺ.

ونوضح ذلك في أن شراء أرض مثلا يمر باتفاق بين مالكها والمشتري لكن لا يبرر البيع ولا يقنن ولا يعتبر بيعا إلا بعد المرور بالمختصين بذلك.

وكذلك فإنه ولابد على الشيخ أن يكون متحققا بإذن رسول الله ﷺ يقظة وليس مناما، مشافهة وليس خطابا، مجالسة وليس تبليغا.

فالمشيخة يشترط فيها الاختيار الرباني للأرواح والإذن الإلهي في التوظيف والختم المحمدي في التبليغ.

الشيخ العارف:

هو اختصاص في المشيخة العامة التي سبق ذكرها وتوضيحها. وهذا الاختصاص يتمثل في أن المذكور بالتبليغ وبالإرشاد له وظيفة مزدوجة، فهو المبلغ والمعرف أيضا. أي أن الشيخ العارف يرشد من سأله ذلك بل ويوجهه للمقصود توجيها يقيه من المزالق والهفوات والفتن بل وقد يوصله إلى الله بمعرفته لله معرفةً أُذن له أن يظهرها للخلق.

فمثلا علم العقيدة هو معرفة بالله وهو باب من أبواب الإقبال على الله، فإن اجتمعت هته المعرفة بالإذن الحق في المشيخة فإنها تجعل المريد ينتقل من النطق بالشهادة إلى التعرف على حقيقة الشهادة، فيصبح بذلك المريد عارفا بما عرفه به شيخه.

إذن فالشيخ العارف يعرفك بحقيقته وحقيقة وجوده وحقيقة الوجود وحقيقة من أوجد كل موجود، فبالإضافة إلى مهمته في التربية والتوجيه له مهمة التعريف.

وخصوصية هؤلاء المشايخ أنهم يعرفونك بالله معرفة تمر منهم، فلا يؤذون الخلق بتلك المعرفة بل يجعلونها لهم موكبا للوصول. لأن من المعارف إن كشفت تضر الخلق ضررا مؤديا بالشيخ ومريده، لذلك فإن الشيخ العارف ما سمي عارفا إلا وإنه يعرف ما ينفع مريده ليعرفه به.

❖ أقسام معرفة الشيخ العارف:

وهي ثلاثة أقسام:

□ معرفة الذوق:

وهي المعرفة العليا في هذا المقام، فتكون من خصوصية الشيخ، وتختلف من واحد إلى آخر وذلك باختلاف الأسرار. فبالرغم من أن الأصل واحد فرد أحد إلا أن الأسرار تتذفق من موائد مختلفة ومن طباق متفاوتة ومن موازين متعددة.

فمعرفة الذوق هي معرفة بالروح وهو أمر متصل بروح الشيخ وتخصه وتختص بعلاقته بربه، وقد يرى المريد بعضا من تجلياتها إذا تحقق بالفناء في شيخه أي محى ما فيه في محو شيخه في ربه. فيرى من تجليات الله على شيخه ويذوق من معرفة الذوق ومعرفة الروح.

ومن بعض هته المعارف نذكر المعرفة بحقيقة الوجود وبعوالم الحدوث والمعرفة بأمور الملكوت (معرفة بالعلم لا بالتصريف) وغيرها من الفهومات والمعارف التي تبقى في نطاق العرفان وليس في مدد التصرف.

معرفة الحس:

وهي المعرفة التي تنفع الخلق حقيقة، معرفة به ﷺ تفيد أمته ﷺ،فيوجه الشيخ مريديه بمعرفة حية به ﷺ،فلا يدعوهم للمجهول ولا للماضي ولا للغائب، بل يدعوهم لمن هو على معرفة حقيقية به.

وهذا الاتصال الحاصل بين الشيخ و رسول الله ﷺ يسمى "بمعرفة الإرشاد" أي معرفة تفيد الشيخ ويفيد بها من قصده وسأله التبليغ، لذلك فالمعرفة الحسية متصلة باتصال الشيخ برسول الله ﷺ والمعرفة الذوقية متصلة باتصال الشيخ بربه.

معرفة المحسوس:

وهي الأقرب للخلق والأنفع لهم، لأنها معرفة تجعل الشيخ عارفا بمعادن الناس وبأجناس نفوسهم وبطينية ذواتهم وبجوهر أرواحهم، فيميز بينهم بالمعرفة النورانية لا بالفهم العقلي.

وعلامة هته المعرفة أن الشيخ يختلف قوله وحكمه وتوجيهه من شخص إلى آخر وذلك باختلاف الأشخاص، فلا يعتمد ذكرا واحدا ولا منهجا موحدا لكل من يقصده، بل تجد عنده فهما للطباع وتأثيرا في الأنفس واختلافا في التربية.

ومعرفة المحسوس أمر ضروري في المشيخة، لأن الشيخ إذا اتصف بمعرفة الذوق فإنه ينفع بها نفسه فقط وقد ينفع بها عدد قليلا من الخلق في مقامات عالية، أما معرفة الحس فينفع بها من قصده واحتمى بجانبه، أما معرفة المحسوس ففيها الإفادة الكاملة للخلق والنفع الجامع لكل الأجناس، فيؤثر في الأجنبي والعربي والعجمي وكل الطوائف، ويقلب قلوب المذنبين ويمزق غرور المتكبرين وينفذ في جواهر أرواح المريدين.

الشيخ العارف:

هو أصل من أصول السير إلى الله تعالى وفرع من فروع الاتصال بالله تعالى وهو سنة من سنن المعرفة بالله تعالى، لأن المعرفة به تحتاج معرفا به، فقد نعرف مكانا باسمه أو مدينة باسمها لكن هته المعرفة بالإسم لا تعرفنا بالكل بل بجزء بسيط منه.

ف"الله" اسم ودلالة ومظهر من مظاهر الله في الوجود وليس هو الله بكليته، لذلك فإن أخذ المعرفة بالمُعرف أمر ضروري يجعل المعرفة تأخذ إطارا ربانيا ونهجا محمديا واستقامة بالافتقار والتواضع بل وتزيد العبد عبودية.

لذلك فالمعرفة بالمعرف أيضا ضرورية للأخذ عنه والاستفادة منه، ومن ذلك نذكر:

❖ المعرفة بمقام الشيخ العارف:

فهو بشر من سائر البشر لكن ذاته تختلف عن الذوات، وهو حي كالأحياء لكنه حي بنور الله، وهو آمر بأمر الله وناهي عن ما نهى عنه الله لكن بإذن الله تعالى.

فترى في تصرفه تصرفا بالله وفي حركته بركة من الله وفي حديثه تيسيرا من الله تعالى، وفي مجالسته قرب من الله تعالى.

فتعرف حقيقته بمقامه رغم أن المعرفة بمقام الشيخ العارف أمر عال لا يعلمه الخلائق وحتى الخاصة من المريدين، وقد يعرفه من أذن لهم الشيخ في معرفته معرفةً تفيدهم وتفيد الخلق بهم.

ومن محاسن المعرفة بمقام الشيخ أن يُقَدِّر المريد أمر الله في شيخه وأن يتيقن أن معرفة شيخه من معرفة الله تعالى ويوليها على معرفته ومعرفة العالمين، ويرى نور الله الذي يسري من شيخه إليه فيميز بذلك النور الهدي والظلال، ولا يقارن معرفة شيخه بمعرفة السابقين ولا بمعرفة المعاصرين لأن المعرفة التي تكون بالله تعالى لا تضاهيها أي معرفة أخرى ولو ظهر فيها الكمال والعجب.

و بهذا نؤكد أن مقام المشايخ الكمل أو العارفين والمبلغين وغيرهم لا يعلمه إلا الله تعالى، وحتى وإن أظهروا شيئا للخلق فإنهم يظهرون الجزء الذي يطيقه من رآه وينتفع به من اطلع عليه.

فمقام المعرفة هو خصوصية ذات استحقاق إلهي، فالله تعالى هو الأحق بالمعرفة وهو الجامع للمعارف كلها، ومن معرفته تعالى أن عرف بعض العباد عليه فاختصوا بمقام المعرفة وتسربت لأرواحهم تجليات من اسمه العارف، فعرفوا الله به.

❖ المعرفة بسر الشيخ العارف:

والسر هو في ذاته ووحدته عالم مستقل يوحي في حامله أسرارا تظهر عليه كما يبرز القمر في ظلام الليل.

لذلك فإن المعرفة بسر الشيخ أمر متروك لأمر الشيخ، فلا يتطلع المريد لذلك الفعل لأنه لن ينفعه ولن يضره ولن يزيده شيء، لأن الله خص به الشيخ العارف ولم يختص به غيره.

لأن الخصوصية في مفهومها التمييز عن الغير، لذلك فإن لكل مقام سره ولكل روح سرها ولكل ذات اسرارها وحتى وإن أخذ المريد من شيخه الإذن والسر فإنه لا يأخذه كاملا كما تجسد في شيخه لأن ذات الشيخ تبقى متصلة بما أورثه الله تعالى فيها.

والإشارة إلى هته المعرفة رغم أنها لن تنفع المريد إذا تطلع إليها مباشرة فقط لنوضح الفرق الكبير بين ما هو في الشيخ وما هو للشيخ.

فما هو فيه متصل به ولا ينفك عن ذاته ومتصل باسمه وبروحه ولا يمرره للآخر وحتى إن مرر سره فإنه يمرر سر الله الذي وهبه الله له (ونمثل ذلك بإناء كبير من ذهب مملوء بالماء، فإذا سرى الماء في الكؤوس فإنه لا يمرر الذهب أيضا لأن الذهب

متصل بذات الإناء وليس بما يحتويه) وهذا ينطبق على ما للشيخ (الذهب) وما فيه (الماء).

❖ المعرفة بإذن الشيخ العارف:

والإذن شأن يخص الشيخ كما يخص المريد لأن الشيخ إذا لم يكن متمكنا من إذنه فلا يمكنه أن يمكن مريده منه.

وننطلق في حديثنا عن الإذن من المدعين للمعرفة بالله فيفسرون كلام الله بفهمهم ويأذنون لمن تتلمذ على يدهم بأخذ تلك المعرفة المختلطة والعمل بها، وهذا سوء فهم وسوء تقدير للإذن.

فالإذن هو أمانة تبقى متصلة بالآذن والمأذون، وإن كان في ذلك الإذن إذاية فإن الآذن يبقى مكلفا بما حمله للمأذون مادام متصلا بإذنه.

والشيخ العارف هو الذي لا يأذن بإذن المعرفة إلا إذا أيقن أن إذنه من إذن رسول الله الذي هو من إذن الله تعالى فلا يضر مريده ولا يؤدي أرواح العالمين.

وفي قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم"[5] دلالة على الأخذ بالإذن، وكما أن المشايخ العارفين يتقدمون مريديهم ويمررونهم بلمح البصر على الصراط، هناك أيضا من يحاسب على أرواح العباد الذين أذنوا لهم إذن إذاية وتفريط فأضروا بهم في الدنيا في الآخر.

---

[5]- سورة الإسراء، الآية: 71

لذلك فالإذن أمر عظيم، وليحرص المريد عن من يأخذ إذنه وليحرص الشيخ على أن إذنه محمدي رباني.

❖ المعرفة بمنهج الشيخ العارف:

معرفة شرائعية يميَّز بها بين الحق والباطل، بين ماهو من السنة وما هو ادعاء.

فالمنهج أمر حق واجب على كل شيخ عارف أن يظهره لمن قصده، وفي ذلك سبيل الوصول إلى الله بما آتى الله نبيه من فرائض وسنن، فلا يرى فيها زيادة في الدين ولا تنقيصا لقدر الدين.

والشيخ العارف هو من اكتملت فيه صفات المعرفة السابق ذكرها من سر وإذن ومنهج ومقام، فلا تعلو دعوته عن دعوة رسول الله ولا تبتعد معرفته عن معرفة الله تعالى، فإن لم يكن الحديث عن الله ذكر به وإن كان كذلك نفع به وإن سؤل عن الله عرف به وإن تحدث عن الله ربط به .

الشيخ الوَاصِل المُوصِل:

والحديث عن هذا الصنف مباشرة بعد الشيخ العارف هو أمر مقصود لأن المعرفة تؤهل للإيصال والإيصال لا يحدث إلا بالمعرفة بالله تعالى.

والشيخ الموصل هو من وصل ليُوَصل، فلا يمكن أن يحدثك شخص عن مكان ويصفه لك بدقة وإحكام وهو غير مطلع عليه وليس عارفا به، لذلك فإن شرط الإيصال أن يكون في الأصل واصلا موصلا، وصنف الشيخ الواصل وجب إدراجه في الموصل لما في ذلك من علاقة ظاهرية وباطنية بينهما نوضحها بإذن الله تعالى.

❖ الشيخ الواصل:

والمقصود بالوصول ليس رفع التكليف وليس رفع الحجاب ولا الخصوصية الأعلى منه ﷺ، بل الوصول لله يعني أن يحيى العبد بالله حياة تخلو منها همزات الشيطان ومحصنة من كيد الخلق وطاهرة من ظلام النفس والوصول أيضا يظهر في عناية الله بعبده فيشمله بمرضاته ويجعله محبوبا ومحبا لله تعالى فيتولاه الله عن أمره ويخلصه من كل شيء غير الله وهذا هو المقصود بالوصول، لكي لا يحدث في نفس طالب الحق شيء من الشك أو الغموض.

فلا أحد من الخلق يصل لله وصول تجريد وكفاية عنه أو استقلالية عنه ولو ذلك حق لكان ﷺ الأحق به، لكن الوصول الحق هو حين يتحلى العبد بجميع أوصاف العبودية وبمجامع السنة النبوية، فلا يرى ولا ينطق ولا يسمع ولا يبصر إلا بنور وبفرقان من الله عز وجل، ولا يرى في وجوده استقلالية عن الله ولا استغناء أو بعدا عنه بل إنه إذا ذكر الله أبصره بفؤاده وإذا دعاه سمع إجابته وإذا ناجاه خاطبه.

فالشيخ الواصل هو من تحقق بهته المظاهر الظاهرية في نفسه أولا، ومنها ما هو باطني كالرضا بالله تعالى والاستغناء عن الخلق استغناء الفقير إلى الله والغني عن العباد، وكذلك العيش بين الخلائق بالأجساد والأرواح متصلة بحضرة الله تعالى فيسقى منها كما يُطعم الجنين في بطن أمه. ومن أعظم نعم الوصول التي نحدثكم عنها هي نعمة المحبة وهي أقصى ما يتمناه السالك في سيره والعبد لوصوله، لأن المحبة تجلب النعم كلها وتفيض بالمعارف والقرب والحنين والشوق لله تعالى وهي مقامات عالية سنتحدث عنها فيما هو آت.

فعلامة القبول هي الوصول ومن مظاهر الوصول المحبة، وهي ليست بأن تحب الله محبة من العبد لخالقه لأن هته المحبة مفروضة على الخلائق كلها، بل أن يحبك الله تعالى فتحبه بمحبته لك، فمحبة الأم تسبق محبة الابن ومحبة الشيخ تسبق محبة المريد، ومحبة سيدنا محمد ﷺ لأمته تسبق محبة المؤمنين له وكذلك فإن محبة الله تعالى تسبق محبة العباد. فيعيش الشيخ الواصل بهته المحبة ويُسقى منها

وتزداد معرفته بها ويزداد قربا من الله كلما اقترب من مقام المحبوبية وهذا كله متصل بالشيخ أي أنه خاص به، فقد يكون له الإذن في جعل الآخرين ينتفعون منه وقد لا يكون، لذلك فإن الشيخ الواصل سمي واصلا لأنه هو من ينتفع من وصوله. ولا نتحدث هنا عن انتفاع النفس أو الانتفاع البشري الأناني بل إننا نجول في مراقي المشايخ وأولياء الله الذين دخلوا في زمرة المنعم عليهم فكل حديث عنهم هو متصل بأمر الله وكل انتفاع خصهم فقد خص الخلق جميعا إلا أنه قد يكون بالستر أو بالجهر.

❖ و الشيخ الواصل ثلاثة مدارج:

- **واصل له:** أي أنه تحقق بالوصول والحصول، فحضي فعناية الله وخصوصيته وحصنه، لكن فيضه يبقى في خزائن طيات قلبه فيحيى بسره في الستر ولا يجهر به بل ولا يظهره لا بالقول ولا بالفعل ولا بالحرف، لأن أمر الله تعالى تجلى فيه بالكتمان وحفظ الأمانة، فلا يصح له إلا الدعاء للخلق.

- **واصل به:** وهو أن يكون واصلا ويرشد العباد للمُوَصِّل، فقد يكشف بعضا مما جاد به الله تعالى عليه قصد إظهار الحق أو التوجيه للصواب والنهي عن المنكر، فيخفي سر الله في باطنه ولا يجهر به إلا لمن أتاه طالبا التوجيه أو رأى من الفتن أو المزالق ضرورة التحذير، وهذا الإظهار لا يحصل إلا بإذن إلهي في الأمر، فيتجدد إذنه

على كل ضرورة أو فعل أو أمر، فإذا أذن له تكلم وإذا لم يؤذن له ظل كاتما لسر الله في قلبه.

- المُوصل: وهو الأقرب للتوصيل والأجذر بالإيصال، لأنه ممن اجتمع فيهم الوصول والجهر بما أتاهم الله خدمة لخلق الله تعالى، وبوصوله يعين الخلق ويوجه المخطئ ويصحح وجهة التائه إلا أن إذنه قد لا ينتفع منه سائر الخلق ويكون موجها لأنواع روحانية محدودة وغالبا ما يكون مريديه واصلين غير موصلين، لأن إذنه محدود بأصناف روحانيا.

فهناك من الأرواح من تأخذ عن مشايخ مُوصِلين لكن لا يجدون في صحبتهم ما يقوي روحانياتها، فتبقى الروح محدودة في نطاق أو في ذكر أو في وجهة ضيقة فتعذب الروح بالصحبة وتبقى مقيدة ولا تتحرر جواهرها، وهذا ما يسمى ب "صحبة التهييئ "، أي يُصحب هذا الشيخ ليهيئ مريده لمقامات الرقي وصحبة المشايخ الكمل.

وهذا كله من تصريف الله وفعل قدرة الله تعالى، فيكون الشيخ المُوصل عارفا بهته الأرواح ويحفظها في حصنه إلى أن تكتمل وتنضج وتتهيئ ويقدمها لأهل التوصيل والإرشاد.

❖ الفرق بين التوصيل والإيصال:

وهما متصلان بحقيقة الشيخ، فالمُوَصّل هو المكلف بالتوصيل أي أن يحمل المريد من مقام ويضعه في مقام فيسلك به بين الحقائق والسرائر إلى أن يأخذه من الحضرة المحمدية إلى الأحمدية إلى الأحدية وهذا ما يسمى بالتوصيل أي توصيل الروح إلى أصلها وإعادتها لعالمها.

أما الإيصال فهو خاص بالمُوصِل ويُقصد به رفع الحجب الظلمانية والحجب النورانية والتعريف بحقيقة السير إلى الله تعالى ومقاصده وأهدافه، فينضج المريد روحيا وعقليا ونفسيا نضجا يؤهله للتوصيل.

❖ مقامات السلوك صحبة الشيخ المُوصل:

وبإذن الله تعالى سنتوجه بالحديث عن مقامات السلوك صحبة الشيخ المُوصل وهي في الغالب ما تكون تربوية أكثر مما هي روحية، فيتربى المريد ويتعلم الأدب والخدمة والامتثال وبصيرته قد لا تكون مفتوحة على الحق ولا على تجلياته ولا على أنواره، لأن الإيصال كما قلنا متعلق بوصول التربية وسلوك منهج الأدب، فيخدم الشيخ الموصل دعوة الله تعالى بتربية النفوس وقهرها وبتعليم ركائز السير ومفهوم السلوك وبحث المريد على الأدب في حضرة الله وفي حضرة نبيه ﷺ وبالتوجيه لضرورة ذكر الله تعالى فيعيش المريد مرارة التزكية دون أن يتحلى بجمال المشاهدة ونفحات الأنوار.

بل يبقى العالم الروحاني خاص بالشيخ، فيكون هو من يعيش التجارب ويحكيها لمريديه ومجالسيه، ويبقى المريد متخبطا بين حرارة الإرادة والوصول إلى المشاهدة وانفتاح البصيرة وبين أوامر شيخه المحدودة في تربية السلوك.

والشيخ المُوصل غالبا ما تكون تربيته معتمدة على منهج الزهد، وإن فتح للروح سبيل المعراج فإنه يكون محدودا في مظاهر دينية دنيوية كمشاهدة الكعبة أو القبة الخضراء أو بيت المقدس أو غار حراء... وهذا ما يقصدون به الفتح، ولا يكون إلا للقلة من المريدين ولأكثرهم تزكية وأطولهم صحبة.

ولكن الفتح حقيقة هو أن تنفتح بصيرة المريد على بصيرة شيخه فيعرف شيخه قبل أن يتعرف على العوالم الأرضية وباتصاله بشيخه فإنه يتعرف على عوالم الروح ومظاهرها ومن ذلك يتصل به ﷺ اتصالا بفتح من شيخه.

واعتماد منهج الزهد في تربية المريدين ليس اختيارا من الشيخ المُوصِل بل هو أمر متعلق به وما يحتويه إذنه وسره، فإذا كان إذن الشيخ محدودا في التربية فلا يمكنه أن يفتح لطائف الأرواح ولا أن يرشدها في عالم الروح.

فالمريد إذا رأى في صحبة شيخه اعتمادا على منهج الزهد واقتصار الشيخ على حكاية تجاربه الروحية للمريدين دون أن يفتح لهم باب التجارب، فليعلم أن وصوله سيكون جافا من سر الله في روحه وأنه لن يصل إلا بعد أعوام مديدة من المجاهدة التي قد لا يحتملها كثير من الخلق، وأن وصوله سيكون بعلم اليقين وليس بعين اليقين أي غير متحقق باليقين الكامل ولا بالتسليم الشامل.

لأن السلوك إلى الله لا يخلو من الاختبارات والمزالق، واختبار المفتوح عليهم يكون أشد وأصعب من الذين يتعبدون بالذكر فقط، لأن الكشف والمشاهدة قد تأخذ المريد للمقامات العليا أو قد تعيده للسافلين.

فمصاحبة الشيخ الموصل فيها رحمة وهداية وتربية واستفادة، لكن من أراد الوصول إلى الله بمعرفة بالله وبمشاهدة لرسول الله ﷺ فليعلم أن الخير موجود، ومن أراد انفتاح البصيرة فليبحث عن من هم أهل لذلك وذوو إذن صحيح، ولا يترك

روحه جافة ولا يمهل نفسه بانتظار الفتح من شيخه، لأن فتح البصيرة يأتي وإن طال

بعد ستة أشهر من المصاحبة وهذا على أعلى تقدير وقد يفتح الله عليه في يوم واحد،

فإن **"ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "**[6]

[6]- سورة الجمعة، الآية: 04

الشيخ المَوْصُول:

والمقصود بالوصل هو الاتصال به ﷺ وصل تحقيق ومحبة وفناء وتعظيم، وصل طاعة وثناء وتقدير.

فمن وُصل برسول الله ﷺ يقظة فقد فاز وتحقق بالكفاية المحمدية التي تغني العبد عن كل آدمي وأي بشري. فيسمع التوجيهات منه ﷺ ويحكم بلسانه ﷺ ويقضي بين الناس بحكمته ﷺ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر به ﷺ فيكون اتصاله كاملا لا يشوبه نقص ولا تدخله وساوس ولا تهزه فتن.

والشيخ المَوْصُول هو من أُوصِل عن طريق شيخ محمدي فتح له باب الحضرة المحمدية لأن الدخول عليه ﷺ دخول تحقق ومجالسة يحتاج إذنا صحيحا منه وسرا فتاحا منه ﷺ أودعه في قلوب المشايخ المحمديين.

ولا ننكر أن الاتصال به ﷺ لا يمكن إلا عن طريق شيخ محمدي، بلى وقد يكون منه ﷺ مباشرة فيتجلى في منام العباد يوجههم ويدلهم وقد يظهر لهم في آيات الله الموجودة في الكون. لكننا هنا لا نتحدث عن الاتصال الذي يحدث مرة في العمر أو مرة في سنة فقط، بل نتحدث عن الوصل الدائم به والجلوس المستديم في حضرته والقرب الكامل منه، فحيثما ولى العبد وجهه يبصره ﷺ ويحيى به حياة محمدية يتصرف فيه ﷺ بأمر الله تعالى.

وهذا الوصل لا يتحقق إلا بمن مر بهذا الطريق من قبل وسرى فيها وأيقن سبلها وتأكد من مزالقها، فمن أراد أن يتقن علما أو فنا أو حرفة قصد من هو أقدم وأعلم وأفقه منه في ذلك الميدان، وهذا بذاته ينطبق على العلوم الباطنية. فالوصل لا يحدث إلا بمن وُصل واتصل ثم أَوْصَل.

إذا فالشيخ المَوْصُول يكون قد أخذ عن شيخ حي وجالسه وتربى على يده وأخذ منه الإذن مشافهة بالظاهر ومبايعة في حضرته الباطنية ﷺ، فلا يمكن لشيخ أن يدعي الوصل به ﷺ وهو لم يصحب شيخا حيا واكتفى بذكره للمشايخ الأموات.

وفي هذا المقام، وجب التفريق بين الوصل والاتصال: فالوصل يكون دائما ويعني الربط، وَصَل الشيئ بالشيئ يعني جعله متصلا اتصالا كاملا ؛ "فنقول وصل المصباح بمولد الكهرباء" و نقول "اتصل فلان بفلان ليعرف أخباره"، فالاتصال آني فوري ثم ينقطع أما الوصل يبقى مستمرا مزامنا للفعل والحدث.

فصحبة الشيخ الحي ضرورية للتحقق بالوصل كما قلنا، لأن الأخذ عن المشايخ الأموات فيه بركة وفيه استئناس لكنه لا يحقق بالمراد، فلا يمكن تفضيل قصص الأولياء في الكتب وإعطاءهم الأولية على من هو حي سيسايرك ويعينك إلى أن يوصلك إلى المقصد. وإضافة إلى هذا فإن الإنسان بشكل عام لا يستطيع أن يعرف عيوبه كلها بنفسه بل يحتاج لمن يريه تلك العيوب وينصحه بتجاوزها، وهل الميت

سيعينك على ذلك؟ كما أنه يستحيل الإقبال على رسول الله ﷺ بالوصل والعبد لا يزال متدنسا بالظلمات ويحمل في باطنه ما لا يليق بمقامه ﷺ وبمجالسته.

ولا نبخس المشايخ الأموات أشياءهم والعياذ بالله، فلكل شيخ زمانه ومقاصده وواجباته، والزمان يتقلب بتقلب الإنسان، فتجديد المشايخ لا يعني الاستغناء عن الأصل بل في ذلك التجديد مواكبة للأزمنة بتجديد ما أمر به الله ورسوله. يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[7].

والتجديد هو أن تُعَرِّف الدين كما جاء به ﷺ بما يفهمه الجميع، وبما تستجيب له العقول، فلا يمكن أن تحدث شباب اليوم عن منهج الزهد وتقليل الأكل وقيام كل الليل وصوم معظم أيام السنة من أجل التقرب من الله، فبهذا لن تجد لدعوتك نتيجة. فالحكمة الربانية من التجديد هي تأطير الزمان والمكان المحدث المتجدد بصحيح الشريعة والعقيدة المحمدية.

لذلك فالشيخ المَوْصُول هو الذي أُدخل في زمرة السلسلة الذهبية من شيخه الحي إلى مشايخه إليه ﷺ،واتصل به ﷺ اتصال وصل ومحبة.

[7]- روى هذا الحديث أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري قال: أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". وهو حديث صحيح، رواته كلهم ثقات.

الشيخ المَوصُول وأسرار سريرته:

وبإذن الله تعالى ننتقل للحديث عن الشيخ المَوصُول وأسرار سريرته، ليس بالإحاطة أو الكلية بل فقط بما يفيد الخلق ويسهل عليهم أمر الأخذ عن الشيخ لأنه من غير الممكن المعرفة بسريرة المشايخ معرفة جامعة لأنها متصلة بالله والله كل يوم هو في شأن.

- كما سبق ذكره أن الوَصل يكون به ﷺ، فيكون للشيخ حقيقة معه ﷺ وحقيقة مع الخلق، أي أنه يستمد من الحضرة المحمدية استمدادا نورانيا روحانيا ويمد به مريديه حسب طاقة كل واحد وحسب صفاء كل روح.

وخصوصية المشايخ الموصولين أنهم يزودون كل مريد بما يُطيق ولما يستجيب فلا يحرمون الروح حتى تجف ولا يعطوها ما لا تطيق حتى تتيه.

لأنه من الذنب الكبير والخطأ الجسيم تحرير الأرواح في عوالم لا يعلمها الشيخ أو تزويدها بأنوار لا تستطيع تحملها فيهلك الشيخ مريده يا إما بحالة الجذب وهي مستويات أو بحالة الجفاف.

- واتصال الشيخ برسول الله ﷺ هو اتصال بحضرة الله تعالى، فالرسول الأكرم يستمد من الله و أمة سيدنا محمد ﷺ تستمد منه، فاتصال الشيخ برسول الله ﷺ هو اتصال بالله وهذا يمنع أي شك في صحة الشيخ أو صحة اتصاله.

- حضرة رسول الله ﷺ هي حضرة دنيوية وحضرة برزخية، أي أنه يتابع أحوال الأحياء من أمته وأحوال الأموات من أمته، فهو الشاهد وهو المشفع.

فمراقبة الشيخ لمريديه هي مراقبة محمدية لهم أي الاتصال بحضرته الدنيوية الحية في الوجود، فيجد المريد نفسه مراقبا ومحصنا ومحفوظا بأنواره ﷺ عبر شيخه.

وهذا المقام من أجود المقامات التي يستفيد بها المريد من سريرة شيخه المنفتحة على رسول الله، وصحبة الشيخ الموصول تجعل المريد في صحبة رسول الله ﷺ بالتوجيه والتربية.

- من أسرار السريرة أيضا نجد سر الفناء، فيكون الشيخ فان فيه ﷺ فلا يرى تصرفا ولا كلمة ولا قولا إلا به ﷺ،فيكون توجيهه للمريدين من توجيهه ﷺ وتكون دروسه ومواعظه وحكمه منه ﷺ،فيتحدث بلسان الحضرة المحمدية ويقضي ويتصرف بأنوارها وأسرارها.

ليصبح الشيخ الموصول هو محط تنزلاتها الدنيوية، وهو من ينقل أحكام البرزخ إلى تطبيق الظاهر، فإذا قضى ﷺ بحكم باطني نقله الشيخ إلى العالم الظاهري وهذا مستوى قوي من الاتصال والوصل الكامل به ﷺ.

- أيضا في سريرة الشيخ محبة نورانية ربانية له ﷺ،فإذا تحدث الشيخ فبمحبته ﷺ وإذا وجه فإليها وإذا تكلم فعنها وإذا تصرف ظهرت سنته ﷺ فيه، فيكون التجديد والإحياء لنور الله المتوارث عبر الأزمنة والظهور.

لأن سر الله حي في الكون أراد العباد أم لا وسر رسول الله ﷺ موجود في الأحياء سواء أكدوه أو أنكروه، لأن وعد الله في كتابه حق مستمر في الوجود ورسالته ﷺ أيضا، لذلك فإن المكلف بحملها وتجديدها تقتضي فيه حكمة العناية المحمدية والإرشاد الأحمدي.

- والشيخ الموصول به ﷺ يكون من الدعاة الأشداء إلى منهجه وإلى رسالته ولما كان يدعو له ﷺ،وإذا استصعب عليهم شيء توجهوا إليه فأجابهم إجابة مباشرة منه لا من الآخرين، وبذلك فإن منهجهم يكون محمدي بالتأكيد، منه ﷺ وإليه.

- ومن الأسرار أيضا خدمة الرسالة المحمدية، وبهذا الوَصل المحمدي يصبح الشيخ داعيا إلى الله عبر منهج رسوله ﷺ .

لأن الشيخ ليس هو الشيخ الداعي الى الله، فالاختلاف يكمن في أمانة التكليف. فالشيخ قد يكون مكلفا بإرشاد من سأله الإرشاد وتوجيه التائهين من العباد والأخذ بيد من أراد الوصول إلى المراد، أما الشيخ الداعي إلى الله فهو مكلف بتصحيح أخطاء الأمة بإحياء الدين، والبحث عن التائهين وتصحيح مقصدهم حتى وإن لم يطلبوا ذلك، أيضا من واجبهم مواجهة الخوارج من الأمة ومعارضة الطغاة والمفسدين، والدعوة إلى الله بالجهر وبالكلم وبصحيح العقيدة والشريعة.

فهذا الوَصل به ﷺ يؤهل الشيخ ليكون داعيا إلى الله تعالى وهته الدعوة لا تمر إلا به ﷺ لأنه الأعلم بأمته والأذرى بنواقصها والأقرب لمعرفة فتنها ومغرياتها، فتجد

الشيخ يجيب على ما استصعب عن الإجماع وما توقف عن ذكره العلماء حتى لو لم يكن عالما بذلك الإشكال من قبل، فيكون علمه من علم رسول الله ﷺ وتعليمه منه، فلا يجد ضرورة في قراءة الكتب ولا متابعة المستجدات إنما يأخذ صحيح الأخبار منه ﷺ لأنه الشاهد على أمته، وباتصال الشيخ برسول الله يستمد من مراقبة رسول الله لأمته.

- ومن الأسرار الكبرى والنعم العظمى والمكارم الجامعة أن الشيخ الموصول يوصل الى حضرته ﷺ،فمن قصده وأخذ عنه وصاحبه يجد نفسه في حضرته ﷺ يصلي عليه وقلبه خاشع وعينه دامعة وروحه مستمدة وهذا من فضل الشيخ الموصول عليه حيث يفتح له باب الدخول ويرفع عنه حجب الظلام ويملأ قلبه بالنور ويصقل جوهر روحه فيكون اتصال المريد برسول الله ﷺ متحقق بإذن الموصول في ذلك، فلا يجد عوائق ولا صعوبات ولا مجاهدات ولا يحتاج لسلوك منهج الزهد، فصحبة الموصول تكفيه وتصله بالحضرة المحمدية.

❖ ضوابط الشيخ:

وللشيخ ضوابط محمدية وأخرى إلهية نورانية تصله بمريده، وفي هذا المقام من المشيخة والاتصال سنتحدث بإذن الله عن المريدية وعن اتصال المريد بشيخه وكيف تكون رابطته الروحية والقلبية معه، وهو باب كبير واسع من المعارف وتصب فيه كل الحقائق وترويه تجليات الأسماء والصفات، فسالت بالحديث عنه الأقلام والأحرف والكلمات بوصفه وتقديره وهامت القلوب والأشواق بالمدح في محبته و فنت الأنفس والصفات في أرض المريدية، وما سندرجه في هذا الجزء خاص بسير المريد وبعلاقته بشيخه وبعلاقة شيخه به في إطار التربية والتوجيه، ثم في مدارج المحبة والفناء والتفاني.

❖ من هو المريد ؟

- المريد هو من أراد الله والسالك هو من انتقل من الإرادة إلى تفعيلها.

المريد هو من نوى السلوك والسالك هو من تحقق بالسلوك، فالمريد السالك هو من انطلق في سيره وصاحبته الإرادة في كل مراحل السلوك.

والمريد السالك فئة من العباد، فالمؤمن قد يكون عبدا لله تعالى لكن غير متحقق بالمريدية لأنها تقتضي بل تستوجب مصاحبة أهل المعرفة ولا يتذوق المسلم سر السلوك ولا طعمه وحسناته إلا بهته الصحبة

وأكثر ما يميز صفة المريد هو حرصه على تطهير نفسه وقلبه وروحه قبل كثرة الذكر والعبادات والصلوات، لأن المسلم لا يصل للمريدية بذكره ولا بعبادته بل بتزكية نفسه وتطهيرها، فكم من عابد ذاكر مذكر ذاكر يعصي الله في سره ويظهر العكس أمام الخلق فيكون ذاكرا بنفسه لا بأمر الله، وكم من مريد يحرص على تأدية الفرائض والإتيان بالسنن ويعمل على تخلية باطنه من الشوائب والشهوات وهذا خير عند الله وأزكى وأطهر.

"إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[8]، ونظر الله تعالى واسع يشمل الإنسان وما يعتريه وما يغطيه، لذلك فالعبودية تختلف عن المريدية وإن اجتمعت في الشخص فإنها ترقيه وترفع درجاته وتقربه من مقصوده.

فالمقصود بالعبودية هو أن تعرف الله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[9] أي ليعرفوا الله معرفة تجعلهم يعبدونه ويكونوا عبادا، فإن لم تكن هته العبادة تحقق الشخص بالمعرفة فإنه لم يتصف بعد بصفات العبودية، لذلك فالتزكية والمجاهدة تسبقان الذكر كما قال الله تعالى :"قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى"[10] .

---

[8]- حديث صحيح

[9]- سورة الذاريات، الآية: 56

[10]- سورة الأعلى، الآية: 15

ووجب التمييز بين المريد والسالك والعبد لننتقل لأنواع الاتصال بين المريد وشيخه:

❖ المريد اتجاه شيخه:

- اتصال أولي بالأشباح:

وهو محط نظر المريد في بداية سيره فينظر إلى تصرفات شيخه ويقارنها مع تصرفاته، ويعمل على الامتثال له في الظاهر والاستمداد من سلوكه، فيكون الشيخ قدوة لمريده.

وهذا جزء مهم يجعل المريد متأدبا في ظاهره بداية ويهيئه لأدب الباطن.

فيوجه المريد تفكيره لشيخه وجسده لجسد شيخه ، وقد يقع في هته المرحلة في حجاب البشرية وتحصر علاقته مع شيخه في نطاق الجسد ويغفل عن الجوهر الذي هو ال روح، وهذا درج يمر به كل مريد سالك إلى أن يجود عليه الله برحمته وفضله وينقله من النظر الآدمي إلى النظر القلبي.

- اتصال بالوجدان:

حيث يتحرر المريد من نظره المحدود المقيد وتُحيي في باطنه وقلبه شعلة الروح، فيسعى إلى تقدير شيخه وإعطاءه الأولوية على أمره وتفضيله على سائر الخلق، فيصبح اتصاله يفوق الجسد ويخترق القلب فتفيض عليه المحبة ببعض من

فيوضاتها، فيدرك المريد شيئا من حقيقة شيخه وأن الذات هي غطاء يضم ما هو أعظم وأجل.

وكل ما قيل وما سيقال هو من فضل الله تعالى على المريد أولا ثم فضل رسول الله ﷺ ثم فضل شيخه عليه، لأن عناية الشيخ للمريد تسبق إرادة المريد، ولولا مخاطبة الشيخ لروح المريد لما استيقظت الشعلة النورانية التي تُحيي الروح.

- ارتباط بالأرواح:

وهي المرحلة الانتقالية التي تحمل المريد من نفسه إلى شيخه، وهي بداية السلوك الحقيقي حيث يرتبط المريد بشيخه ارتباطا يفتح بصيرة المريد على بصيرة شيخه فيتذوق من معارفه ويسقى من حضرته ويحيى بأسراره ويذكر الله تعالى بسريرة شيخه.

وهذا الارتباط الروحاني أو ما يسمى بالرابطة الروحية هي استمداد نوراني من أصل النور، ونوضحه بما يلي:

الروح من أمر الله وأمر الله تعالى نور من أصله، وبمكوثها في الجسد تقل نورانياتها وتنطفئ وتحتاج لمن يوقد سراجها وجوهرها، فالنار لا توقد إلا بالنار والروح لا تحيى إلا بالروح لذلك فهي بحاجة لمن ينورها من جديد ومن يحررها من الاتصال بالجسد وهذه مهمة الارتباط الروحاني بالشيخ لأن روح شيخ منورة محررة متصلة بالله وبمجرد الاتصال بها فإن الروح تُحيى حياة نورانية محمدية.

وهته المرحلة مهمة في سير المريد لأنه بعد تزكية نفسه وباطنه بالتطهير يحتاج للتنوير والذي يتحقق بالاستمداد المباشر من أصل النور.

هل يمكن للانسان الضعيف أن يستمد من الله مباشرة، وهل يمكن للانسان المذنب المخطئ أن يستمد من رسول الله ﷺ مباشرة، إنما يستمد من أقرب وصل وهو الشيخ.

- الارتباط بالمحبة:

وهو في الحقيقة ليس ارتباطا بل فناء عن الارتباط فينفصل المريد عن شيخه انفصالا بالذات ويرتبط به ارتباطا بالأصل ولا يتحقق بهذا المقام إلا بالمحبة التي تحييه وتحيي فيه الحياة بالمحبة، فإذا رأى شيخه أبصر سره وغاب فيه عن ذاته وإذا اتصل بسر شيخه فنى عن وجوده.

وللمحبة أسرار عظيمة تكاد أن تكون سر الخلق بعد إرادة الله تعالى، فمن أحب شيخه فقد فُتحت أمامه أبواب المحبوبية والوصول لمحبته ﷺ الموصلة لله تعالى.

❖ الشيخ اتجاه مريديه:

أما ارتباط الشيخ بمريده وقد قصدناه في الأخير لما فيه من رفع للهمة وإحياء للعزيمة وتوضيحا لقدر المشايخ والأولياء.

فارتباط الشيخ بمريده لا يكون إلا بثلاث:

- محبة في الروح سبقت التحقيق.
- عناية من الأصل كتبت قبل بعث الأجداث
- دعوة إلى الله حقت في الشيخ قبل المريد.

- لأن أرواح المشايخ اجتمعت بأرواح المريدين في عالم الذر قبل أن يعرفوا بالأسماء ولا بالأوصاف، لذلك تجد للمريد ميولا باطنيا لشيخه قبل أن يأخذ عنه وهذا ما يقصد بالعناية الربانية وبالإلهام الروحاني، فمن اتصلت روحه بروح شيخه في عالم الذر سيتحقق بذلك الاتصال في عالم الدنيا حتى وإن طالت مدة اللقاء فيكون الشخص في رعاية شيخه إلى أن يلقاه.

- أما الاتصال الأكمل وهو الذي تسبق فيه المحبة باقي الأوصاف، فيمد الشيخ مريده بأنوار القرب من حضرته وبأسرار مقامه وروحه، فيجد المريد نفسه متحققا بالقرب والتسليم والمحبة والرضا والفناء في وقت وجيز، وهذا من عمل شيخه فيه وليس باستحقاقية منه.

وهته الحالة إن كانت لا يظهرها الشيخ لمريده بل يتركه يعيش بها وفيها، لأن أحوال المحبة لا تحكى باللسان بل تعاش بالوجدان.

- أما الحال الآخر وهو الأشمل والأكثر وسعا وهو اتصال من باب الدعوة إلى الله، فيكون للشيخ مهمة الدعوة إلى الله فيفتح الباب لجميع الخلق ويجعل روحه مرشدة للكل ومسكنا للخواص وسكنا للمحبين.

وحتى وإن كانت لبعض المريدين خصوصية ارتباطهم بالشيخ في عالم الذر بالمحبة فإنه لا يظهرها لهم ولا يميزهم عن باقي المريدين فتكون تربية الشيخ شاملة يخضع لها الجميع، وقد يشعر المريد بهذه الخصوصية في همته المرفوعة وحرقة طلبه الدائم وهذا ما يخلق الفرق بين المريدين، ليس بالكشف ولا بالمشاهدات بل بالهمة الحية والقصد الثابت والقلب الذاكر.

الشيخ المُوَصّل:

وهو الذات التي اجتمع فيها الاختيار والاجتباء والروح التي اجتمع فيها الإيصال والإتصال والوصل، فهو الموصل الواصل الموصول واجتمعت أمانته وسر تكليفه في الشيخ المُوَصِّل وجعل من لدن الله تعالى العارف به وبحقه والموصول بحضرة نبيه ورسالته والمتصل بالأمانة وسر الإرشاد.

وسنميز بإذن الله تعالى بين حقيقة الشيخ الغيبية وحقيقته المحمدية وحقيقته البشرية، لأن المشايخ الكرام هم للخلق رحمة ولرسول الله دعاة ولله تعالى وسائط في الوجود.

- حقيقة الشيخ الغيبية:

وتخص علاقته بربه، علاقة لا يحيط بها الزمان ولا المكان ولا يؤطرها الواقع الملموس المحسوس ولا ينهجها نهج العامة وحتى الخاصة، لأنها علاقة سامية فريدة نورانية، وهؤلاء المشايخ هم خاصة الأرواح التي حملت في روحه ﷺ ليلة المعراج فسلم الله عليها بسلامه وتسليمه.

وسر هته الحقيقة أن المشايخ المُوَصِّلين هم الوسائط الكونية والتنزلات الإلهية، فالوسيلة خلق منها الخلق والجنة النار والأكوان والأراضي والسموات، وبها يصل

العبد إلى ربه، وبها يعرف العبد ربه معرفة بمعرفة الوسيلة له، فالوسيلة هي الأم والوسائط هم التفرعات.

والمهمة الأولى لهته الوسائط هي وصل المريدين بالوسيلة فيتحققوا بالاتصال بها.

أما المهمة الثانية للوسائط هي تصرف الله تعالى الغير مباشر في الوجود وخاصة في عالمي الانس والجن.

لأن التنزلات المباشرة من الله تعالى على الوجود تكون عبر الأنبياء والمرسلين وتستوجب أن يكون المتنزل عليه حي في الحياة الدنيا لا في الحياة البرزخية، لذلك فإن مهمة الوسائط جعلت أيضا في التصرف بالواسطة في الأرض، وتتجدد عبر الازمنة والدهور.

فحقيقة الشيخ الغيبية تعني كون روحه من الوسائط الكونية، فتكون المتصرفة في الكون بإذن الله وقدرته، فالماء الذي يسقي الأجساد مثلا لا نستمده من الغمام مباشرة، بل إنه يتنزل بوسيلة المطر ويمر إلى الإنسان عبر وسائط كالأنهار والوديان .

و اسم الشافي متصل بالله تعالى ومن قدرة الله لكنه يتنزل بنعمة العلاج على الوسائط كطبيب الأجساد أو طبيب الأرواح.

هذا هو دور الوسائط، يا إما يكون وصلا بالوسيلة أو تصريفا لقدرة الله في الوجود.

- حقيقة الشيخ المحمدية:

وهو توجهه المحمدي لرسول الله واتصاله بالوسيلة، فالهرم تكون قمته في السماء وقاعدته في الأرض، كذلك أرواح المشايخ كالهرم، قمتها متصلة بأرض الأحدية وقاعدتها بأرض البشرية وقلبها وجوهرها هو الحضرة المحمدية، فتكون هي وسط الطريق ولب الروح وجوهر القلب.

وهو ليس وجها للتصريف ولا وجه التنزل ولا التحقيق، بل هو مدد الشيخ المباشر من حضرته ﷺ.

حيث يكون الشيخ فان متفاني في دعوته ﷺ وفي تبليغ رسالته ونصرته، فتصبح الحضرة مسكن الشيخ وذاته ﷺ حقيقته وروحه ﷺ سره.

واتصال الشيخ برسول الله يكون اتصال بحقيقتيه الأحمدية والمحمدية، فالأحمدية اتصال بروحه ﷺ واستمداد من أنوار أسماء الله الحسنى المتجلية فيه، والاتصال بالأحمدية يكون استمدادا من الصفات الكاملة لسيدنا محمد ﷺ.

ليكون بذلك محمد مرآة أنوار الله والشيخ مرآة لحقيقة رسول الله ﷺ الأحمدية الروحية والمحمدية الذاتية.

- حقيقته البشرية:

وهي صورة الشيخ تجاه الخلق والمخلوق أي الوجه الذي يظهر للعباد.

فالشيخ إن ظهر باتصاله الغيبي وتجلى به على الخلق تاهوا وانجلوا وإذا كشف لهم حضرته النورانية ووجه المحمدي لاتخذ رسولا، فمن حكمة الله ورحمته بالخلق أن جعل المشايخ مستترين في حجاب الذات والطينية، لينتفع بهم الخلق ويستمدوا من ما ستر عنهم استمداد يعلمه الشيخ ويخفى عن المريد.

وقد يصل هذا الاستمداد إلى الصحة والرزق والأبناء فيُشفى المريد من سقمه بمجرد الاتصال بشيخه وهو غير مدرك بسبب شفاءه، لأن روح شيخه فيها إذن العلاج من اسم الله الشافي، أو قد يُرزق المريد بفضل شيخه رزقا بالمال أو بالبنون، وهته مظاهر دنيوية بسيطة من نعم هذا الاتصال، والنعم الأخرى أعظم وأكبر.

والحقيقة البشرية للشيخ هي إرث في الذات قبل الروح، فرغم بشرية الشيخ فإن ذاته لا تكون كسائر الخلق ونور وجهه ليس ككل الناس، بل يكون مميزا بأسرار ذاته بفعل سريرة روحه؛ فالحقائق المجتمعة في الشيخ تتقلب في باطنه بتقلب أحوالها وتجلياتها تنزلاتها، فيحصل فيه الجلال بفعل ما صرفه الله تعالى في روحه أو يتصرف فيه الجمال بنظرة الله إليه او بالعطاء بفيض الله على روحه، فكل أحواله تأتي من تقلبات شأن الله تعالى فيه، وهته التقلبات تسمى بالتصرف الموسوط ونوضحه هنا بشكل أدق بإذن الله تعالى.

إن تصرف الله تعالى عبر أرواح المشايخ ليس عدم قدرة منه على التصرف المباشر وليس نقص فيه والعياذ بالله، بل هي نعمة كبيرة ورحمة عظيمة لو علمها لعبد لما تطاول على حق الله.

فالله تعالى كنز محفوظ محقق بالتجريد أي لا يحيط به إطار ولا إناء ولا زاوية ولا ركن ولا ذات ولا تجسيد ولا تجزيء، وهذا التجريد تتصف به كل حقائق الله الغيبية، فالقدرة مثلا تتصف به كونها تخرق المحسوس والعادة والقاعدة كلما أراد الله تعالى وكيفما أراد، ورحمته أيضا متصفة بالتجريد حيث أنها قلب الهوية وروحها التي لا مد لها ولا عد لها.

أما الإنسان فهو مخلوق في إطار وفي زمان وفي مكان أي فيه الحدوث وإذا خرج عن مكانه أو زمانه أو أصابه السقم أو الحزن فإن لا يجد لذلك قدرة على التغلب، وكيف بالمتجرد أن يتنزل في المحدث وإذا تجلى فإنه يهلكه ويفنيه فناء لا حياة بعده.

فمن رحمة الله بنا أن جعل هذا التصرف بالوسائط، فتقل حدته من التجريد الى التحقيق إلى التفعيل. فيكون التجريد في الحضرة الأحدية في ممالك الغيب والتحقيق يحدث في روح الواسطة والتفعيل في جسدها، فيمر التصريف بما يفيد الخلق ليحققهم بمراد الله تعالى، لذلك فروح المشايخ نعمة في الوجود وكرم من الله تعالى؛ فيكون تحرك القدرة في حضرة الله ويتنزل اسمها في روح الواسطة ويُفعل تصريفها في ذاته وقد لا تصل إلى مرحلة الذات وتتوقف في الروح.

ومن أسرار أرواح المشايخ أنها تجول في الوجود بإذنه ﷺ وبختمه فلا يوقفها ملك ولا يضمها حجاب ولا يستوقفها باب، لذلك قد تجد روح الشيخ في ممالك الجن، وفي عالم البرزخ، وروح ساجدة مع الملائكة في البيت المعمور، وروح حاضرة في مجلس الديوان، وأخرى في حضرة رسول الله ﷺ مع أن الذات ساكنة في مكانها تجالس وتحدث من يحيط بها؛ فالكرامات التي تعتري المشايخ عديدة يصعب حصرها لأنها من فعل الله القادر، وفعل الله إذا تحقق بإذن الله ورسوله فإنه يصبح براقا في الوجود.

ومن أسرار أرواح المشايخ أن الله أعطاهم من قدرة روح سيدنا محمد ﷺ الخاصة بأمته، فتحمل الأرواح في داخلها وتفتح أبواب الاتصال بلطائفها وتنفتح بانفتاح بصيرتها، فتصبح كالكتاب المكنوز والسر المدفون والحقيقة المخفية في عوالم الرحمن، وكل ورقة منها تأخذك إلى عالم وتحملك لحضرة وترقيك في المدارج وتزكيك وتفنيك لتحييك.

ولا يعرف أسرار أرواح المشايخ إلا من فتح لهم المشايخ هذا الباب، لكونه خاص بسر الله، وعدم اطلاع العباد عليه لا يعني انعدامه أو تكذيبه بل هو من انعدام قدرة العباد على تحمل معرفته وأنواره. والكرامات في حق المشايخ مفتوحة موجودة صحيحة.

❖فما المقصود بالكرامة ؟ وما الفرق بين الكرامات والمعجزات؟

المعجزة هي الفعل الذي أحيى الكرامة، والكرامة هي من فعل المعجزة، وسميت بالمعجزة لأن فيها العجز البشري واستحالة القيام بها استحالة عقلية سواء كان فعلا أو سكونا أو حركة، ثم يُفَعِّلُها الله بقدرته في شخص اختاره وهم الأولياء والمختارون فتكسر قاعدة الإعجاز.

مثلا : في مادة الرياضيات تكون إحدى المسائل شادة صعبة الحل والكل ينظر إلى أن حلها معجزة، فإذا استطاع احدهم فك عقدتها تنتفي فيها صفة الإعجاز ويتداول حلها ويتم العمل به.

هذا هو التمييز بين المعجزة والكرامة، فالكرامة من أثر معجزة الأنبياء والرسل.

لأن الإعجاز إذا تحقق بالإمكانية تعوض فيه صفة العجز بصفة القدرة، فرسول الله ﷺ يوم أسري وأعرج به سميت معجزة لأنها لم تسبق لأحد من قبله وكانت فيها صفة الاستحالة من قبل لكن بعد تحققها أصبحت كرامة يكرم الله بها من اتصف بصفات من تحقق فيه الإعجاز وهم المقربون بالأجساد (آل البيت والصحابة) والمقربون بالأرواح (المشايخ والأولياء) فيحيون بمعجزاته ﷺ حياة تملؤها الكرامات والنعم.

وبالإضافة إلى معجزة الاسراء والمعراج في حقه ﷺ توجد معجزة الوحي أي القرآن الكريم، فأين تتجسد كرامة هته المعجزة ؟

الوحي خطاب من حضرة الله تعالى المتنزل في قلب رسوله ﷺ والمتجلية باسم البصير السميع الكليم، وهي معجزة في حقه ﷺ لم تحدث قبل بعثته إلا للأنبياء والرسل، وكرامتها هي الإلهامات الربانية والمخاطبات الأحدية والدروس المحمدية وهو ما يسمى بالإلهام الروحي أو النفث في الروع، ولا تحدث إلا عبر من تحققت فيه المعجزة أي عبره ﷺ لأنه باب المعجزة الموصلة للكرامة.

فكل من اتصل به اتصال محبة ويقين وثقة وليس اتصال اختبار أو تنقيص فإنه يذوق الكرامة ويعيشها في حياته، وهذا حال المشايخ الواصلين الموصولين.

فلا يمكن نكران ما عاشه ﷺ وإلا فإنه عزوف عن الدين وارتداد في الملة، وكل ما عاشه ﷺ لم يعشه لنفسه ولو كان لنفسه لما كانت له ضرورة إظهاره للناس ومواجهتهم له بالتكذيب والتحقير والاستهزاء فلو كانت معارجه مقصودة له وحده خاصة به لعاشها سرا دون أن يجهر بها ويتعرض للأذى، لكنه عاشها من أجل أمته ولفتح أبوابها لأحبابه وأتباعه وهو مقصده ﷺ في الوجود.

لذلك فإن أرواح المشايخ تعيش الكرامات من معجزاته ﷺ،فتكون للشيخ معارج روحية بروحه ﷺ وفتوحات معرفية من معرفته ﷺ وكشوفات ومشاهدات في العوالم الغيبية، فتكون كفتي الغيب والحاضر متوازنتان ينظر بعينه المرئي وببصيرته المخفي، وهي من علامة الشيخ المُوَصِّل الذي يأخذ منهج توصيله ومناهج تربيته منه ﷺ ولا يأخذها من أهل الإرشاد السابق.

فالوصول بالشيخ يكون وصول به ﷺ ووصولا بمعرفة إلهية من معرفة رسول الله بربه ومن منهج التربية المحمدية، وهذا ما يميز الشيخ المُوَصِّل عن غيره من المشايخ فتجتمع فيه صفة الوصل والاتصال والإيصال، وكل ما سبق ذكره هو خاص بوصل المريد به ﷺ وهو الأصل في الإقبال على الله والوصول إليه، فلا يصح إلا هذا ولا صحيح إلا به ﷺ،فلا يمكن ادعاء الوصول والمريد لم يرتبط به ﷺ ارتباط مخاطبة ومجالسة ومشاهدة، ولا يمكن للشيخ أن يدعي التوصيل وهو غير متصل به ﷺ وغير منتمي لسلسلة نورانية محمدية تهبه النسب الصحيح والاتصال الفصيح والإيصال القويم.

❖ أبواب التوصيل:

وهي ستة متفردة، وخمسة بهما متصلة وواحدة بالله منفردة. ونحدد منها ما صح ذكره وما وجب معرفته وما جاد به ﷺ علينا.

١ - باب العقيدة:

الباب الأكبر وبه تصحح الأخريات وتفتح الباقيات، والعقيدة هي معرفة الله تعالى به دون اجتهاد أو إحياء أو تأويل، لأن ما جاء به الله تعالى بَيّن واضح وما أخفاه الله وضحه رسوله توضيحا ينفع الخلق.

فالعقيدة الصحيحة توصل إلى الله لأنها معرفة بالعبودية لا معرفة بالنفس. واعتقاد الإنسان بربه يكون اعتقاد بالكيان وبالوجدان وبالجنان فلا يرى أنه هنا والله هناك ولا يحصر الله في السماء أو في الليل أو يوم الجمعة أو في الصلاة، بل يرى الله معه في كل تصرفاته وفي كل أموره، ففي كلامه يرى قدرة الله لأنه هو الكليم وفي سمعه يرى قدرة الله فهو السميع وفي بصره وحركته ويقظته وذكره لأنه البصير الرقيب.

فعقيدة الوجدان أعمق من عقيدة المعرفة، فالمعرفة تعطينا علما وتصحح مفهومنا للعقيدة وتكشف الغطاء عن الخلل وترمم النقص؛ أما عقيدة الوجدان فهي أن تحيى بها حياة تربطك بالله فترى الله في كلم مكان وتراقب قدرته في كل

الخلائق وتبصر حكمته في كل شأن، فيصبح للعبد ارتباط عقدي صحيح وهذا ما يقرب العبد للوصول.

وهذه المعرفة الوجدانية لا تقرأ ولا تدرس ولا تعلم بل هي من الوجدان إلى الوجدان ومن الفيض إلى الفيوضات وأصلها من قلوب المشايخ المتصلين بالله اتصال كمال؛ فلو كانت المعرفة بالعقيدة تكفي لوصلنا جميعا الى الله، لكن هناك من معرفته بالعقدية تحجبه عن الله، لذلك وجب أخذها من من أخذ عن رسول الله ﷺ عقيدة صافية جوهرية خالصة.

٢- باب الخدمة:

الشيخ قد يفتح لمريديه باب الخدمة ليصلوا بها الى الله، لأنه يرى فيها النفع لصنف من المريدين وصنف آخر يوصلهم من أبواب أخرى.

إلا أن هذا الباب له حكم ومميزات، فخدمة المريد تبدأ من خدمته لنفسه بصقلها وتزكيتها وإحياءها واستمدادها من صفات الشيخ ثم من صفات رسول الله ﷺ،فعندما تصل النفس إلى هته المرحلة من الاستمداد يفتح أمامها باب الوصول.

والخدمة الموصلة إلى الله تستوجب التواضع والتفاني والإتقان والصبر، وهي من الأبواب التي تساعد المريد في تزكية نفسه، فيمرر عدة صفات ومراحل ظلمانية في اختبار واحد ويترقى به إلى الأحسن.

وجعلت الخدمة باب التوصيل لأنها خدمة للمريد أولا، فالشيخ الذي يفتح لمريده باب الخدمة ويوصيه بها ويؤكد له عليها لا يعني أن الشيخ من سيستفيد بها بل المريد نفسه سيستفيد من خدمته لنفسه وخدمته للدعوة الإسلامية وخدمته للإنسانية جمعاء.

فطبيب القلوب يذوق طينية المريدين ونفوسهم، فيوجه كل واحد لما هو أنسب له ويقيه في سيره من المهالك إلى أن يقبل على الله بالباب التي فتحت له، وهذا لا يعني أن الأبواب يختلف شأنها وأن مقاماتها تتعالى لأن الهدف هو الوصول إلى الله، فإذا وصل العبد إلى ربه هل سيهمه من أي باب دخل، لذلك فطاعة أمر المشايخ ضروري لأنهم الأعلم والأدرى بالباب الذي فتحه الله لكل مريد ولا يؤتي الله هته الطاعة إلا لمن أراد به الخير والوصول.

٣- باب الذكر:

والذكر له شأن عظيم عند الله تعالى و قد حث عليه كثيرا سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا}[11].

[11]- سورة الأحزاب، الآيات: 41 - 42

إلا أنه وجب التمييز بين ذكر التوصيل وذكر الأجر وأخذ الحسنات. لأن الذكر الذي تأخذه من الحي الذي سيوصلك إلى الله ليس هو الذكر الذي تعلمته من الآباء والأجداد، ولو أن جميعها ذكر لله وأن فيها الخير والرضا فالأَولى للعبد أن يأخذها من الطري الطازج، فالأكل الجديد أطيب وأجود من الأكل المجفف. وذكر الله تعالى غذاء وقوت للأرواح وإن بخل الإنسان على تغذية نفسه فإنه سيضعف بسرعة دون أن يصل لمراده.

لذلك فإن الذكر الذي يعطى من طرف المشايخ هو ذكر مأذون موصل إلى الله تعالى لما فيه من نفع على المريد وبه يتجاوز مرارة التزكية وصعوبة الطريق، أما من أراد الحسنات فالله ذو الإحسان والكرم.

كذلك الدواء الذي يساعد في نشاط البدن ولا يقصد به معالجة مرض معين كالفيتامينات لا تحتاج لاستشارة طبية ولا لوصفة طبية، أما الدواء المقصود به العلاج يحتاج لاختبار وتحاليل ولوصفة طبية ويعالج به المرض بشكل محدد ومباشر.

وأمر الذكر كذلك، فالمشايخ وأطباء الأرواح يعلمون أمراض أنفس المريدين ويعطونهم دواء الذكر بما سينفعهم ويشفيهم بسرعة؛ فمن أخذ الذكر عن شيخه والتزم به وحافظ عليه فإنه سيصل بإذن الله دون شك، خاصة وأن عبادة الله بما أراد هو ليست هي عبادة الله بما أريده "أنا".

٤- باب المجاهدة:

وهي باب تتضمن تزكية القلب والعقل والنفس، أي مجاهدة الانسان نفسه على ترك المعاصي واحترام حدود الله وحفظ حقوق الله وصون الأمانة.

فالمريد لا يجوز في حقه أن يخوض فيما يخوض فيه عامة الناس من لهفة على الدنيا أو انغماس فيها، فكيف بالكبائر والمحرمات.

فمقام الحديث هنا يخص محاسبة النفس على الخواطر ومحاسبة العقل على الوساوس ومحاسبة الجسد على التفريط في حق العبادة، لأن المجاهدة التي توصل إلى الله هي التي تكون في مراحلها الأشد قسوة والأكثر امتاحانا، فإذا تجاوزها المريد بفضل من الله يجد الباب فتح أمامه ويعيش في نعيم سكون النفس وطمأنينتها.

فالتزكية في مراحلها الأولى التطهيرية للجوارح من المعاصي هي مرحلة معرفة الطريق فقط وتؤهل المريد إلى ما هو أشد وأصعب، فمن لم يصبر على تزكية لسانه ومن لم يقدر على كبح جماح نظره فكيف سيحاسب نفسه على خواطرها وأحاسسها. ولا يصل المريد أبدا وإطلاقا إلى هته المرحلة إلا بمن مر منها وتجاوزها، فالمعلم لا يصير أستاذا إلا بعد مروره بمرحلة الطالب والمتلقي، كذلك المريد لا يصل إلا بمن وصل وتعرف.

٥- باب الروح:

وهي الباب العمودية والصراط المستقيم القائم على أمر الله في الأرواح، وهو باب الذوق والشوق وذو خصوصية إلهية وفطرة ربانية.

فهناك من المريدين من تسبق روحانياته الذكر والمجاهدة، لكن هذا لا يعني أنه غير محتاج لمجاهدة نفسه وأنه كامل مكتمل، وهذا خطأ يوجد في العديد من الطرق فيتم التركيز على الحقيقة وإهمال الشريعة مما يُظهر التناقض في السير.

كما أن الروح تحتاج لغطاء يسترها وهو الجسد، فالحقيقة تحتاج لمن يغطيها. فلا يمكن للمريد أن يتحدث عن مشاهداته الروحانية ولقاءاته بأهل البرزخ وتصرفه فيه معصية لله ومخالفة لأوامره، وهذا كان توضيحا بسيطا للبس الذي قد يحصل.

وهذا الباب مختص لمن روحانياته تسبق مجاهدته وهو فضل من الله تعالى على من شاء من عباده، فيكون المريد سالك في مجاهدة وتزكية فيفيض الله عليه باصطفاء الروح رغم أن تزكيته لم تكتمل بعد، لكنه يبقى في مصاحبة شيخه إلى أن يرى أنه أصبح من الكمل. وهنا تكمن ضرورة المشايخ وأهميته في الارشاد والتوجيه فيجعل المريد متوازنا بين باطنه وظاهره، فلا ينغمس في بحر الروح فيعيش كالمجاذيب ولا ينفرد بمجاهدة النفس فيصبح كالمتعبدين.

وهذا الباب يُفتح به ﷺ لأنه حامل الأرواح ومحررها من الأجساد وهو صاحب المعراج، فلا طريق إلا طريقه ولا باب للدخول بالروح إلا بابه ﷺ.

٦- باب المحبة:

وهو الباب الذي اجتمعت فيه الشمائل المحمدية والفيوضات الإلهية من فيض محبة الله تعالى على الوجود، وهو باب مفتوح أمام المريدين بشتى أصنافهم وطينيتهم وجواهرهم، لأن المحبة لا تطلب بل تؤتى من الله تعالى.

ومحبة الله للمريد تسبق محبة المريد لله، فمن لم يحبه الله فلا يمكن له أن يحب الله، لأن الأصل في المحبة الحقيقة أن تفيض من أصلها ومنبعها.

وهذا الباب لن نطيل فيه الكلام ولن نفصل في أحواله لأنها أقرب للعيش من المعرفة، فإذا جاد بها الله تعالى فمن فضله وإذا أخرها فمن حكمته وإذا منعها فنسأله اللطف والرحمة منه بجاه رسوله صلى الله عليه وسلم.

أبواب الوصول:

1 - الشيخ الفتاح:

فصحبة الشيخ العارف توصل المريد إلى مقصده، وهذه هي حقيقة الطريق واللبنة الأساسية التي لا يستقيم سير المريد إلا بها.

فأبواب التوصيل هم وسائط ووسائل تُعين على الوصول فقد يُقبل المريد على الله بأي واحد منها، أما أبواب الوصول فلا يمكن الاستغناء عنها لأنها مفاتح أبواب التوصيل، خاصة الشيخ الفتاح.

لأنه وكما سبق ذكره سواء في باب العقيدة أو الذكر أو المجاهدة وغيرها فإنا نجد ضرورة الشيخ الفتاح الذي بيده يفتح الباب وبإذنه تتيسر الصعوبات وتتيسر العوائق والحواجز.

فهو الأب الذي يختار لابنه أجود المسالك وأطيب الأذكار وأزكى المشاهدات، وهو المربي الذي يزيل عن مريده لباس السوء والظلام ويلبسه من نور التقوى ونور الورع، هو الأستاذ الذي يعلم مريده ويعرفه بربه ليصبح من رجال الأمة فيتحرر المريد من ما يحمل في عقله من فهومات خاطئة ومن أي عقائد فاسدة حتى يصبح بتربية شيخه وبحصنه وحفظه من الكمل.

ولا يخرج المريد من حصن شيخه حتى وإن وصل إلى مقصده وحتى وإن رأى أن تربيته اكتملت، فليبقى ملازما لمن رباه ورعاه وليلزم مجلسه وحضرته وليبقى تحت رعايته وحصنه، فلا انفصال للمريد عن شيخه ولا استقلالية له عنه لأن ارتباط القلوب يبقى ولو فارقت المسافة بين الأجساد وابتعد اللقاء فإن الارواح عند الله متصلة.

وحتى وإن أذن الشيخ لمريده بالانتشار في ارض الله والدعوة إليه بإذن شيخه، فرغم هذا التكليف وهذا الإذن فإن المريد يبقى مريدا لشيخه ولابد أن يحترمه ويخدمه ويطيعه ويقدره في قلبه ولابد عليه من باب الوجوب أن يرجع الفضل لمن له الفضل عليه وهذه من أبسط الأدبيات التي تأتي من الذوق ومن اكتمال التربية. فلو

عرف كل مريد قدر شيخه ونيته منه وماذا يريد به لما اعترض عن كلامه ولا استنقص من رأيه ولا تجبر على قراره، لأن مقصد الشيخ من التربية هو الله وهذا المقصد عظيم سام يخلو من النوايا الدنيوية ومن الاستغلالات الشهوانية، وهي أطهر وأزكى علاقة موجودة بين الخلائق وهي علاقة المريد بشيخه.

2- الدعوة إلى الله:

وهي من سنته ﷺ ومن أكثر ما يحبه الله تعالى فجعله الله المقصد من رسالة محمد، فكان هو أول الدعاة إليه به وأول من تحقق بذلك الإذن ليمرره إلى خيرة أمته.

والمقصود بالدعوة إلى الله هو إحياء ما جاء به ﷺ،فلا يمكن الإتيان بدين جديد لأن رسول الله هو أقرب الخلق إلى الله وبهذا القرب فهو الأعلم بالوصول إليه وهو الأجدر باتخاذه وسيلة إلى الله تعالى.

فالدعوة الحقيقة هي أن تربط المسلم برسوله وأن تربط المؤمن بنبيه وأن تصل المحسن بوسيلته، لأنه لا يمكن أن تأخذ العبد إلى المعبود بشكل مباشر، فلا يصل المواطنون لملك البلاد دون المرور عبر الرؤساء ولا يصل الطالب إلى التخرج إلا عبر مروره بعدة أساتذة ومعلمين ودكاترة.

كذلك فإن باب الدعوة إلى الله لا يؤتى لأي كان ولا يفتح أمام كل العباد بل المختارون من محمد ﷺ والأقرب إليه في أمته.

فالوصل يكون بوصل العبد بمنهج النبي وبحياته وبصفاته وبمكارمه ومحاسنه التي في كليتها من الله تعالى، فإذا اتصل العبد بصفة الرحمة المحمدية فإنه يتصل بالرحمن وإذا تحقق بالكرم المحمدي فإنه يستمد من اسمه الكريم.

لأن العبد لا يتحقق بتجليات اسم إلا بعد اكتسابه لصفة الاسم، وهذا الاكتساب لا يحصل إلا بمن تجلت فيه تلك الصفة. فمثلا عند إكثار العبد للتوبة فإنها تصبح صفة فيه ويصبح من التوابين والكريم لا يوصف بالكريم إلا بعد تحققه بصفة الكرم الدائم والمتكرر.

لذلك فإن الدعوة إلى الله تكون بمنهج رسوله ﷺ الذي يشتمل على العقيدة والفقه والتوبة والمجاهدة وليس الذكر وحده وليس الزهد وحده وليس الصيام وحده وليس الاختلاء وحده، بل هو منهج متكامل كامل بالله وبرسوله، فلا نفصل الله عن رسوله ولا نرقب الوصول إلى الله دون معرفة رسوله.

3- الشفقة على الخلق:

اقتداءً به ﷺ ومن فيض محبته على الخلائق، فمحبته ﷺ تورث الشفقة والرحمة التي كان يتصف بها ويتعامل بها مع سائر الخلق.

فالله تعالى خلق الوجود من محبته وخلق الموجود من رحمته فتجلت على قلب نبيه بالشفقة على المخلوقات وهي في حد ذاتها شكر للنعمة، لأن الفضل يوجب الشكر والشكر مظهر لمظاهر النعم.

فشكر الله تعالى على محبته ونعمته يقتضي الشفقة على الخلق، وتبدأ من علاقة الإنسان بنفسه فلا يؤذي جسده ولا روحه بل يحفظ أمانة الله ولا يؤذي الخلق سواء كانوا جنا أو إنسا أو حيوانا أو جماد وهذا مستوى أول من الشفقة على الخلق في المستوى الإسلامي، أما الإيماني فيتجلى في تعامل الإنسان مع من آذاه كما تعامل رسول الله ﷺ في مثل هته الحالات، فتغلب على العبد ملكة الشفقة والرحمة على صفة البغض والكره، فيدعو لمن آذاه بالهداية، ويردها بالإحسان وبالصبر لأنه تصرف محمدي.

أما المستوى الإحساني للشفقة على الخلق هي مساعدة المحتاج والذي يعاني بالمساعدات الغير متاحة لكل الخلق، كالعلاج الروحي والعلاج النفسي وعلاج الآفات الخفية والفتن المخفية في الأنفس.

والحمد لله الذي أنعم علينا بمن يقربنا منه وبمن يعرفنا به معرفة تقينا من أنفسنا وتذكرنا بربنا.

الشيخ الكامل:

باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على بحر فيضه ووحي تكليمه وحجاب تنزلاته.

ننتقل إلى من اجتمعت فيه السلسلة النورانية الذهبية والنسب المحمدي وهو الشيخ الكامل الذي هو مِن نسبه ﷺ نسبا وروحا ومن ورثة سر باطنه وظاهره.

وسمي كاملا لأنه اكتملت فيه الصفتان، الأحمدية الروحية والمحمدية الذاتية واكتمل بوراثة الصفات الظاهرة والصفات القدسية الباطنية أي ما بينه وما بين الخلق وما بينه وبين الناس.

وهذه قلة قليلة في الوجود وتجدد عبر الأزمنة بواحد في الزمن وفي الكون، وغالبا ما يكون نسبه المحمدي ظاهر فيه وفي ذاته وسنته وشريعته ونسبه الباطني ظاهر في نوره وسره وحقيقته، وهته الحالة نادرا ما تجتمع في رجل واحد، فقد يأخذ أحد من رسول الله النسب ولا يأخذ الإذن ويتنعم بالبركة فقط وقد يرث منه السر فقط دون نسب وهي حكمة الله ومشيئته في الوجود.

❖ النسب المحمدي:

فالنسب الصحيح المتصل به هو اتصال برسول الله ﷺ وبآل بيته فيكون للشيخ تعظيم لآل بيت رسول الله من تعظيمه لرسول الله، ويأخذ عنهم ويعرفهم ويمجدهم ويقدرهم لمحبة رسول الله ﷺ لهم، لأنه من الخطأ عدم محبة آل البيت ومن المعصية تفريقهم عن رسول الله، فللشيخ الكامل خصوصية في هذا الشأن وترى فيه تفعيل الآية الكريمة " **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** "[12]، وبصلاته على رسول الله ﷺ فإنه يرتبط بهم ارتباط الحي بالحي؛ فيكون حيا بينهم أكثر من حياته بين أحياء زمنه. لذلك فالنسب المحمدي يورث معرفة حقيقة بحياته ﷺ وبحياة آل البيت فإذا ذكر لك حدثا أو حكى لك موقفا تحدث عنه وكأنه يراه وعاشه لشدة اتصاله به ﷺ ولانكشاف بصيرته على سيرته النبوية العطرة.

كما أنه يتقن فقه الأركان ويراها من رسول الله ﷺ عيانا وإذا استعصى عليه أمر توجه إليه وعلمه ﷺ من لدنه، فيصبح حديثه عن حق ومحبته عن حق واتباعه للسنة عن حق، فإذا نظرت إليه وبصيرتك مكشوفة لمحت نظرته ﷺ فيه وحتى وإن كانت بصيرتك مقفلة فإنك تلمس حقيقته ﷺ فيه.

والنسب المحمدي يورث صفات الذات كما قلنا، وهي صفات لا تموت رغم مرور العقود والسنين لأنه ليس إرثا للمال أو للجاه أو الدنيا التي تفنى وتُنسى، هو إرث لنور

---

[12]- سورة الشورى، الآية: 23

النبوة ومن بينها نور الوجه وإشراقته، بياض المحيى وسواد الشعر، قوام الجسد وخفة الروح، جمال الملامح والابتسامة، هيبة الطلعة ووقار النظرة.. وكلها منه ﷺ تظهر في من انتسب إليه ولآل بيته الكرام.

❖ نسب السلسلة الذهبية :

- أما السلسلة الذهبية وهي الارتباط الروحاني والاتصال بسر رسالته ونبوته يحدث منه ﷺ ومن العبد تجاه رسول الله ﷺ عبر شيخ، فالشيخ لا يصير شيخا إلا عبر شيخ كما أن الطبيب لا يصير طبيبا إلا بأخذ علمه من طبيب، والأستاذ لا يصير أستاذا إلا بإرشاد أستاذ، فكذلك عالم التربية الروحية والنفسية يحتاج لمرجع صحيح ولانتساب قوي ولرابطة محمدية، فيكون للشيخ شيخ حي، ولشيخه الحي شيخ وللشيخ شيخ إلى الوصول إليه ﷺ، فلا يكون أصله فارغ ولا ذرعه ناقص ولا حجته ضعيفة، والله تعالى ينصر من أراد سواء علم العباد بحقيقة الشيخ واتصاله ونسبه أو لا، فالله قادر على أن ينصر عباده دون ركيزة أو أساس لأن الملك في يده وتقليب القلوب في قبضته، لكنه تعالى سن الوسائط في الوجود وجعل لكل وصول سبب ولكل بداية نهاية، ولهته الأسباب وجهان:

فمثلا الوصول من مكان إلى مكان يحتاج إلى قدمين في ظاهر الأمر، ويحتاج قدرة من الله تعالى في الباطن، كذلك شأن الوسائط فإن أمرها تسيير الأمور بكل أوجهها.

وهته السلسلة النورانية وتعرف بالمد الذهبي تحمل في طياتها تصريفا وتحقيقا وتفعيلا، فمثلا إن وُجد في تلك السلسلة شيخ من مشايخ الطريق أوتي سر العلاج فإن الشيخ الحي المرتبط بتلك السلسلة يتصرف في ذلك السر، وإن كان لشيخ آخر من نفس السلسلة سر التفسير فإن الشيخ الحي يؤتى هذا السر، وهو فضل كبير وعظيم من الله تعالى.

فالنسب المحمدي يورث صفات الذات والأقوال والأفعال ونسب السلسلة الذهبية يورث الأسرار والأنوار.

❖ مظاهر كمال الشيخ الكامل:

الشيخ الكامل مكتمل بكمال ذات الله تعالى وكمال الله يتجلى في العباد بالافتقار والضعف والحاجة الدائمة إلى الله، فكمال العبد ليس هو كمال الله رغم أنه منه.

لأن كمال العبد يُقصد به اكتمال نفسه وذاته وروحه وتربيته واتصاله ولا يعني كمال الاستغناء أو كمال الغنى فالعبد مهما وصل في مواصل السلوك ومدارج المعرفة فإنه يبقى في حاجة دائمة إلى الله وقد يغنيه الله عن الخلق وعن الناس والدنيا لكنه لا يغنيه عن نفسه.

فكمال العبد هو استغناءه عن الخلق بتوجهه الكامل للخالق وهذا صنف حقيقي من الكمال، فالمشايخ الكرام أغنياء بالله عن من سواه أقوياء بقوة الله وأصحاب عزة

بعزة الله، فيكون للخلق ممدا ونفعا وعزيزا منصورا وأمام خالقه عبدا ذليلا فقيرا وهذا ما يورث الكمال الحقيقي، لأنه يستحيل في حق العبد أن يظهر فيه الكمال الالهي ولو كان كذلك لكان رسول الله وحبيب الله الأولى والأحق.

لكن الكمال النوراني اختص به الله تعالى وحده وخص به بعضا من عباده بتطهيرهم وتحصينهم وإغناءهم ونصرتهم وهو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء من خاصته وأهل رعايته والمتطلعين لحضرته.

والشيخ الكامل بصفة مميزة يُعد من البعض القليل الذين يحملون ختمه ﷺ سواء في الروح أو في القلب أو في عالم الملموس، فإذا خط خطا ختم بختمه ﷺ وإذا نص نصا شهد عليه بذلك الختم فيكون كلامه صحيح فصيح مبين.

والختم المحمدي لا يؤتى لأي كان من الخلق وقد يرثه الشيخ حقيقة في ذاته، وحتى إن ظهر فيه فإنه يخفيه عن الخلق لأن الحق المستور إن كشف للعلن قد يُفقد ويُخفى في كنوز البواطن.

وهذا سر من أسرار النبوة التي حملها ﷺ في ذاته وحملها من انتسبوا له عبر آل بيته، فكان الشيخ الكامل ذو النسب المحمدي والسبيل الأحمدي حاملا لما تعتريه النبوة في ظاهرها فقط أما في سريرتها فقد اختص به ﷺ وحده.

ولكي لا يحدث لبس للسالك فإننا نوضح هذا الأمر بمن اشتبه وتشبه بمن يحب فإنه يصير صورة منسوخة له وهذا في عالم التشبيه الدنيوي، أما المرئي والمعلوم في

عالم الأرواح أن الأرواح التي بعثت من روحه ﷺ عند خلق الأرواح هي التي صورت ذاتها وطينيتها بعده ﷺ وحظيت بالانتساب إليه نسبا ذاتية بالدماء قبل الأرواح فورثت منه ﷺ بعضا من مظاهر ذاته وجمالها وكمالها، وهذه حقيقة الختم النبوي الذي يُنقل عبر دماء الذات ومدد الأرواح.

- ولأهل الكمال وَصل واتصال حقيقي بحضرته ﷺ فلا يذكر في حق النسب المحمدي عدم انفتاح البصيرة لأنها من مميزات الرسالة المحمدية، أي الاتصال الكامل بحضرته الباطنية المحفوظة بين حصن البرزح وحفظ العوالم.

فروحه ﷺ لا تحد في زمان ولا مكان ولا تُحاط بذات أو بركن، فكيف بمن خُلق الوجود منه أن لا يحمل الوجود الفسيح.

فيكون الشيخ مثلا في دمشق ويكون مجالسا لرسول الله ﷺ وشيخ آخر في شرق آسيا ويكون في حضرته ﷺ وآخر في المغرب يسمع منه درسا أونصيحة وآخر في بقاع الارض البعيدة يسمع منه كلام آخر، إنه سر روحه ﷺ التي لا تُحاط ولا تدرك لامتيازها بسر الله فيها وهذا ما يجعل الشيخ الكامل مرتبطا برسول الله ﷺ ارتباطا روحيا فيكون في نجوى روحه وفي جوف فؤاده ويحيى بذلك الاتصال حياة يحيى بها رسول الله ﷺ، فيأخذ من ريحه ويلتمس من نسيمه وينطبع بطباعه ويبغض ما يكره ويميل لما يحب، فيكاد يكون هُو هُو، وهذا الفناء الحاصل يكتمل بكمال الخُلُق وحُسن التبليغ وحكمة التوصيل.

وهذا النوع من المشايخ يكون لهم نوع من الوجدان الخاص ونوع من التربية المحمودة، وغالبا ما يُقصد لجماله وحكمته؛ فيُعرف بالتميز في عصره ويحفه رسول الله ﷺ بمساندته وتأييده، فإذا دعا إلى رسول الله وجد القبول وإذا دعا إلى الله وجد الإقبال.

فتربيته تكون باليسر وبالمحبة وبالوجدان وهذا ما يهز الأرواح والبواطن ولو كانت مدفونة في بقاع الظلمات لأن النور المحمدي الذي يحمله في روحه يمزق كل الحجب ويرفع الكفر ويقلب القلوب بحديث الأرواح ويربطها بعهد الربوبية وبسنة الله في الوسيلة والواسطة، وهته النقطة يشترك فيها العديد من المشايخ ولو لم يكونوا كُمَّل لأن من سنته ﷺ التبليغ بالمحبة واليسر، وما يُضاف في تربية الشيخ الكامل أن من صاحبه يجد نفسه في حضرته ﷺ بالذكر المأذون القليل والوصول القريب وهذا من فعل الأرواح ومن قوة إذن الشيخ؛ فتجد في تربية بغض المشايخ الذكر الكثير الطويل والنتيجة بعيدة المدى وهذا ما يعاكس منهج المشايخ الوارثين لسر رسول الله فيكون النفع الأكبر هو مصاحبة الشيخ والاتصال الروحاني به، أما الذكر فهو الغيث الذي يسقي روح المريد.

والدخول إلى حضرته ﷺ هو دخول بإذن منه وبرعاية منه، والشيخ الكامل يهئ المريد بأسرار روحه التي تختص بها الحضرة المحمدية وليس بأسرار ذاته، لأنه إرث بالنسب والمريد لا يرث نسب شيخه بل يأخذ من أسرار روحه، فحتى وإن بلغ المريد ما

بلغ من مقامات الاتصال والفناء والتسليم إلا أن إذنه يبقى في الروح فقط لأن ما هو للذات كتب في الأقدار ودون في تصوير الذوات وخلقها، فالمقصود بهذا أن الشيخ الكامل لا يورث مريديه شيئا ولا يعطيهم من أسراره إلا بعضا منها والتي تجعلهم ذوو حصن ورعاية وقرب، لأن ما له هو من رسول الله ﷺ ولا يرث المحمدية إلا من اتصل بها في عالم التصوير قبل عالم التفعيل وذلك لحكمة يعلمها الله تعالى.

فالشيخ الكامل يوصل المريد ويربطه بحضرة محمد رسول الله ويرفع عنه حجب الظلام والنور ويزكيه بالقرب ويطهره بخطاب الروح ويُعرفه منهج نبيه لكن لا يعطيه من سره شيء ولا يهبه من كنز ذاته شيء بل كل ما له يبقى متصلا بذاته إلى أن ينتقل إلى جناب ربه ويدفن بثقل أسرار الذات وما تحمله وما تخفيه.

وكذلك يقضي الله بما شاء ويبعث من شاء ويقلب العباد كيفما شاء، ويخلق من الذات الذوات ومن الروح الأرواح ومن محمد أهل الولاية والصلاح.

والحمد لله رب العالمين..

الشيخ الولي:

باسم الله الرحمن وصلاة الله وسلامه على مجمع البحرين وملتقى الحقيقتين وولي الأولياء الأتقياء .

سندخل بإذن الله تعالى في باب الولاية بإذنه ﷺ لأنه هو من أوتي مفاتحها وفتح بابها للمحسنين من أمته.

والولاية هي مفهوم أرضي لاسمه الولي، وهي صفة اختص بها أهل الأرض وتعني العناية الربانية والولاية الإلهية. وهي مفهوم سماوي روحاني لاسمه الوالي، فالله فرق بين أهل الأرض والسماء في ولايته عليهم فجعل الولي لأهل الأرض وسكانها، والوالي لأهل السماء وحُضارها.

- وننطلق من ما هو لبني البشر وما يفيد معرفتهم بجنسهم بداية.

❖ ولاية من اسم الله الولي

والولي اسم من أسماء الله الحسنى التي اختصت بها ذاته حقيقة وليس صفة أي من نور الإسم بل هو الاسم بذاته، والمفهوم من أسماء الله الحسنى أنها لا تتجلى في المخلوقات والعباد إلا بصفة الإسم، لكن الولي اسم تجلى بالاسم، فالله ولي على

الوجود كله وعلى الموجود كله، ومن الموجودات من جعله الله تعالى وليا على بعض خلقه فأعطاه الاسم وصرفه فيه.

والولاية الكبرى هي أن يتصرف الله تعالى في عبده فيبرؤه من نفسه ويبرؤه من فعله ومن قوله، فيكون لله وحده ولا يتشرك فيه أحد ولو أهواءه وأنفاسه وأذكاره، فيصبح لسان الحق وفعل الصدق ويد الإخلاص وتصرف الرحمة ونظرة الشفقة.

والولي هو الله تعالى الذي خلق الخلق منه وتولى شؤونهم بالأقدار وبالأرزاق ففرق بحكمته ووزع بمنصوص علمه فأعطى لمن أعطى ومنع عن من منع وترك الأشراط في الألواح للبعض مفتوحة وهته هي الولاية الإلهية المرتبطة بالأقدار والتي لا يستطيع أحد تغييرها.

فمن وليته على نفسك يصبح مسئولا عنك ويقضي حوائجك و ييسر أمورك لكن ولاية الله تشمل حياة الفرد بمجملها ودلالتها وقلتها فيعلم الاسم ويصور الجسد ويقدر القدر ويكتب الكتاب ويفتح الخاتمة لحسن تصرفه أو لعصيانه وهذه هي الولاية المطلقة.

أما الولاية التي اختص بها بعض المشايخ الأحياء هي ولاية من نفس الاسم لكن بتصرف أقل فلا يكتب قدرا جديدا ولا يجد وجودا جديدا، بل يجر الناس ويصلهم ويذكرهم بولاية الله الحق التي تربطهم بالأصل وبالنور، فالرجوع إلى الأصل أصل والاتصال بولاية الله تعني الاتصال بمن ولاهم الله على شؤون عباده.

فالمفتي مثلا يفتي الأحكام الشرائعية ويكون لسان الحق في الأرض ويأخذ الناس عنه صحيح الدين والعقيدة، كذلك فإن الولي يتولى شؤون العباد بما أمره الله تعالى وذلك لتخليصهم من الفتن الخفية التي لا تظهر للعيان وإعانتهم على الإقبال وربطهم بالصراط، وكله من عند الله ومن شأنه. فإذا تحرك الاسم في ذات الحق بفعل القدرة تحركت في الشيخ وإذا تصرف الاسم بفعل الاجتباء تجلى في الشيخ، فيكون للولي اتصال حق بالاسم الذي يفيض عليه بالوصل والوِصال.

ونشير إلى أن هذا التعدد في أصناف المشايخ وفي مهامهم له حِكَم منها تعدد الأنبياء والرسل، فرسالتهم واحدة ودعوتهم موحدة وقلوبهم على الصدق مجتمعة وارتباطهم بالله دائم إلا أن كل منهم بُعث في زمن معين ولقوم معروف وبما يقتضيه حال الزمان والمكان وبما توجبه الرحمة المتصرفة في الأكوان، ومن الحكمة أيضا تعدد أسماء الله الحسنى الظاهرة والباطن، فلكل اسم تجليات لو اجتمعت وانجلت على الخلق جملة واحدة لفنى الوجود والموجود لكن حكمة الله تعالى اقتضت أن يفرق الخير بين العباد وتُحمل كل ذات بما تُطيق وبما تخدم الخلق لأن الهدف من الوجود أصلا هو التحقق باللاموجود عبر معرفة الوجود، لأن الإنسان لا يتحقق بما لا يعرف إلا عبر معرفته بما يعرف. فالله تعالى لا يُعرف ولو عرفنا منه ما عُرف فإن عدم المعرفة تبقى هي المعرفة، وفي عدمها نجد اكتماله ونقصنا.

والأولياء من الأمة هم المشايخ الأكثر تكليفا في الأرض لأنهم يحملون عن الأمة جمعاء عددا من الفتن ويحملون عن مريديهم خاصة الكثير من الذنوب والخطايا، فيستغفر الولي لذنوب مريده أكثر مما يستغفر المريد لنفسه، ويدعو الله للأمة أكثر من دعاءه لنفسه، وقد يتحمل بعضا من السوء الذي قد ينزل على الخلق تخفيفا على الأمة لأن تكليفه يكون بالرحمة وروحه تكون كشلال من النور يدخله المظلم ويخرج نورا ويُغسل به المذنب فيصبح تائبا ويستشفى به العليل فيصبح صحيحا.

وكما أن للأرض محورها وهو الكعبة التي تصل الأرض بالبيت المعمور فللأرواح محاورها وهي أرواح الأولياء، وهم أكثر المشايخ عددا في الأرض ويتجددون بتجدد البعث والخلائق، فقد يكون ثلث البلاد من الأولياء وليس من ضروري أن تعرفهم أجمعين، فمنهم من يؤدي مهمته في الكون ولا أحد يعلم من هو وأغلبهم على هذا الحال إلا من أمر بالبوح بسره وإن هلك أحد يبعث آخر وهكذا يسري أمر الأولياء في الوجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لذلك تجد العديد من الأولياء يجهل الناس قيمتهم ولا يعرفون قدرهم إلا بعد وفاتهم والعديد منهم يموتون موتة سائر الخلق لكنهم عند الله أعلى مقاما ويعرفهم أهل النور، فكم من قبر مخفي تُرحم به العديد من القبور وكم من ميت منسي يحضر مجالس الصالحين وتحفه الملائكة كل حين.

فالولاية من اسم الله "الولي" تأتي على مظهرين:

- **حية بالعلن:** وغالبا ما يجتمع في الولي المكشوف أمر الولاية وأمر الإرشاد وهو ما سنتحدث عنه لاحقا، فيكون المعين والمرشد بتصرف من الله، وتُجعل بواطنهم تنزلا للرحمات ومسكنا للحسنات لتخلو أفئدتهم من أي شيء غير الله، فلا قصد لهم ولا نية لهم غير الله، فالولاية ليست بالأمر الهين ولا بالسهل فرغم أنها اختيار رباني إلا أن الله يختبر العبد قبل أن يُقيمه في الولاية وأغلب اختبارات الولي المكشوف تكون في الخلق وفي أذاهم وإهانتهم وشر أفعالهم وهذا ما يدوم عليه الشيخ الولي لمدة من الزمن حتى يثبت على كلمة الحق فيخلصه الله من الاختبار.

- **مستورة بالخفاء:** أما الصنف المستور فيكون للأرض رحمة وللوجود سكينة وبهم تُقام أمور الدنيا وتستقيم أحوال الأمة ويسيرون شؤون البلاد بالستر ولو علمت منهم شيئا لعلمت أن الحق لله وأنهم أحقر خلق الله تعالى. ويستحيل في حق الولي أن يذكر ولايته أمام الناس وحتى بينه وبين نفسه لأنه لا يراها ويُحجب عنها فيكون وسيلة فقط تمر عبره تصرفات الرحمن.

إن في خلق الله تعالى آيات بينات واختلافات في اللون والعرق والنسب والطباع والثقافات رغم أنهم جميعا من طينية سيدنا آدم، والأرواح كذلك فيها اختلافات تميز طائفة عن أخرى رغم أنهم جميعا خلقوا من نور واحد ومن روح أحمدية واحدة. وهذا الاختلاف يكمن في عدد اللطائف وفي سعة الروح وفي أركان كيانها، فمن الأرواح

من يكون وسعها أقل من الذات فتكون الذات هي الحاملة للروح، وتوجد أرواح خلقت من الكبر فتحمل الذات وهناك أرواح خلقت من الوسع فتحمل معها أرواح أخرى، وهنالك اختلافات أخرى في مجال الروح لا يعرفها إلا أهل النور وهي نقطة اتصال الروح بالغيب، فمن الأرواح من تتمركز نقطة اتصالها في وسط الكيان وتتصل بحضرة البيان (القرآن)، وأرواح أخرى مركزها في تاج الرأس وتتحقق بحضرة الديوان، وأرواح أخرى من أهل الميامن فتصنف في حضرة العرفان، وأرواح من أهل الشمال وتتصل بحضرة الإدلاء، وهناك تصنيفات عديدة بعدد الأرواح وأصنافها لأن الجوهر الحق الذي خلقت منه الأرواح موحد على أمر واحد لكنه ينطوي على ألوان وأحرف وعبارات من بحر الوحدة، فيكون الجوهر الظاهر للخلق آية وما يحتويه في باطنه آيات.

وحديثنا عن الروح قُصد به إحياء روح كل قارئ وربطها مع أصلها وفتح باب الذوق فيها لأن ما سيأتي في القول يحتاج ذوقا وليس فهما.

- روح الولي هي من آيات الإعجاز الحية في الكون والمتصرفة بما تتصرف به الملائكة، فملك الموت مثلا يأخذ الأرواح وهي مهمته وهناك ملائكة تفتح أبواب السماوات وهي مهمتها، وروح الأولياء لها مهام في الأرض وتتمثل في الدعاء فإذا دعا الله استجاب له وإذا سأل الله المطر نزل الغيث وإذا سأل الله رفع ابتلاء استجيب له وإذا توجه إلى الله بتيسر أمر قُبل منه وكل دعاءه خاص بالأمة والخلق ولا يكون لقضاء

حوائجه. فروح الأولياء كنز حي متحرك بين العباد ويسمى "حضرة الإطلاق" وهي الحضرة التي تجتمع فيها أرواح الأولياء، فإذا قابلت أحدهم فاعلم أنك فائز لا محال لأنك بالنظر فيه تنظر إلى حضرة الإطلاق، وسميت بالإطلاق لأن فيها الاستجابة المطلقة وتعرف أيضا ب "يكون" أي التفعيل ل "كن"، وبنظرة واحدة من الولي قد تنبت الأرض القاحلة و تثمر الشجرة الجافة وتلد المرأة العاقر ويبصر الأعمى ويتكلم الأبكم ويسمع الأصم ويتحدث الساكن والمتحرك لأن روحه مكشوفة على الإطلاق التي لا يُعجز فيها أمر ولا يؤخر ولا يؤجل بل يُفعل في آنه.

لذلك فإن الولي قليل الكلام، محدود النظر؛ فلا يبصر شيئا إلا بإذن رباني لأنه إن تكلم أعطى وإن نظر أغنى وإذا أبصر شيئا كفاه عن شيئه، وأيضا إذا نظر لحرام يُرتكب أُهلك صاحبه وإذا شاهد معصية تؤتى عذب صاحبها، لأن نظرهم من نظرة الإطلاق التي لا تُقاس ولا تُحاط.

وما قلناه هو حقيقة الولي الذي يستمد من اسم الولي، وليس الصفة التي ينعث بها شخص فنقول هذا ولي الله. فالصفة ليست هي الاسم، لأن العديدة يحملون الصفة ويُنعتون بالولاية لأن الله تولاهم وأحسن إليهم وأكرمهم، أما الولي الذي هو من اسم الولي حاله حال ومقاله إدراك ومقامه جلال.

❖ ولاية من اسم الله الوالي

أما الولاية المستمدة من اسم الله "الوالي" هي لأهل السماء ولأصحاب النور الكامل ولمن هم فوق الباب الإبراهيمية الأولى، فلله تعالى أرواح تطوف في الوجود دون أن تُحمل في ذات بشر ولا في صفة ملاك ولا في هية جن، بل خلقت روحا لتبقى روحا ويسمون أيضا "بأولياء الساعة" ولهم مهمة في شأن الأقدار وفي تسيير الكون وفي تنزل الرحمات وفي تلقي الألطاف وفي رد مظاهر العذاب، فخلقهم للخلق رحمة وشفقة من الله على وجوده فجعلهم بين الصور والتصوير آية للتمكين.

والوالي هو اسم من أسماء الله التي تُصنف في أسماء التكليف، والفرق بينه وبين الولي في موضوع المشيخة أن الولي هو من يتصرف إذن الله فيه وتتصرف حضرة الإطلاق عبره.

أما الوالي هو من يُعطى أمانة التكليف فيتصرف بها هو، ولهذا خلقوا روحا دون طينية، فلا يحتاجون لتطهير أرواحهم من أثر البشرية ولا يحتاجون التزكية ليحرروا أرواحهم من قيود الذات، فإنهم خلقوا مجردين من الخلق الآخر وبُعثوا أرواحا ليضلوا أرواح وآتاهم الله مهمة التكليف بالولاية فيتصرفون في شؤون الأقدار، ومن المعروف في باب الأقدار أن القدر المشروط يبقى مفتوحا بالشرط ويتقلب حاله من

ثابت إلى متغير، فهؤلاء الأولياء لهم أمانة القدر المشروط فيتحملون بعضه عن أصحابه وإن كان شرا لم يؤتوه كله وإن كان خيرا باركوا فيه.

ولهم مهمة وجودية في التسيير حيث لهم إذن الإطلاع على الوجود وتقلبات شأنه وتنزلات الرزق وتفعيل الأقدار وأخذ الأرواح وبعث الحياة، فهم السائحون المسيرون.

ومظاهرهم الظاهرية في الأرض تظهر كالنجم الثاقب الذي لا يُرى إلا في حالة الذروة وفي سعة العرش وعند النداء، ولهم مهمة النفخ في الصور وفي تحريك الألطاف الأرضية قبل أن تكتب في الأقدار السماوية. وما يميزهم عن الملائكة أن الملك لا تجتمع فيه مهمتان فالذاكر يبقى ذاكرا والساجد يبقى ساجدا والكاتب يبقى كاتبا إلا سيدنا جبريل عليه السلام الذي وضعه الله في كفة والملائكة في كفة أخرى، أما أرواح الولاية فيخدمون الوجود بما توجبه الساعة وبما يقتضيه الآن، ففيهم اللطف والرحمة والقهر والقبض والبسط والود والحكم و القضاء...

- ومن تجليات الوالي أيضا نجد الولاية في عالم الأرواح النارية أي من هم خلف الفالق النوراني وولايتهم لا تتجاوز الفالق وتنحصر في نفس جنسهم فلا تكون لهم الولاية على الإنس مطلقا، وولايتهم يُقصد بها الإرشاد إلى طريق الحق وإلى الطريق النور وقد يستعينوا بالبشر في دعوتهم إلى الله، أما ولاية البشر فتمكن من خرق الفالق النوراني، لأن النار تتبع النور لأنها خلقت منه والنور لا يتبع النار لأنها تتولد منه.

فالله تعالى كلف الإنسان بالأمانة وهذا التكليف خص به الإنس وخاصة أمة محمد فجعلوا الهداية للإنس والجن. أما الجن فإنهم يدورون في فلكهم ولا يرشد الجن إنسيا إلا في حالة الظلال، يقول الله تعالى "**وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا** "[13] و في قوله تعالى: "**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ*إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**"[14].

فالولاية في عالم الجن صنفان:

1)<u>ولاية الهداية والإرشاد إلى الصراط المستقيم:</u>

وتؤتى لأُولي العلم منهم ولا يملكون سلطة على الإنس فيتصرفون في عالمهم وفي جنسهم وتبقى ولايتهم محدودة جدا لأن أرواحهم لا تكتسب نورانية روح الإنس وحتى وإن تحررت تبقى متمسكة بناريتها.

2) <u>ولاية الضلالة والتضليل:</u>

- و هذا الصنف الثاني هو الأخطر والذي يفتح الإنسان بابه بضلالته؛ فيجعل مرشده هو الشيطان ووليه إبليس وقد يكون على علم بذلك وقد يجهل هذا الأمر، فيجدر التوجيه إلى أن الإرشاد من الباطن دون الظاهر أمر لا يصح لأن الإنسان يجهل عالم الروح وقد يستغل الشيطان جهل الإنسان فيتهيأ له بصفة الولي المرشد

---

[13]- سورة النساء، الآية: 119

[14]- سورة النحل، الآيتين: 99 - 100

ويقوده إلى جهنم بالمعصية والكفر دون علم منه، **فلا إرشاد في الباطن فقط** ونؤكد عليها، لأن ضعف الإنسان لا يمكنه من التمييز بين ما هو حق وما هو افتراء لذلك فإنه يحتاج للحي الذي يراه وليس للشيطان الذي يتلبس به بصفة المرشد الناصح.

والقصد من فتح هذا الباب من الولاية هو إظهار الحق والحث على أن الوجود لا يقتصر على الإنس وعالمهم فقط بل فيه من الخلائق والمخلوقات ما لا يعد ولا يحصى، لذلك فعلى الإنسان أن يقدر قيمة روحه وأن يعي أين يضعها، فلا يتركها لإرشاد المجهول ولا يستحلي النصح من الغائب، بل الحاضر الحي الموجود أحرى بأن يعطيه الإنسان روحه ويوليه على أمره لأنه ليس بالشيئ الهين وهو عظيم عند الله تعالى.

فلينتبه كل مريد سالك إلى من ولاه على نفسه وروحه فالولاية تكون لله ورسوله والمؤمنين "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[15] الذي تحققوا باسم الولي فجردهم الله من أنفسهم وتصرف فيهم وجعلهم للخلق رحمة، يرشدون بكتاب الله وبسنة رسوله فلا يخالفونها ولا يعصون الله ما أمرهم ولا يُخفون عن مريديهم شيئا من الطريق لأن الحق لا يخفى ولو أخفاه الظالمون فإن الله تعالى ينصره.

[15]- سورة يونس، الآية: 62

❖ مقام الولاية:

مقام الولاية هو مقام صدق وقرب ومحبة، وهو المقام الذي يُكشف فيه الحجاب بين الإعجاز والتحقيق وكما قلنا يسمى حضرة الإطلاق نسبة للاستجابة المطلقة وللقدرة المفعلة فيها.

وهو المقام الذي تُحيى فيه الكرامات، فمن تحققت فيه كرامة فهو ولي، ولا نتحدث عن الكرامات الدنيوية كالتحكم في النار أو خرق الجذار أو ما هو لإظهار النفس بالتعظيم وإبرازها بين الخلق. بل نتحدث عن الكرامات التي تقلب القلوب من الجفاف إلى المحبة ومن الغفلة إلى الذكر، الكرامات التي تُظهر الحق ولو أن الحق لا يخفى، الكرامات التي يعجز الفكر عن إدراكها ويعجز الحس عن تأديتها، فالمطر لا يهطل إلا بإذن الله فإذا توقف هل سيتحكم فيه أصحاب الردة بعد الله.

لذلك وجب التمييز بين ما هو حقيقي وما هو وهم والفرق حقا يظهر في المقصود والبُغية لأن الأولياء لا يكشفون كرامتهم وإن تحركت فيهم ففي ستر وفي خفاء ولا يجاهرون الناس بها ولا يفتنوا الخلق بها ليجعلوها مقصدا لهم، أما الوهم فيُبتغى به الشهرة وجذب الأتباع والتباهي بالقدرات فإذا نظرت إليها بعين البصيرة أدركت أنها فعل الشيطان.

فالولاية الحق هي المظهر الكامل لله تعالى في تصرفه وقدرته وعطاءه ولهذا المقام آيات في الكون وفي السلوك وفي مظاهر الغيب.

❖ آيات مقام الولاية:

▪ مقام الولاية في السلوك:

وهي وصول بالتجرد والافتقار ولا تكون فيه النية حتى، لأن من سلك مسالك الرجال واقتفى أثرهم ليأخذ الولاية فإنه ليس سالك حتى؛ فالسلوك هو النية، والنية هي نيل رضى الله تعالى في الدنيا والآخرة.

فالولاية لا تطلب ولا تسأل ولا تؤتى من شخص إلى شخص بل هي من الله مباشرة عكس السر الذي قد يمرره الشيخ إلى المريد عند اكتمال تربيته. فهي لا تورث بالذوات ولا بالأرواح ولا بالأسرار، بل هو تنزل من الله تعالى مباشرة على من أرادهم الله واختارهم. فمثلا تجد إخوانا في نفس الطريق يتلقون التربية والسر على يد ولي صالح فيخرج منهم من هو واصل ومن هو موصل ومن هو شيخ عارف، لكن الولاية لا يرثها أحد من شيخه إنما هي اجتباء من الله بعد أن تكتمل تربية المريد ويُصنف في مهمته الكونية.

وهذا المقام حقيقة يُعرف بالاتزان أي الأخذ من الشريعة ومن السنة قبل الحقيقة. فتكسوا الولي قوانين الظاهر وباطنه يغترف من الباطن ولا يكشف للناس حقيقته. والولي الحق هو من ترى فيه الحق سبحانه.

- **مقام الولاية في الكون:**

هو الرحمات الخفية والسكنات القدسية والألطاف المحمدية "هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[16]؛ ففيض الولي على مريده يجعل الوجود يستقي من فيضه ومن مقام قربه، وهذا في حالة اجتمعت المشيخة مع الولاية، لأن من الأولياء من اختصوا بالولاية فقط دون المشيخة ومهمتهم العمل الباطني وما سبق ذكره، أما الولي الذي ينتفع به المريد هو من طولب بالإرشاد أيضا، فيكرم من صاحبه بكرمه ويجود عليهم بجوده ويوصلهم إلى مقام الإحسان بفضل من الله تعالى.

- **مقام الولاية في الغيب:**

وهو الأقرب لمقام الصديقية، لأنه من خصوصية اسم الله ومن حقيقة اسم الولي، فجعل مقاما وحضرة ووجدانا وأشواقا ومحبة وفيوضات ورحمات وسكنات، فالله أحيى الحياة بولايته وأدخل بعضا من الأرواح في موالاته، فعُبد لأنه الله ولم يُعبد لأسمائه ولا لصفاته ولا مكارمه ومحاسنه، فالله حي في العباد بما أحياهم وهو وليهم في الدنيا يخرجهم من الظلمات إلى النور وهو وليهم في الآخرة يغفر لهم ويُشفع رسوله فيهم. والحمد لله رب العالمين.

---

[16]- رواه البخاري **(6408)** ومسلم **(2689)**.

الشيخ المرشد:

الإرشاد هو من مهام الروح التي ظهرت في الأنبياء والرسل ثم المشايخ الكرام، وهي مهمة ذات قدر معرفي وقدر ذوقي ومقام وجداني، فباب الإرشاد هو أكثر الأمور التي يجهلها الخلق خاصة في باب الروحانيات وفي باب الوجدانيات والاتصال بأهل الباطن، فيخلطون بين الإرشاد في العبادات والإفتاء في المسائل الفقهية وبين الإرشاد الباطني وتحرير الأرواح من أجسادها.

وبإذن الله سنوضح كلا من الجانبين، وبداية نُعرف بالإرشاد الذي هو قبل كل شيء إذن إلهي محمدي يستقر في جوهر الروح وهو الإذن الذي يأتي من أمر الله ويتنزل على رسول الله ﷺ ويمر منه إلى الروح المختارة، والمعروف عن الإرشاد ذي الإذن المحمدي أنه قليل ونادر في الزمن والمكان، فلا تجدد التعدد في بلاد واحدة بل يكون على أقصى حد خمسة في الكون كله لما تحمل هته المهمة من ثقل وقدر وتعظيم.

والمرشد الروحي هو الذي يسمى بالأب الروحي ومعناه أنه يرعى الروح ويحرص على نضجها وتوازنها لكي يعيدها لخالقها قبل أن تفنى ذاتها، فكما أن الإيجاد من عالم الروح إلى عالم الدنيا يحتاج وسيلة وهي الآباء، أيضا الرجوع من عالم الدنيا إلى

عالم الروح يحتاج الأب الروحي. وهو رجوع قبل الموت ويوصف ب"اتصال الروح" أي عودتها لأصلها وتحريرها من قيود الدنيا.

❖ والإرشاد نوعان:

1) الإرشاد السلوكي:

إرشاد وتوجيه للصراط المستقيم ولسلوك منهج الفلاح عبر اتخاذ الشيخ المرشد الذي يرشد مريده للصواب ويحققه بالتربية النفسية التزكوية ويوجهه لمقصده في الوجود وعلى أهمية العبادة والتحلي بالافتقار والتواضع والرضا وكل مبادئ الطريق، وهذا الإرشاد متاح لكل المشايخ الموصلين الذين أوتوا المشيخة منه ﷺ وأمروا بالدعوة الى منهج الحق لأن هذا الإرشاد يهتم بعين الشريعة وبأوامر الله الظاهرة في كتابه وفي سنة رسوله التي يتناساها الخلق فيكون المرشد مذكرا بها وموجها لها، وهذا ما يسمى بالإرشاد الصحيح الذي يصح به القول والفعل فيكون المرشد شاملا مشتملا لشروط الطريق أي عارفا بالعقيدة الحقة وبالفقه الصحيح وبالتوبة وأبوابها وبالتزكية والمجاهدة فيوجه الناس للصحيح وليس للخطأ وبفهمه ﷺ وليس بفهم نفسه الخاص أو اجتهاده لأن أكثر الأخطاء التي توقع بالأمة وتسلب منها وحدتها هي تعدد الفهم للدين فيفهمه كل واحد بثقافته وبعقده النفسية وبما نشأ وتربى عليه مما يجعل الاختلاف عذابا وليس رحمة والحل في ذلك واضح وهو الرجوع

لأولي الاتصال المباشر به ﷺ،فإذا وقع الاختلاف في فهم حديث نرجعه لرسول الله ﷺ وهو الأحق بشرح كلام الله وفرائضه وكيفية عبادته وما يوجبه وما ينهى عنه، وليس ذاك الذي لا يفرق حتى بين الملائكة والشياطين ويصل قدرة الله بقدرة الشر الإبليسي والعياذ بالله، إذن فالدور الأول للمرشد هو أخذ الخطأ وتصحيحه بالصواب وإظهار الحق ولو كان مرا، وهي النقطة التي يشترك فيها كل أنواع المشايخ فيوصف الشيخ بالمرشد والوصف يعني العمل بالشيء وليس امتلاكه، أي أنه يرشد المريد لما أراد به صلاح نفسه وصلاح سيره وصلاح معرفته بربه.

2) **الإرشاد الروحاني:**

أما النوع الثاني والخاص بالإرشاد الروحاني يفتح أمامنا بابا كبيرا من التفصيلات والتوضيحات التي بإذن الله ستودع في عقل القارئ نور الفهم وفي قلبه فرقانا يميز به بين الحق والباطل.

والإرشاد الروحاني أمانة كبيرة ثقيلة أعظم من الإرشاد الظاهري، لأنها تَحَمُّلٌ لأمانة الروح التي هي من أمر الله تعالى ومن أنوراه وجوهر هويته ولا يعلم بمعدنها ولا بجوهرها إلا من هو قريب من أصلها ومستمد من عين إيجادها.

فالذي لا يعرف قيمة الذهب كيف سيعطيه قيمته وحتى إن وجده بخسا، لذلك فإن الروح لا تعرفها إلا الروح، ولا تظن من شخص جاهل بروحه وغير مدرك لقيمتها ويطلب المدد من شياطين الإنس والجن أن يُحرر روحك ويربطها بالنور لأنه

لم يحرر روحه حتى بل وزادها ثقلا وربطها بنبع الظلام، ولا تنتظر ممن يهتم بجسده ويرعاه كما ترعى الأم صغارها وغافل عن روحه وعن سقايتها أن يسقي روحك أو أن ينورها، ففاقد الشيء لا يعطيه ولن يعطيه حتى يتحقق فيه.

□ شروط المرشد الروحي:

1) أن يكون عارفا بالروح وبأسرارها وخصائصها:

فإن أول شرط في المرشد الروحي هو أن يكون عارفا بالروح وبلطائفها، عالما بأشراطها، متمكنا من عالمها، متعرفا على خصائصها، عارفا بجوهرها وبسرها وبأمرها، معرفا بها لمن يجهلها.

2) أن يكون من المشهودين الشاهدين بعهد الربوبية:

ثم الشرط الثاني هو أن يكون من المشهودين الشاهدين بعهد الربوبية والذاكرين المذكرين بها، وهذا الشهود يعني أن يكون عارفا بأصل الروح وبمسراها وبمقامها وبأحمديتها وبأوجه توهجها وبأسباب ذبولها وانطفائها. وهذا العهد إذا تذكرته الروح تحققت به واتصلت به اتصالا يحييها.

3) أن يكون حاصلا على إذن محمدي:

ثم الشرط الثالث هو الحصول على إذن محمدي منه ﷺ مشافهة ويقظة ومجالسة وتكليفا منه ﷺ في حضرته وبشهود حضرته لأن الإذن يفتح المغلق وييسر المعسر

ويحصن الروح، لأن تحصين الروح لا يكون إلا بنور أقوى منها وهو نوره ﷺ لذلك فإن الإذن المحمدي في الإرشاد الروحاني يمنح حصنا من حصن الله وحفظا من حفظ الله تعالى.

4) **<u>أن يحرر الأرواح بفتح أقفال لطائف الروح:</u>**

والشرط الأخير هو تحرير الأرواح من قيود الأجساد عبر فتح أقفال لطائف الروح، وكما تلاحظون فإنه الشرط الأخير وليس الأول، لأن العديد من المناهج والطرق يعملون على تحرير الروح دون تحصينها ودون التمكن من عالم الباطن ويتركونها تهيم في الفراغ فيتربص بها الشيطان. وهذا الشرط ضروري من الضروريات الكبرى لأنه إن لم يكن في المرشد فإنه هلاك للروح ولحاملها ولمحررها.

فتحرير الأرواح ليس بالأمر الهين لأن السر ليس في فتح أقفال اللطائف بل السر في إخراج الروح وحمايتها وتحصينها وأخذها لعوالم باطنية ثم إرجاعها للجسد سالمة منورة قوية. وهته الشروط إن اجتمعت في المرشد فإنه يؤتى أمانة إرشاد الروح في إسراءها ومعراجها.

معارف في أقفال لطائف الروح وأسرار الله في عبده:

❖ مقـدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا ومولانا وقرة أعيننا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى كل من أخذ عنهم من المحبين والتابعين، وعلى كل من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الله عزوجل أوحى في ملكوته ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾[17]، وقال: ﴿**لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[18]. وأيضا: ﴿**وكان الله على كل شيء مقتدرا**﴾[19] فجعل لنفسه الوحدانية والفردانية والوجود الدائم وأوحى لعبده أن زُلْ منك أُعَرِّفُك عليك، واخرج من نفسك أُحَقِّقُك بك، إِنِّي خَلَقْتُ فيك فأبدعت، وصنعت فيك فحققت، أوجدتك من بديع صنعي ومن كامل قدرتي فما عرفتك بنفسك إلا حين عرفتني ولا يعرف العبد ربه إلا إذا شهد بشهادة الحق أن **لا إله إلا الله** لا يشرك به في قلبه شيئا، ولا في روحه شيئا، ولا في تعلقه شيئا، تليها **لا إله إلا أنت** بحضور العقل والذات والروح، تليها **لا إله إلا هو** بفناء الاسم والرسم والعلم، تليها **لا إله إلا أنا** أني أنا الله القريب المجيب حينها تنخلع السماوات وتزول الأراضين ويظهر الإنسان على ربه فيعرف الله

---

[17]- سورة طه، الآية: 14
[18]- سورة الحج، الآية: 26
[19]- سورة الكهف، الآية: 45

عز وجل الإنسان بنفسه يعرفها بأسرار خلقها فيه من علمه ومن لدنه يعرفه بخصوصيته ويعرفه بقدرة الله عز وجل المتمثلة في الإنسان ذلك لأن **الله عز وجل خلق في الإنسان مفاتيح أسرار وروابط بذات الطين وروح الأنوار** سميت هذه الروابط والمجامع والأقفال **بحيرة الأبرار وخصوصية أهل الاختصاص.**

حيث جعل الله عز وجل في كل لطيفة من لطائف الإنسان السبع أرضا وسماء إلا لطيفة خارجة عن الذات موقعها فوق الرأس جُعِلَت مخلوقة من سماء وحدها لذلك ذكرنا في كتابنا في الصلاة على النبي سفر الحقائق إشارة إلى اللطائف الروحية بحديثنا عن **السماوات السبع والأراضين الست** هنالك نقصد أراضي اللطائف ولا نقصد سماوات وأراضي الزخارف، هنالك نقصد سماوات العلوم ولا نقصد سماوات الغيوم، هنالك نقصد أسرار العلوم وليس ما يفهمه أهل العموم، نقصد لطائف الروح وأسرار الله في عبده ولا نقصد الصحائف التي نشرها ما بين ملكوت نوره وأسرار غيبه.

❖<u>تسميات لطائف الروح:</u>

ولهذه اللطائف تسميات حسب كل سر مكنون فيها مختوم بسرها معروف بقدرة الماهية محتوم بعلم اللادنية: فتسمى **اللطيفة الحمراء** وهي أسفل لطيفة في جسد الإنسان **لطيفة الشرود**، وتسمى **اللطيفة البرتقالية** التي فوقها **بلطيفة القيود** والتي فوقها بـ**اللون الأصفر** بـ**لطيفة الوجود**، والتي فوقها بـ**اللون**

الأخضر بـ**لطيفة الودود**، والتي فوقها **باللون الأزرق الفاتح** بـ**لطيفة العهود** والتي فوقها بـ**اللون الأزرق الغامق** بـ**لطيفة الشهود** والتي فوقها تقع خارج جسم الإنسان وهي **اللطيفة البيضاء** بـ**لطيفة المعبود**.

❖**بعض أسرار اللطائف وألوانها:**

وفي كل لطيفة جعل الله عز وجل سرا مرتبطا به تعالى رابطا بين الأرض والسماء موصولا بين الدُّنَى والعُلَى، وواصلا بين البشرية والروحانية، و بين الذاتية والحرية.

1) **اللطيفة الحمراء لطيفة الشرود:**

- **أرض لطيفة الشرود:**

فأما اللطيفة الحمراء لطيفة الشرود يقع في أرضها كل ما يلهي الإنسان عن أصله في الوجود وسببه فيه، ويبعده عن الحق، ويجعله يلعب ويعبث ويلهو، وهي لطيفة **الشهوات الجنسية والذاتية والرغبات النفسية ونحو ذلك**.. مما يشتهيه الإنسان في حياته وتكون تلك الشهوة لا منفعة لها ولا أصل لها ولا سبب لها، فإذا تدبر الإنسان بعقله الصافي المنور لماذا يميل شهوة إلى ذلك الشيء فإنه لن يجد سببا واضحا ولا مقنعا لذلك، ولن يجد نتيجة مجدية ولا عاقبة مرضية، يميل من

أجل الميل فقط ويشتهي من أجل الاشتهاء، حيث يجد في ذلك متعة ولا يدري سبب ذلك ولا عاقبته ومخرجه.

هنا يصير في حالة شُرُود يشرد فيه عن الطريق الصحيح وعن السلوك القويم فإما يجنح الإنسان بهذه الشهوة فيتبعها ويشرد بذلك عن سبب وجوده في هذا الكون وعن الغاية الأساسية من خلقه، وإما يمتلك جماحها فيسيرها في مرضاة الله عز وجل وبذلك ينتقل من أرض لطيفة الشرود إلى سماء لطيفة الشرود.

- **سماء لطيفة الشرود:**

وسماؤها حكمة إلهية، ونفثة ربانية، وسنة كونية، ووديعة سنية تمثلت في إرادة الله عز وجل في خلقه بالوسيلة، وإيجادهم في الحياة الدنيا بالواسطة، وكذلك إرادته التي اقتضت تكاثر الجنس البشري وتواجدهم على الأرض من خلال سلالة تورث أبا عن جد وابنا عن أب إلى أن يرث الأرض عز وجل ما أورثه لعباده يطوي السماوات ويفني الأراضين ذلك يوم موعود حق آت لا ريب فيه إنما يؤخره إلى أجل مسمى؛ فإذا جاء حينه فإن الله فاعل أمره ومحقق وعده وهو على ذلك قدير.

كما اقتضت أيضا سماء لطيفة الشرود في سنن الله عز وجل أن الإنسان محتاج، وفي سر هذا الاحتياج يتميز ويتفرد، وفي سر هذا الاحتياج سلوك إلى الله عز وجل إذ لا يسلك إليه غير المحتاج ولا يتجاوز العقبات في الطريق غير المفتقر. **فالملائكة لم يجعل الله عز وجل في باطنهم لطيفة الشرود بل نزههم عنها لذلك** فلا سلوك لهم ولا طريق لهم إليه إنما يفعل بهم ما يشاء، يأمرهم فيطيعون بأمره أمره، ويسبحون بحمده حمده، ويخضعون لسره في خلقه، وهم بذلك لا يتقربون منه ولا يسلكون الطريق إليه، إنما الله عز وجل جعلهم في حالة من الخدمة، وهي حالة استقرار لا سلوك فيها. لكن الإنسان مُيِّز بهذه اللطيفة فَجُعِل سالكا إلى الله عز وجل سائرا إليه عن طريق هذا الاحتياج إلى شهواته الجسدية والجنسية والاحتياجات الطبيعية.

2) <u>**اللطيفة البرتقالية لطيفة القيود:**</u>

أما **لطيفة القيود** هي لطيفة تقيد الإنسان وتحيط به، والله لا يحاط به إنما يحيط بعبده، فهي مخلوقة من سر اسم الله المهيمن الذي يهيمن على العبد ويجعله محصورا في ميم محسوس ومألوف ومعروف ومكان وزمان وهي لطيفة الدُّنَى.

- **أرض لطيفة القيود:**

أرضها هي الحياة الدنيا التي يُقَيَّد فيها الإنسان بجسده، إذ لا يمكنه أن يتواجد في مكانين في آن واحد، ولا يمكنه أن يخرق الأسوار والعوائد، ولا يمكنه أن يتجاوز السنن الكونية، فهو مقيد في حاجته إلى الأكل وإلى الشرب، مقيد في حاجته إلى الأسرة وإلى التعامل مع العالم الخارجي، والتعامل مع الدنيا والسهر على نيل حقه من الرزق ليستمر عيشه على هذه الأرض.

- **سماء لطيفة القيود:**

أما سماء لطيفة القيود فهي عالم الروح الذي تحصر فيه الروح أيضا بزمان محدد ومكان معين وعوائد لا تجتاز، صحيح أنها تختلف عن عوائد الدنيا ولكنها أيضا دنيا روحية؛ فالدنيا صنفان دنيا جسدية ودنيا روحية، لذلك فالإنسان إذا انتقل من أرض لطيفة القيود إلى سمائها يجد نفسه منفتحا على عالم الروح يحوم فيه ويجول، ويتلقى من أسراره ويغرف من علومه إلا إنه محاط في زمان لا يجتازه؛ فلا يمكنه أن يرجع بروحه إلى ما قبل خلق روحه، ولا يمكن أن يجتاز بروحه ما بعد فناء روحه.

وأيضا يظل محصورا في سماوات الزخارف وأراضي الصفائح وليس الإنسان بمحرر وليس بموجود خارج الوجود ولا خارج نطاق يحيط به، فالله عز وجل محيط بعبده ومقيد له إلا إذا فنى فيه فإنه قد يتحرر عن نفسه بربه.

3) **اللطيفة الصفراء لطيفة الوجود:**

- **أرض لطيفة الوجود:**

أما **لطيفة الوجود** فلها سماء ولها أرض كذلك؛ فأما **أرضها فهي النفس البشرية والشيطان القرين** وما يأمران به من سوء وبعد وعصيان ومعصية فيثبتان وجودهما إثباتا ظلمانيا وإثباتا محصورا في الظلال محاطا بالضلال، فيجعل لنفسه أناة ووجودا وحضورا؛ حيث تجد الإنسان مكثرا من قول أنا أنا معتقدا في نفسه أنه شيء، وأنه موجود، وأن له سلطة وقدرة وهو في الحقيقة عدم منثور، شاء الله عزوجل بحكمته أن يجعله عدما موجودا.

1. **سماء لطيفة الوجود:**

وأما سماء لطيفة الوجود فهي الوجود الحق المعتمد على الأصل والجوهر، والفاني في وجود النور وفي حقيقة الروح:﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[20]؛ فوجود هذا الاتصال المنسوب إلى وجود الله عز وجل يحقق الإنسان بسر الوجود وبحقيقة الوجود، فيجعله موجودا بالله معروفا

[20]- سورة الحجر، الآية: 29

بالله ليس بنفسه، وبذلك ينتقل من أرض اللطيفة إلى سمائها وفي ذلك يطول الكلام وتتعدد الحكم ولكننا نذكر ما يستفيد منه الخلق ونذكر أصول هذا العلم وأساسياته وهو من إبداع الله عزوجل في خلق خلقه وفي صنع عبده.

4) اللطيفة الخضراء لطيفة الودود:

أما **لطيفة الودود** ففيها أرض كذلك وفيها سماء وهي مخلوقة من صفة الوِدّ من اسم الله الودود.

2. أرض لطيفة الودود:

أرض هذه اللطيفة ما يتحرك في الإنسان من مشاعر بشرية كالإعجاب والمحبة والفرح والحزن والشوق والقلق والخوف وغير ذلك مما يعرف من تقلبات مزاج الإنسان؛ فتجده يتقلب في أرض اللطيفة طيلة يومه من عاطفة إلى عاطفة ومن شعور إلى شعور، وهو بذلك في حيرة من الوجود يبحث عن السعادة، والسعادة بالنسبة إليه استقرار الشعور على الفرح، وعلى كل أمر جميل لا ألم فيه ولا حزن، وهذا لا يدركه الإنسان مهما طال الزمان أو قصر في أرض اللطيفة الودود إلا إذا انتقل إلى سمائها.

3. سماء لطيفة الودود:

هي من فائض الود الحق والمحبة الكاملة التي يعرفها المريد في بدايته بمحبة شيخه، ويترقى في معرفتها بانتقاله من محبة شيخه إلى محبة رسول الله ﷺ، ويظل

في أحوال من الترقي والتلقي حتى يصل إلى محبة الود الجبروتي والعهد الإلهي، فيعرف معنى المحبة التي فاضت على الوجود فأوجدته، وعلى الخلق فأسبغته، وعلى السر فأمددته، وعلى الإنسان فأحيته، وفاضت على لطيفة الود فعرف بها الإنسان ربه الحليم الودود.

5) اللطيفة الزرقاء المفتوحة لطيفة العهود:

أما **لطيفة العهود** ويقع موقعها في الحلق هي تلك اللطيفة التي قال فيها الله عز وجل: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}[21].

4. أرض لطيفة العهود:

هي لطيفة أرضها عهود بشرية بين العباد؛ من عقود ومواثيق كالزواج والدين وفعل الخير وإسداء المعروف، مرتبطة بعمل الإنسان الذي يذكره عند موته، وتعرض عليه كل تفاصيل حياته ساعة وفاته، جزءً جزءا، ولحظة لحظة، فإذا كان عملا حسنا يُسَرُّ به، وإذا كان سيئا يُسَاء به.

5. سماء لطيفة العهود:

أما سماء لطيفة العهود هي ذلك العهد القديم الذي قطعته الأرواح مع ربها لما عهد إليها {**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** قَالُوا بَلَى}[22] ، قال بعدما مزجها بشبح طيني﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ**

---

[21]- سورة الواقعة: 83

لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[23]، هنالك الإنسان ينظر ساعة وفاته والنظر بمعنى التفكر والتذكر هل أوفى بحق أرض لطيفة العهود من أعمال ومن حقوق له على الخلق؟ وهل أوفى بسماء لطيفة العهود؟ أحقق الوعد والعهد الذي عهد إليه الله عز وجل به أم أنه تخلف عنه وكفر به؟ فكل كلمة وكل لفظة وكل حركة تترجم عهودا في أرض لطيفة العهود، وكل اشتياق روح و هيجان شوق واتصال وجد تمثل عهدا في سماء لطيفة العهود.

6) اللطيفة الزرقاء المُغْلَقة لطيفة الشُّهُود:

- **أرض لطيفة الشهود:**

أما **لطيفة الشهود** فأرضها بصر وسماؤها بصيرة، أرضها معاينة وسماؤها مشاهدة، أرضها نظر وسماؤها انتظار، مرتبطة أرضها بالعين البشرية وما تلتفت إليه وما تزيغ به وما تنظر إليه.

- **سماء لطيفة الشهود:**

أما سماؤها فمرتبطة بمشاهدة الروح لعوالم الغيب وحقائق السر ومعادن الأصل ونور الوجود؛ فهي عين منفتحة تشاهد العوالم و المواجد وتخرق العوائد.

---

[22]- سورة الأعراف: 172
[23]- سورة طه، الآية: 14

7) **اللطيفة البيضاء لطيفة المعبود:**

6. سماء لطيفة المعبود:

لطيفة المعبود سماء دون أرض، حقيقة دون مظهر، سر دون تجلي، أصل دون فرع، هي لطيفة مرتبطة بالله عز وجل، وبنفثته في الروح، وبنَفَسِه في النفثة، تعود إليه الروح وتلجأ إليه، تتصل به وتفنى فيه عن طريق هذه اللطيفة، لذلك فهي **لطيفة مفقودة عند غير المسلمين**، وعند كل من لا يقصد الله عز وجل، ويقصد بمعرفة علم اللطائف عوالم الدنيا وأسرار الخلق، واللطيفة البيضاء هي اللطيفة التي نفث الله عز وجل فيها من روحه لذلك سميت بلطيفة المعبود.

❖ **أسرار اللطائف من القرآن الكريم:**

لطيفة الشهود هي التي قال فيها الله عز وجل {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[24] وهي التي تحدث الله عز وجل عنها في القرآن الكريم قائلا: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السماء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}[25]. والحديث عن البصر جاء مجملا لكلية اللطيفة من جهة الأرض أي البصر ومن جانب السماء أي البصيرة خاصة أن المعراج عالم غيبي قد لا يدرك بالبصر ويدرك بالبصيرة.

---

[24]- سورة الأنعام، الآية: 103
[25]- سورة الحجر، الآية: 14

ولطيفة العهود هي التي قال فيها الله عز وجل: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}[26]، ينظرون أي يتفكرون ويتذكرون ما قطعوه من عهود في الدنيا وفي عالم الروح؛ هل أوفوا به أم كفروه؟.

ولطيفة الودود كان يخاطبها الله عز وجل إذا ما خاطب القلوب وأيضا إذا ما خاطب الصدور بكل آيات التحقق والمحبة والودية وهي كثيرة في القرآن الكريم، ومنها: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفالُها}[27]، وأيضا قوله تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[28].

أما **لطيفة الوجود** فهي التي خاطبها الله عز وجل وتحدث عنها بالنفس {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[29]، وقد أشار تعالى إلى الارتقاء بها إلى السماء في: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}[30]، وفي { وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}[31] أشار إلى الخلود بها إلى الأرض.

أما **لطيفة القيود** فقد جعلها الله عز وجل مخلوقة من سُنَن سَنَّها في الكون وهو يتحدث عنها في القرآن الكريم من خلال الكثير من الآيات التي تدل على عوائد حياة الدنيا وقواعدها وحدودياتها سواء دنيا الجسم أو دنيا الروح، كقوله تعالى:{يَا

[26]- سورة الواقعة، الآية: 83
[27]- سورة محمد، الآية:24
[28]- سورة الحج، الآية:46
[29]- سورة الشمس، الآية: 7و8
[30]- سورة الشمس، الآية:09
[31]- سورة الشمس، الآية: 10

مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}[32].

ولطيفة الشرود تحدث عنها الله عز وجل في كتابه قائلا {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[33] فهي تجمع كل ما زُيِّن للإنسان وأُودِع في أرض لطيفته مظهرا، وفي سماء لطيفته سُنَّة أرادها الله عز وجل اختبارا للعبد وامتحانا له وابتلاء له وضمانا لاستمراره وضمانا لعيشه بحصوله على قوته، وبحصوله على رزقه.

فالإنسان عالم مستقل عن العوالم، هو عالم لوحده، فيه سماوات وأراضين، وفيه ما فيه من أسرار ومن حقائق، وفيه ما فيه من أصناف القدرة الإلهية وإبداع الصنع الرباني.

❖ <u>ألوان اللطائف ودلالاتها:</u>

فمعنى تزكية اللطائف هي الارتقاء بها من أرضها إلى سمائها وتحقيقها بالسنة المقصودة منها، وليس بالحقيقة الدنيوية فقط؛ فهي تزكى فعلا وتطبيقا، وتزكى أيضا بواسطة أنوار لها ألوان شاء لها الله عز وجل أن تكون بتلك الألوان كل لون له حكمته وله خاصيته وله أمره.

---

[32]- سورة الرحمن، الآية:33
[33]- سورة آل عمران، الآية: 14

فاللون الأحمر قد يشير إلى جمال وهمي تميل إليه النفس، ولعل اللون البرتقالي يشير إلى تلك العين الحمئة التي تغرب فيها الشمس على قوم من الأقوام، أي يغيب فيها الأصل والمنبع وإذا غاب الأصل تجسد المظهر والمرتع وهو محصور مقيد محاط به.

ويشير الأصفر إلى امتزاج مابين صفاء النور وغيره من الشوائب والمعادن وغير ذلك، وله حكمة تشبهه بضوء الشمس ليس في حالة الغروب كما سبق ذكره وإنما في حالة الشروق، وحكمة ذلك أن الإنسان في لطيفته الوجودية الصفراء وهي لطيفة نفسية محتاج إلى أن يتوجه إلى شمس محمدية يقتبس منها الصفات ويرتوي منها، ويثبت بها الأسماء، ويزكي بها نفسه، وإلا سيظل عائما في الظِلّال تائها في الضَّلَال.

وفي لون لطيفة الودود الأخضر حِكَم متصلة بالقلب المحمدي الذي نفث فيه سر الود وأصله، وهو في مدخل سره وأسوار حضرته أخضر اللون محفوف بالخضرة، وسر هذا في القلب المحمدي راجع إلى سبب خلقه والرسالة التي أرسل لها؛ فالأخضر يشير إلى الخصب والخصب يفيض بالعطاء والرحمة والود والجود كذلك قلب سيدنا محمد وكذلك فاضت صفة الود على سيدنا محمد فجعلته خصبا وتلك الخصوبة فاضت على لطيفة الود فتمثل في لونها أخضرا.

ولطيفة العهود هي لطيفة تقع في الحلق لونها أزرق فاتح يشير إلى لون البرزخ الغيبي الذي إذا اجتازه العبد تذكر العهد فلون البرزخ كلون تلك اللطيفة وانعكس هذا اللون البرزخي في مظاهر كونية كالبحر وغلاف السماء وغيرهما، وهما أيضا برزخان قد يجهل الإنسان ما بعدهما، فالبحر يجهل الإنسان ما بعد زرقته، والسماء كذلك يجهل الإنسان ما بعد زرقتها، وذلك مهما تعلم من علوم الظاهر ومهما غاص في أعماق البحار فإنه لا يعلم إلا الشيء القليل جدا من حقيقة العلم، وكذلك ما وراء البرزخ الغيبي الذي وصفه لنا الله عز وجل وذكر لنا أنه يوجد فيه وعيد وتوجد جنة وتوجد نار، ولكن حقيقة ما بعد البرزخ لا يدرك منه الخلق إلا العلم القليل، كما يدرك العلم الذي يوجد ما بعد البرزخ البحري والسماوي.

ولعل لطيفة الشهود في لونها الأزرق الغامق تشير إلى حقيقة المشهود وأسرار حضرة الشهود، فجعلت لطيفة لا يميز فيها الأصل من الفرع. اللون الأزرق الغامق يشير إلى حالة الليل وحالة الليل مشيرة إلى تنزلات ذات الله في ذلك الليل، حيث قال الله عز وجل على لسان نبيه أن الله يتنزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا؛ فمن تحقق بلطيفة الشهود يراه لكن لا يراه بذاته إنما يراه بمشهوديته الكامنة في ذلك الليل شهود قرب ومشاهدة واتصال وشعور. وهو أيضا يشير إلى حال الإنسان في حضرة الله الأحدية إذ تختلط عليه الحيرة بالحيرة ويشرب من

كؤوس السكرة حتى يصبح نظره الواقع على ذات الله واقعا بخصوصيات الليل أي دون حس ودون مكان ودون لون ولا صورة.

وهذا السر يصعب وصفه بالكلام ولو أننا أشرنا ما استطاعت له العبارة إشارة في هذا الستر المكنون لنقرب المعنى فقط لكن الأمر يعاش ولا يحكى.

ولطيفة المعبود بيضاء لأنها مقتبسة من النور حق الحق، نور مضيء مشع منير لا يخالطه مخالط ولا يمتزج به ممزوج منسوب إلى الله تعالى، نور من الله، حقيقة في الله، سر من الله.

هذا مما علمني ربي وهذا مما تنزل به الإلهام على قلبي وهذه حقيقة الإنسان وهي حقيقة قليلة جدا من الحقيقة الكلية التي يعلمها الله عز وجل بعلمه. هذا.. وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا، والحمد لله رب العالمين

❖ فوائد تحرير الروح من الأجساد:

وفضائل تحرير الأرواح من الأجساد كثيرة وأهمها بعدد لطائفها الكبرى:

١- **وَصل الروح بعالمها عبر اللطيفة البيضاء** وتمثل علاقة الشخص بربه فكلما حدث الاتصال بعالم الذر وبسر الروح زادت الروح نورا عبر نور لطيفاتها البيضاء، فمركزها تاج الروح ومنها يمتد الحبل النوراني الذي يربط الروح بالله تعالى.

٢- **انفتاح البصيرة على العالم الحق وعالم الشهود**، فالإنسان إذا انحصر في نظر عينه المجردة فإنه يبقى في المحسوس المعتاد ولا يدرك جمال المستور ولا يعيش بسره الآخر، لأن للإنسان سران: عين ينظر به ليعرف، وبصيرة يبصر بها ليتعرف. فتحرير الروح من الجسد تجعل بصيرته منفتحة على أنوار الحق وعلى تجلياته ومظاهره الكونية.

٣- **ومن فضائل ذلك أيضا مخاطبة الأرواح بالأرواح**، لأن الكون لا يحمل حديث اللسان فقط بل للروح حديث ولغة ومخاطبات من خطاب الله الأول لها. فللساكنات والجمادات أرواح يستطيع الشخص مخاطبتها عبر روحه إذا تحررت ورفع عنها حجاب التكليم، فتسمع الخطاب وتُحدث بالمخاطبة.

وهذا التحرر بالخطاب له مقامات ودرجات تتمثل في الروح، فكلما نضجت وارتقت وزادت نورا ترتقي في مخاطبتها من الكلام مع أرواح الجمادات الأرضية إلى التحدث مع السائحات الكونية السماوية، ثم مع أرواح أهل البرزخ ثم في حضرته ﷺ المحمدية والأحمدية ثم القدسية ثم الحبيبية إلى الحضرة الكبرى.

٤- **ومن كرامات هذا الانفتاح على عالم الباطن هو انفتاح بصيرة القلب والفؤاد**، لأن الانفتاح الأول المتصل باللطيفة الزرقاء المغلوقة يكون في حدود الخيال وقد يكون حيا أو متحركا.

أما انفتاح بصيرة الفؤاد يُقصد بها الاستمداد فانفتاح بصيرة قلب المريد على بصيرة شيخه تجعله يتصل به اتصالا ليس بالمشاهدة والمخاطبة فقط بل بالاستمداد، وهذا الاتصال مقامات ودرجات يتعرف عليها المريد بالمجالسة والفناء والمحبة وليس بالقراءة في الكتب ولا بالإطلاع على أحوال السابقين، إنما بارتواء روح الشخص من عين الاتصال والاستمداد.

٥- التحرر من التعلقات الدنيوية بتحرر الروح من قيود الجسد، لأنها بتطلعها على عالم الحق ومشاهدتها للجنة والنار وبمخاطبتها للملائكة وللسابقين تفنى عن الدنيا وعن ملذاتها الزائفة وتدرك حقيقة الوجود ومقصد كل موجود.

٦- امتلاء الروح بالأنوار التي تنشط الذات على العبادة: بتحرر الروح وسفرها إلى معالم القرب وارتقاءها في معارج السماوات فإنها تعود ممتلئة مثقلة بالأنوار فتفيض على الجسد من نورها وهذا ما يجعل الصلوات والذكر والعبادات ذات معنى وخشوع ولذة ولهفة، فضعف الخشوع والتثاقل في العبادات دليل على جفاف الروح وضعف نورها لذلك وجب تغذيتها من غذاء الروح.

٧- **وأما النعمة الكبرى من تحرر الروح هي العيش بها في الدنيا قبل الآخرة،** فيبصر الشخص حقيقة الأمور وما تنطوي عليه، فإذا نظر للخلق نظر إلى صنع الله البديع، وإذا رأى الجمادات رآها متحركة بذكر الله ساجدة لأمر الله، وإذا أبصر بعين شريعته حكم بعين حقيقته فسقى الخلق بسقاية الله لروحه.

فالسير إلى الله لا يكون بتربية الأنفس وتزكية الأجساد فقط لأن هذا لا يحقق بالصلاة في مقامات القرب، ولا السجود في حضرة الله ولا الصلاة على رسول الله ﷺ في حضرته ومجلسه ولا الصلاة كما كان يصلي، إنما هذا يعاش بتزكية الروح أيضا وتغذيتها وتنويرها، فبها تتم الصالحات، وبها تيسر العبادات وتيسر المجاهدات.

فالذي يجاهد في نفسه لأنه يرى الوصول بعينه، ليس كمن يجاهد وبصيرته متصلة بما شاهده الآخر وبما رواه السابقون، وحتى وإن تحفز بكلامهم فسرعان ما تنطفئ شعلة عزيمته أما إذا رآه عيانا فإنه اليقين بحق الوصول.

وكما أن للروح أهمية عظيمة في سير المريد السالك وفي معرفته بربه وفي تثبيت تقلبات نفسه فإن للمرشد الروحي الذي يفتح الباب لهته الروح دور أهم وأجل وأكبر يتجلى في مظاهر عديدة:

❖ أدوار المرشد المأذون بعد فتح بصيرة الروح:

١ - تأمين الروح وتحصينها إذا ما خرجت لعالم مجهول غير معروف:

فالإنسان قد يتيه في مدينة يعرفها وهو بصير يرى بعينيه، فكيف بعالم لا يعرف عنه شيئا ويُعد فيه أعمى فإنه سيتيه لا محال، لذلك فالمرشد الروحي العارف بعالم الروح ضروري وهته الضرورة تتجلى في الثقة المتبادلة بين المريد وشيخه، فإذا لم تكن هذه الثقة فيصعب تحرير الروح ويصعب إرشادها وتوجيهها.

فليس من السهل والعادي أن يكون الشيخ عارفا بعالم الروح وهته المعرفة لا تكون قراءة في المخطوطات والمرموزات بل هو سلطان من نور وإذن من عنده ﷺ يجعله الشيخ نبراس يضيء به ويحكم به ويميز به، فالاحتماء بحصنه يؤمِّن روح المريد ويجعلها تتقوى بسفرها وتأخذ منه ما يفيد دينها وتقواها.

٢ - تصحيح نية المريد وقصده من سفره

بتذكيره دائما بأن الهدف الأسمى هو التحقق بعين اليقين لعبادة الله بحقيقة اليقين وأن الهدف من السفر الروحي هو أخذ الدين حيا من أصله، فليس الهدف من المعراج هو البحث عن الكنوز أو أخذ القوى من الجن أو التجسس على الآخر أو سرقت الممتلكات لأن هته الأهداف تُخرج الشخص من المقصد الأسمى وتزيحه عن الشريعة وتجعله كافرا بنعمة الله التي هي الروح فلا يوظفها فيما يرضي الله بل قد يؤدي بها الخلق وهته الأخطاء كثيرة يقع فيها كل من يسافر بنفسه ولا يتخذ لنفسه شيخا مرشدا يذكره إذا ما اختلطت النوايا أو زلت القدم أو تقلبت المقاصد.

٣ - وصل المريد برسوله أولا

وليس تحرير الأرواح لتتصل بالأشجار والأحجار وتكلم الحيوانات وتحرك الجماد، فبالأحرى لمن تحررت روحه أن يلتقي بنور نبيه الكريم الذي فتح لنا باب المعراج وبروحه نرتقي ونسافر ونتعلم ونتعرف.

لذلك فعلامة المرشد المحمدي هو الذي يصلك بنور رسول الله ﷺ وبمظاهره كالقبة الخضراء والشباك النبوي وقبره الشريف ليجعل مِن تحرر الروح حسنات وزيادة في التقوى والإيمان وليس بعدا عن الله وكفرا بنعمه.

فليحذر كل من يبحث عن مرشد يعينه على تحرير روحه من الذين يدعون الإرشاد ويكذبون المنهج الصحيح ويدعون الخلق لما يُخالف سنة رسول الله ﷺ،فالعديد منهم يختبئون في نور الله ويدعون الاتصال بالله وأن تحريرهم لأرواح الخلق يمر عبر التأمل في اسم الجلالة لكن ما يخفونه أخطر وأبعد بكثير عن الله، لأنه لا اتصال بالله دون رسول الله ﷺ،وإذا ذكرته ﷺ أمامهم ترى وجوههم في كدر ، كما أنه لا علاقة لهم به وبسنته، فهنا يظهر الخلل ويتميز الحق من الباطل.

خُذْ علمك من مَن يذكر رسول الله ﷺ في كل أحايينه، واعرف ربك بمعرفة رسوله، ونَوِّر روحك من روحه ﷺ.

٤- مَنْهَجَة المعراج وإعطاءه شرعية محمدية وحقيقة أحمدية:

فيكون المسار النوراني واضح واللقاء بأهل البرزخ محاط بهالة الإذن التي لا يقربها شيطان ولا يمسها سوء، لذلك فإن المعراج الممنهج والمؤطر ليس كالعبثية، خاصة في بدايات المريد في الأمور الروحانية حيث يكون تائها بين الخيال والحقيقة والواقع، فهته المنهجية تؤمن معراج المريد إلى أن تتعرف روحه على العوالم الباطنية ويضبط بذلك مبادئ المعراج ثم تنتقل روحه من القاعدة إلى الاستثناء.

٥- توجيه المشاهدات وتفسير الرؤى وتوضيح الخطابات التي تُسمع ومصدرها وأصلها:

فليس كل ما يُسمع و يرى صحيح وحق خاصة إذا كان الشخص غير مُزَكَّى وغير مطهر فقد تدخل أناه في التفسير والتأويل ويتدخل كبره في ذلك فيخطئ ويفقد السيطرة على زمام نفسه فيرى ما يريد أن يراه ويسمع ما يريد سماعه لأنه في هذه الحالة تصبح النفس مرشدا له فتريه مشاهدات التعظيم والتقدير له وأنه ذو شأن وقدر لكن حقيقة هذا من وهم النفس.

أما إذا كانت مشاهداته موجهة من طرف شيخ مرشد فإنه بذلك يميز ما هو نفسي وما هو عقلي وما هو روحاني ويساعد الشيخ مريده على تصحيح القصد والمشاهدة ويصحح خطأه وينبهه من المزالق والفتن النفسية.

٦- أن يؤتي الإذن منه ﷺ في الإرشاد:

ولا يؤتى لغيره من المرشدين ولو كانوا على حق، لأن الإذن من رسول الله ﷺ يخلق الاختلاف، فتجد داعيان يدعوان إلى دين واحد ولنبي واحد ولله تعالى لكن واحدا منهما يملك الإذن الصحيح منه ﷺ والآخر يجتهد بعقله وفهمه فتجد الإقبال والقبول على صاحب الإذن.

كذلك فإن الخصوصية التي يحملها المرشد المأذون هي أنه يكون مع مريده في كل أحايينه ويراقبه في زلاته وعباداته ويوجهه في صلواته ويذكره بالله في غفلاته،

فيكون الاتصال الروحي به اتصال بالله تعالى، وهذا مقام عالي من الإرشاد لا يؤتيه الله تعالى إلا لمن أحبه.

فحقيقة الاتصال الروحي بين المرشد ومريده أنه يرى شيخه أينما ولى وجهه في معارجه وحيثما ناداه يُبصره وأينما ذكره يحضر بروحه ويأخذه حيثما شاء فيكون المرشد فاتحا لكل أبواب الروحانيات من برزخ وسماوات وحضرات و أراضي وحقائق وأسماء وصفات وكرامات ومعارف، فإذا ذكر المريد اسم شيخه تُفتح له الأبواب المغلقة ويجد نفسه في مقامات ليست من استحقاقيته ولا من كثرة عبادته أو زهده أو كثرة مجاهدته وتزكيته بل ذلك من فضل ومقام وفيض شيخه عليه، لأن الإرشاد يكون بالله تعالى والله يُعرف بمظاهره وهته المظاهر التي تفيد المريد تكون في شيخه المرشد، فبإطلاعه على حقيقة مرشده يجد نفسه يعيش أحوالا من أحوال مرشده ومناجاة من حضرة مرشده وتتحقق فيه الكرامات من فيض الله تعالى على مرشده.

وهذا الفضل العميم والنعمة العظيمة لا توجد على الإطلاق إلا في الشيخ المرشد المحمدي المأذون.

فلا ينتظر المريد الذي يريد السلوك ويريد الفتح أن يُقبل على الله دون مرشد ولا يتوقع عبد أنه تحقق بالفتح دون مرشد ولو أنه رأى من المشاهدات ما رأى فإنها تبقى من رسم الوهم وإن تجلى عليها نور واحد من نور المرشد لاضمحلت وذابت،

فالمشاهدة بالبصيرة المتصلة ببصيرة المرشد المتصلة ببصيرته ﷺ ليست كالمشاهدة بالوهم وبالتمني.

فإنه من الواجب والضروري على كل فرد أن يتخذ مرشدا يعينه في أمور دينيه ودنياه ولو لم يكن مهتما بمجال الروحانيات إلا أنه في حاجة للإرشاد، يقول الله تعالى "**من يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**"[34].

❖ الرابطة الروحية: تعريفها ووظائفها ومستوياتها:

وحقيقة الشيخ المرشد مع مريده حقيقة روحية أكثر مما هي ظاهرية، فإذا اتصلت الأرواح فإنها تُغني الأشباح وإذا اتصل الوجدان فإنه يكفي عن المحسوس، لذلك سنتطرق بالخصوص إلى العلاقة الروحية الخاصة والسامية التي تربط المريد بمرشده وهي ما تسمى بالرابطة الروحية أو التلقين الروحي:

تعريفها:

الرابطة من الارتباط والاتصال، وهذا الربط يخول سريان الشيء من منبعه إلى فروعه، فيحدث بذلك المدد والإمداد والاستمداد، وهذا حال روحاني وجداني تَفنى فيه الذات عن الظهور وتبرز الروح بجواهر النور. حيث تكون روح الشيخ هي عين المدد والرابطة هي الإمداد وروح المريد هي الاستمداد، لأن روح الشيخ المرشد

---

[34]- سورة الكهف، الآية:17

فائضة ممدة في جميع أحوالها لكن لا تُمد إلا من طلبها، لذلك فمن واجب المريد إحياء الرغبة في الاستمداد ويتحقق عبر رابطة الإمداد، ونمثل ذلك بالحبل السري الذي يجمع الجنين بأمه فيتغذى من غذاءها ويتقوى من ذاتها وتبقى حية قوية بأمر الله وهذا تشبيه مبسط يمثل ثلث حقيقة المرشد مع مريده، لأن الشيخ قد يمد المئات والآلاف من الخلق لكن مدده لا ينقص بل يزداد فيضا ووفرة لأنه من الله تعالى.

لذلك فإن أصل الاتصال بين المريد والمرشد هو بالروح قبل الجسد لأنهما قد اتصلا في عالم الذر حيث اتصلت كل روح بمرشدها وهذا الاتصال الصوري مجرد تجديد للعهد.

فكثير من الخلق يجدون لبسا في هذا الاتصال، وما يكذبه إلا الجاهلون بحقيقة سرهم. لأن أصل الاتصال كما قيل حدث في زمن آخر متصل ببروز الأرواح وفي الدنيا يتجدد ذلك الاتصال بالأشباح، فالأقدار كتب فيها كل مولود و والديه، وكذلك دونت للأرواح مشايخها، فالدنيا هي تحقيق لعهد الله وامتحان بأمر الله، فمن تحقق بالاتصال في عالم الروح فإنه يجد فيه الحب والإرادة والشوق أما من حرمه الله تعالى من ذلك فإنه سيبقى محروما ولو فتحت بصيرته لأغلقها.

وهته الرابطة الروحية ليست فقط بين الشيخ ومريديه بل تجمع بين المريدين أيضا إذا اجتمعوا على قلب واحد، فرغم تعدد الأجساد واختلاف الأفكار إلا أن

الأرواح مرتبطة بإمداد واحد وهذه حقيقة الأمة الإسلامية التي تجتمع على كلمة التوحيد وتؤمن برسالة رسول واحد وذلك بفضل الارتباط الروحي القلبي برسول الله ﷺ لأن الإيمان هو الاجتماع على قلب مؤمن والأمة الإسلامية مجتمعة على قلبه رسول الله ﷺ وهذه صورة ظاهرية للرابطة التي تجمع المرشد بمريده، فكلما ارتبطت الروح بالمدد زاد الارتباط به ﷺ لأن الربط يأتي من ارتباط محمد بأمته فيتجسد في ارتباط المؤمنين فيما بينهم.

إذن فالجانب الروحي من هته الرابطة أصله من عالم الذر حيث ارتبط كل روح بمرشدها يقول تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم"[35]، ومن الجانب الوجداني فإن أصلها من ارتباط الأمة الإسلامية بقلبه ﷺ ومن ارتباط المؤمنين ببعضهم.

وظيفتها في السير إلى الله:

- طبيعة الإنسان تجعله محتاجا للمدد بحكم النقص والخلل، فالإنسان يتقوى بالأكل والشرب والنوم وتكوين الأسرة وهذا أمر سهل على الجميع يسعى إليه الكل، لكن تقوية الروح بالمدد ليس بالأمر المتاح وليس بالشيء الذي يسعى إليه الجميع لذلك انطوت عليه صدور الرجال بالكتمان وأظهروه لمن يبحث عنه، فالغريب في الأمة هو الشيء الصحيح والخطأ فيها يظهر هو الصواب، فترى الخلق في

[35]- سورة الإسراء، الآية: 71

تهافت على أطيب المأكولات وأزكاها فأصبحت العادة هي الجسد والاستثناء هو الروح فجعل المشايخ الكرام سرهم في نجواهم وجعلوه حيا فيه يُحيي من سألهم.

وغالبا ما تجد إعراضا من العامة عن هذا وينكرونه ويرفضونه وهم لم يسألوا عنه حتى ولم يبحثوا في حقيقته وهذا ما يفقد الحقيقة ويجعلوها متخفية، فهدفنا ولله الحمد من هذا الكتاب هو تصحيح الأفكار الهدامة التي تؤدي الشخص ويتسمم بها عقله ولا يؤدى بأفكاره، فلا تبحثوا عن الحق عند العامة ولا تسألوا عنه الفاقدين له ولا تختبروا العارفين به لأن الحقيقة دائما ما تُظهر نفسها لمن أرادها، فطالب الحق يجب أن يبحث عن الحق في الحق ولو رآه مستحيلا ولو رآه بعيدا لأن الله لا يُرى والحق منه تعالى لا يُرى إلا إذا أظهر نفسه، فلا تنتظر أن يأتيك وأنت لاه غافل.

يا عجباه لقوم ينكرون ما لا يعلمون ويكذبون ما لا يشهدون ويضربون فيما لا يستطيعون الوصول إليه وينكرون ما لا يتمكنون منه.

فهته الرابطة الروحية تقوي الروح وترقيها وتعرفها بحقيقتها لأنها بتلك الرابطة تستمد من عين المدد ولو كان المريد غافلا عن ذلك ولا يراه فإن روحه تتشرب ذلك، والنور لا يستمد مدده إلا من النور كما أن النار لا تُولع إلا بالنار.

- هذا المدد الذي يُستمد من الرابطة الروحية يجعل روح المريد متشوقة ويهيجها للعبادة والذكر وهذا ما يجعل الهمة مرفوعة والطلب مقصود والفعل مؤيد، ويجعل الوجدان هائج بالله وكلما ذكر الله دمعت عينه وتشوق قلبه وتحرك لسانه

ذكرا وذاته خشوعا وكلماته فيضا ومحبة. لأن روح الشيخ في حضرة الله تعالى تسقى من أسماءه وصفاته وفي حضرة رسول الله ﷺ تسقى من صلواته ورحماته وشفاعته فيمررها لمريده بهذا الاتصال الحاصل.

- هته الرابطة الروحية هي حقيقةً من المريد واجتهاده ورغبته وهمته لأن روح الشيخ دائما في فيض ودائما في مدد تمد من اتصل بها بمدى انفتاح ذلك الاتصال. لأن قلب المريد يمثل الكأس وروح الشيخ هو الصنبور، فالكأس يملأ بسعته والصنبور لا ينقطع ماءه، فكلما وسع المريد كأسه كلما استفاد من شيخه.

والاستفادة لا تأتي دفعة واحدة والفيض لا يأتي مرة واحدة، فكلما تطهر المريد وزكى باطنه استفاد أكثر من هذا الاستمداد لأنه إذا كان غير مزكى وتملؤه الظلمانية فيستحيل على النور الاستقرار في الظلمات.

والله تعالى بفضله ورحمته جعل اليسر في الوصول إليه دون حرمان أو كثرة زهد أو مجاهدة مفرطة وذلك بصقل جوهر الباطن بالتزكية وفتح بصيرة الروح على الشيخ المرشد ثم السلوك معه، وإنه للفتح الأقرب والأسهل.

فالله اختار عبادا يحط فيهم سره ويؤيدهم بالتوصيل ويهبهم بركة الإيصال فلماذا يبحث العبد عن تعذيب نفسه وتمديد مدة وصوله بتركه لمن يوصله والاعتماد على نفسه والخير موجود أمامه، وهذه من الأخطاء التي يقع فيها المتعبدون دون إرشاد، فقد تكون تلك العبادة سببا في دخول النار وليست الوصول إلى الله

خاصة إذا كانت بالهوى وبمشيخة النفس، فلا أحد يصل إلى الله بنفسه ولا أحد يصل إلى الله بكثرة عبادته وصومه وقيامه ولا باستحقاقيته على الله، بل الوصول يكون به ﷺ عن طريق المأذونين من أمته.

ونشير أيضا إلى خطورة النفس في هذا الأمر، فلتعلم أن أصعب الصعاب التي تمر بها نفس الإنسان وأشد الشدائد وأكبر الامتحانات هي قبول الشيخ المرشد الحي لذلك تجد العديد يميلون للمشايخ الأموات لأنهم لن يجبروا على الطاعة والامتثال المباشر وقهر النفس، فيفضل الميت الذي يتوسل به عن الحي الذي سيعينه على قهر النفس. وأمرها وحلها ودواءه هو اتخاذ المرشد وقبوله لأنها بذلك تنزل من عرش الكبر ومن سلطة المشيخة ومن قيادة العبادة وتجبر على الخضوع لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ فيجد المريد أو الطالب مرارة وألما في ذلك وأصله من النفس.

فالكثير الكثير من الخلق يعبدون الله بأنفسهم، فإذا ارتاح بالاستغفار قام به وإذا اشتاق لذكر الاسم ذكره وإذا أحس بالأنس في الهيللة قام بها، وإذا شعر بالبرود وركود الهمة لم يذكر الله، وهذا من مخاطر النفس وتقلباتها فيصبح عابدا لله بشهوته ليس بأمر الله والواجب على العبد أن يذكر الله في كل أحايينه وكيفما كان حاله في خشوع أو ركود. أما إذا كان للشخص مرشد يرى عيوبه ويعلم نقصه فيوجهه للذكر الذي سيشافي علته ويتمم عيوبه يكون أفضل وأصلح له ويقول صلى الله عليه

وسلم" المؤمن مرآة أخيه"[36] ، لأن الطبيب هو من يكشف على المريض ويصف الدواء له ولو كان المريض قادرا على هذا لما مرض ولما احتاج لطبيب، كذلك حال الأرواح والأنفس فإنها تحتاج لطبيب عارف بها يداويها إذا مرضت ويهدئ حالها إذا هاجت ويذكرها بالله إذا تجبرت.

- والرابطة الروحية هي حياة الروح وهي الباب للارتباط به ﷺ ومفتاح الاتصال بقلبه والتمسك بحضرته، فالرابطة الروحية بالشيخ المأذون تعني الارتباط بإذن رسول الله ﷺ الذي هو منه ﷺ وبذلك فإن المريد يكون مرتبطا برسول الله علم ذلك أم لم يعلمه فيتلقى التربية منه وينفث في روعه نصائح منه ﷺ و توجهات حية من حضرته، لذلك فإن الرابطة هي حياة الروح، فتكون كالقلم الذي يخطط في الورق ومداده من حضرته ﷺ،وبهذا فإن روح المريد تنفتح على رسول الله ﷺ عبر مرشده الذي ربطه به.

فالمشايخ ليسوا مقصودين لأنفسهم وهذا ما على الكثير معرفته، لأن المحمدي المأذون هو من يدعوك إلى رسول الله ليس بالقول فقط بل يجمعك به يقظة وحقيقة، ويكون مقصوده هو أن يحقق القاصد بمقصوده الذي هو الله ورسوله ﷺ،وحتى وإن طلب الشيخ من المريد التأدب في حضرته أو الخدمة أو الامتثال فذلك لتهييئه للحضرة الكبرى، لأن الخطأ في حضرة المشايخ مغتفر أما الزلة وسوء الأدب في

[36]- التخريج : أخرجه أبو داود (4918) واللفظ له، والبزار (8109)، والطبراني في ((مكارم الأخلاق)) (92).

حضرته ﷺ فهو من الكبائر، لذلك تعلم الأدب يكون مع الشيخ في المقام الأول فمن لم يتأدب مع شيخه فكيف له أن يتأدب في الحضرة المحمدية.

- الرابطة الروحية نعمة لا يعلم قدرها إلا من ذاق سرها وأمرها، ومن وظائفها الكبرى في السير إلى الله الربط الحقيقي مع الله تعالى وذلك عبر أسس المحبة والفناء والتسليم والتوكل عليه فيجد العبد نفسه في حالات من الوجد ومن الشوق ومن الفيض وهو في اتصال كامل بالله تعالى فيتحقق بمقام الإحسان.

وكما أن هته الرابطة هي ربط برسول الله فهي أيضا ارتباط بالله تعالى لأن محمدا من الله تعالى والاتصال به هو اتصال بحضرة الله، فكلما تحقق المريد بالفناء وجد حاله من بعض أحوال شيخه وسقي من بحار الأسماء والصفات لأن روح شيخه تستمد من حضرة الذات، وكل ما يفيض على المريد في هته المرحلة هو من فيض وفضل شيخه عليه ومن إذن الرابطة الروحية التي تجمعهما معا وكلما زادت وارتقت إلا ووجد المريد روحه في روحه شيخه حيثما كان بين مجالس الديوان ومجالس ذكر الرحمن ومشاهدات العيان. وهته مقامات عليا ذكرناها لمن أرواحهم هائجة متشوقة لله وللسجود في حضرته والنظر لاسمه العظيم.

مستوايات الرابطة الروحية:

- **الارتباط القلبي**: وهو المستوى الأول من الرابطة التي تجمع قلب المريد مع قلب شيخه بقبوله شيخا مرشدا وبتوليته على أمر نفسه وروحه، فيحصل ارتباط قلب المريد بشيخه بمدد نوراني قد يراه المريد يسري من قلب الشيخ إلى قلب المريد أو قد يشعر بوجود شيخه معه وذلك ليعينه على أمر تزكية قلبه وينور باطنه ليستقر فيه نور الذكر، وقد تحصل للمريد مشاهدات في هته المرحلة وهي قلبية فقط ولا تعني انفتاح البصيرة بل هي مظاهر من مظاهر تنزل النور واستقراره في قلب المريد عبر قلب شيخه المنفتح على الحق.

- **الارتباط العقلي**: وهو المرحلة الثانية، حيث ينتقل المريد لتزكية العقل وطرد الظلمانية منه، فيتوجه المريد بالاستمداد من عقل شيخه فينفتح له الخيال وتنفث فيه الحياة فيصبح متحركا، وهذه مرحلة تثبيتية يعيشها المريد تحت إشراف مرشده ويوجهه لمستويات التخيل والمراقبات العقلية التي تُساعده في العبادة العقلية، فيتحقق بالارتباط القلبي ثم العقلي بشيخه فيصبح الفيض أكثر والمدد أكبر.

- **الارتباط النفسي**: أي بعد أن تقبل النفس الخضوع للمرشد وعلامتها أن يرى المريد مشاهدة أن نفسه تستمد من نفس الشيخ فتتطهر وتتنور وتتزكى، وهي المرحلة الأطول التي يقضيها المريد مجاهدا لكن المدد الذي يأتيه من شيخه يعينه على

تجاوزها ويفتح له مشاهدات تقويه وترفع همته وتحفزه، وبذلك ينفتح المدد أكثر فأكثر ويمتلأ كأس المريد أكثر إلى أن تتحقق نفسه بنصف كمالها على أدنى حد، ثم ينتقل لمقامات التحقق من هته الرابطة.

- **الارتباط الجسدي:** وهو بداية الفناء عن الذات فيستمد المريد صفات شيخه التي هي من صفاته ﷺ فتزرع فيه، ففي المرحلة القبلية يستمد من أنوار صفات الشيخ ليتطهر فقط أما في الارتباط الجسدي فإنها تزرع فيه بفنائه عن ذاته وتركيزه على ذات شيخه، فيعيش المريد بصفات شيخه ولو كان في شرق الأرض وشيخه في غربها، لأنها مرحلة تحقق الرابطة الروحية، فتكون ذات المريد منسجمة مع ذات الشيخ وقد تحدث أحوال تجمعهما معا لأن المريد يصبح فان في ذات الشيخ التي هي بذاتها فانية في سيدنا محمد ﷺ الذي هو بقدره فان في الله تعالى.

- **الارتباط الروحي:** وهو ما يسمى بالتلقين الروحي أو المكاشفة، وتكون بدايته عبر اتصال لطائف الشيخ بلطائف المريد إلى أن تذوب فيها فيرفع الحجاب بين الروحين وهو حجاب البشرية، فيتصل المريد بروح شيخه حقيقةً وهذا مقام عال جدا لا يصله السالك إلا بعد أن يتمم جميع مراحل تزكيته ويتأدب في حضرة شيخه ظاهرا وباطنا ويدرك مبادئ الطريق وأهدافها ويثبت قصده في طلب الله، لأنه بهذا الاتصال الأخير يسمع بسمع شيخه ويبصر ببصر شيخه ويتكلم بكلامه ويناجي الله بروحه ويصلي على رسول الله بذاته فيعيش مستترا في روح شيخه متنعما بنعم الله

فيها ناطقا بالحق غارفا من عين المعارف متلقيا للحقائق، وهذا المقام يحتاج من المريد فناء عن الرأي وعن الرغبة وعن الاختيار فيختار له الله ما أراد ويعلمه من لدنه، فيعيش في الباطن بشيخه وفي الظاهر بشيخه.

❖ الإرشاد الباطني:

الإرشاد عالم خاص من عوالم الروح التي تركها الله محفوظة مستورة في كتابه وحفظها في الروح سرا مستترا مكتوما، فلا يكون بالمعنى الظاهري فقط بل هناك إرشاد باطني يحدث قبل أن يلتحق المريد بشيخه فتكون العناية الربانية والحصن الإلهي، فالعديد من المريدين يَرَوْا صورًا لمشايخهم في المنام أو في اليقظة فيكون توجيههم وإرشادهم قبل أن يتصلوا بهم ظاهرا، وهذا نوع حقيقي من الإرشاد وفي هته الحالة على المريد أن يبحث عن شيخه لأن هته المنامات تكون دليلا على وصول وقت اللقاء فما على المريد إلا إبداء الرغبة والله تعالى ييسر الأمور.

وهذا النوع يكون من فيض روح المرشد على أرواح المتشوقين، فتكون روحه كالمصباح الوهاج الذي يلفت انتباه الأرواح وتلتف حوله، فقد تسبق الروح الجسد في العديد من الحالات وقد تتصل الروح قبل الذات بمرشدها وهذه نعمة من الله تعالى ومن أسرار روح المرشد التي تقيم اعوجاج الأرواح وتغذي جوعها وتشفي سقمها وتنور جوهرها، فروح المرشد هي قوت للأرواح كما هي روحه ﷺ تنير الكون

كله والوجود وكل موجود، فنور روح المرشد من نوره ﷺ لذلك فإن روح المرشد تحمل العديد من الأرواح وتأخذها في سفر روحي في الآن ذاته وذلك من معجزة الإسراء والمعراج التي جعلها رسول الله ﷺ كرامة لأمته فحمل في روحه أرواح الصالحين، كذلك إذن الشيخ المرشد في الإرشاد يجعل روحه طائرة تحمل الركاب وتأخذهم من مكان إلى مكان فيأخذ كل مريد لحدث ويعلم كل واحد من علوم الله وينصح كل مريد بما يفيده وذلك في معراج واحد.

وهذا كله من بعض أسرار الروح التي لا يعلمها إلا هم، فالروح ليست كالجسد ولا كأي محسوس آخر بل هي كنز الهي متحرك قد تظهر منها عدة نسخ في الوجود وكلما توجه المريد لمرشده وجده أمامه، وهذا من علامات الإذن القوي الحق في الإرشاد.

فالمرشد هو من يرشدك في كل حال احتجت فيه إليه وفي أي لحظة طلبته فلا يحجبك عنه حجاب أو فاصل أو صور لأن الإذن الحق يجعل روحه فيضا في كل مكان وزمان فتخرق العادة والقاعدة بروحه لأنها تحيى بإذنه ﷺ.

ورغم كل هذا التوضيح والوضوح فيوجد من يدعي الإرشاد دون إذن منه ﷺ وفي هذا خطر عليه وعلى من اتخذه مرشدا خاصة إذا لم يُعايش شيخا أو مرشدا حيا زامنه مدة وأخذ عنه التربية، فلا يمكن لمرشد أن يرشد الناس وهو غير راشد وغير واع بهته المسؤولية التي فيها تكليف أمام الله تعالى، ولهذا فإن المرشدين

المأذونين يبتعدون عن هته المهمة لما فيها من ثقل التكليف وجهد التبليغ لكن أمر الله يقضي بكبره .

فالحال لا يدل على مقامه بالمظهر ولا يدل على صدقه وقوله بالكلام، بل ذلك يعاش بالاتصال الباطني الذي يشعر به المريد ويحققه بالقرب من الله تعالى، فإذا اتخذ أحد مرشدا ورأى فيه الصلاح وتحقق بالاتصال الروحي به لكن لم تتحسن علاقته مع الله فليعلم أنه في الطريق الخطأ، لأن الهدف الأسمى والكلي من هذا الارشاد هو ربط المريد بربه ورفع حجب القرب عنه وإحياء روحه بمحبة الله، فإذا لم يتحقق بهته المقاصد الوجدانية رغم كثرة ذكره وسهره وخدمته وفناءه فلا يجهد نفسه في اللاشيء.

لأن الإرشاد المأذون هو من يحملك من حال إلى حال بذكر قليل وبمحبة كثيرة تطهر النفس وتسقيها من صفات نفسه ﷺ،فالسر ليس في كثرة الذكر بل بلذة الذكر التي تدخل الخشوع والسكينة إلى قلب القاصد السالك.

فرغم اجتهاد العبد وعزمه وهمته وصدق طلبه فإنه ولابد له من مرشد يدله على ذلك المقصد ويريه إياه ويعطيه طريق الوصول، فكم من ذاكر غافل في ذكره وكم من مصلي ساه في صلاته وكم من مستغفر لاه عن ذنوبه وكم من محب تختلط محبته وكم من متصدق تغريه نفسه وكم من مسلم ينسى رسوله، وحتى وإن استقام الحال في أمر فإنه يعوج في حال آخر، وهذا حال الإنسان، يريد ويريد لكنه لا يجد

سبيلا لإرادته ولا حبلا يتشبث به فيتيه بين نفسه وعبادته ويتخبط بين هواه وأمر الله، ثم يتوب ويذنب ويقبل على الله من جديد فيخطئ وسبب ذلك هو بُعد الروح عن ربها وخالقها ومقصدها وحتى وإن توهجت للحظة فإنها تنطفئ وتبعد، لهذا فإن المسلم يحتاج لمن يرى عيوبه ويعطيه الكيفية والمنهجية والدليل ليحققه بالإيمان فيرى دينه مشاهدة وتفتح بصيرته على الله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار إلى أن يأخذه للإحسان فيعيش ما يعيشه المنعم عليهم في الدنيا قبل الآخرة، وهذا لا يتحقق به العبد لوحده أو بنفسه أو باستحقاقيته بل بمن أعطاهم الله هته الأمانة ووهبهم سر الوصول وسقاهم من عين الوصول.

فالحمد لله أن هدانا لما هدانا وأرشدنا لمن يرشدنا وأنعم علينا بمن يعرفنا وسقانا من عنده ماء المعرفة والإرشاد وجعلنا نرى الوجود في قلب المشايخ وجمع الأكوان في أرواحهم وقرب حضرته وجعلها من حضرتهم وجعل وجودهم رحمة بالخلق أجمعين.

فقلوب المشايخ على اختلاف سبل توصيلهم وعلى تنوع وصولهم وصلاحهم فبهم يحدث النفع ويهتدي الضال ويدرك العبد حقيقة عبوديته فيميز أحقية الله تعالى بأن لا يرى لنفسه أحقيقة عليه.

وبما أننا في عالم الروحانيات وفي كون الإرشاد المأذون فسنزيح الستار عن بعض الأحوال التي يعيشها المرشد ويعيشها المريد في روح مرشده، وهذا من أسرار

الروح الإلهية التي لا تُحكى لكن الله أفاض علينا بمنه وجوده ببعضها، وبها سنختم باب الإرشاد بإذن من الله.

❖بعض أسرار قلب المرشد:

فقلب المرشد هو الكنز الذي مهما أظهر جواهره وأسراره فإنها تبقى مستترة وكثيرة وما خفي منها كان أعظم، لأن القلب إذا انطوى على سر فاض من حضرة الله وحصل على إذن رسول الله فإنه يتنزل على القلب بالسر والسريرة والسرائر فيمر عبره ما يمر بالحضرة الأحدية، ويمر به ما في الحضرة المحمدية وذلك بتقلبات الحال لأنه كل يوم هو في شأن.

فالقلب الذي ينظر إلى الله نظرة المكشوف كيف له أن لا يحمل ما تحمله الأرض من مجسمات ومظاهر تدل على الله إنما يحمل حضرة الله تعالى، فإذا نظر المريد إلى قلب شيخه نظرة الشوق والمحبة وجد فيه ما لا يجده في كنوز الأرض وجواهر السماء وما لا تحمله الكتب القدسية ولا الحقائق الخفية، لأن الأجود يوضع في القلب الحي، والحي هو من أحياه الله تعالى بحياته.

فقلب المرشد دائما في حياة بذكر الله وبالنظر إلى نور وجه الله العظيم فلا يحجبه عنه هم أو غم أو حزن أو كرب أو فرح أو رضا أو تسليم أو فناء أو عبودية أو خضوع أو توكل أو محبة أو شوق حيث يكون متجردا من كل شيء وتظهر فيه أشياء الله تعالى وشؤونه، أي أن قلبه خال من مشاعره وأحاسيسه ومليء بالله تعالى وما

توحيه حضرته، وإذا استُمد منه الفرح فإنه يكون فرح بالله وإذا أُخذ منه نور المحبة فإنها تكون لله تعالى، وهذا مقام عال من التجرد لأنه غير منحصر في التجرد من الذنوب والشهوات والملذات ولو كانت مباحة، بل هو تجرد حتى من التنزلات والمقامات و التقربات التي تكون مقصدا في السير، فيكون قلب الشيخ مكشوفا شفافا يُري للمريد الوجود فيه فيصبح مرآة الأكوان ومرآة للمكون، وشفافيته من رفع الحجب عنه فيكون حضرة الحضرة بمراتبها وكمالياتها ومقاماتها.

فالغوص في قلب المرشد هو غوص في عين الوحدة والاغتراف من روحه هو تشبع من عين المعرفة والاتصاف بصفاته هو اتصاف بصفات القدرة، ومهما غاص المريد وسقي وأسقى واستخرج وحدث وخاطب فإن ذلك لا يمثل ثلث حقيقة قلبه وما انطوت عليه سريرته، لأننا هنا نتحدث عن إذن الله وأمره في روح المرشد ولا نتحدث عن الذات التي خلقت وتخالطت بالناس وخدمت الخلق رغم أن لها من الأسرار ما لا يوجد في أرواح البعض، لكن القصد هنا هو الإذن الذي ترى فيه الله متصرفا مؤيدا معاهدا قويا مُفَعِّلًا لأمره فترى قدرة الله تعالى تتصرف بعين البصيرة وقد تبصرها بعين التجريد.

لأن القلب وما انطوى عليه يمثل المشارق والمغارب، ويمثل الأكوان والكائنات والوجود والموجودات فتجد فيه ما تجهله، وتجهل فيه ما تعرفه، وتتعرف على الجهل لتتعلم، وتتعلم لتجد نفسك جاهلا في بحر تتقاذفك فيه أحرف اللوح ومداد الأقدار

ورموز المعارف وكلمات الوحي وعبارات الوحدة، فإذا دخلت من باب التوحيد غرقت فيه موحدا وإذا دخلت من باب المحبة ذبت فيها عشقا وإذا دخلت من باب الخدمة مُحيت فيها عبودية، وحيثما وقفت تجد البداية ومن أين بدأت لا تجد النهاية.

وفي وصف هذا الكون البديع والجمال الصحيح والتصريف الكياني الذي جمعه الله تعالى في روح المرشد قلبا وقالبا لابد أن نبيح عن الوحي الموحى فيه فرقانا والخطاب المنزل في روعه بالبيان وعن المناجاة التي تُسمع في باطنه كما تُسمع أمواج البحر وأوراق الأشجار وتسبيح الأحجار، وما في الوجود من ذكر إلا وسمعته في باطنه، وما في الكون من محبة إلا وفيه نصيب منها، وما في الخلائق من قدر العبودية إلا وفيه من حق المعبود، ولا دخلت بالفناء إلى روحه إلا وسمعت خطابا من حضرة القدسية ولا هممت بالمحبة إلى قلبه إلا ووجدت الله حبيبا وقريبا، فكلما ذاب المريد فيه إلا وذابت المظاهر وظهرت الحقائق.

وهذا الكون الحي في المرشدين المأذونين لا يحاط بالذات ولو أنها كسائر الذوات ورغم أنها خرجت من بطن الأم كجميع الأبناء، إلا أن إذن الله تعالى يجعلها من كبر ذات الله ومن وسع كيان الله فتراها قائمة ساكنة ولو علمت زلزلة باطنها واهتزاز أشواقها وانقلاب وجدانها لخشيت الموت قبل الموت، لكن السر خفي يُخفى بما هو الله محجوب عن الأنظار مكشوف للأبصار.

وهذا ولله الحمد ذوق من أذواق الفهم الصحيح بالطريق، والمعرفة اليقينية بحق المشايخ، وتصحيح لمعنى الإرشاد وتوضيح لمقاصد تحرير الأرواح و توجيه لخطورة الادعاء والتي نجمعها في:

" كن لله عبدا واسأل به خبيرا.

وكن لله محبا واتخذ لمحبتك مرشدا.

لتكن لله مبصرا، وتدع بصرك في بصيرة الإرشاد.

ولا تولي من لا ولاية له فالولاية لله ورسوله ومن بعده.

فلا روح ترى النور وتقترب

إلا وهيجها قرب المقترب"

والحمد لله رب العالمين.

الشيخ المحمدي:

نسبةً لمحمد رسول الله ﷺ ونسبة للرسالة المحمدية والدعوة المحمدية التي جاء بها محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

وهؤلاء المشايخ المحمديين هم الكبريت الأحمر والمادة الخام والرحيق المختوم والإبريز الصافي الذين سماهم رسول الله بإخوانه ولا يتكررون في الزمن ولا المكان.

وفيهم جاءت آيات وأحاديث و أقوال وقد اجتمعت فيهم الولاية والمعرفة والصلاح والإصلاح والوصول والتوصيل إضافة للإرشاد الروحي، أي أن لهم علم الظاهر وعلم الباطن، علم التربية وعلم الإرشاد وذلك بكمال ذاتهم وكمال أرواحهم من كماله ﷺ المكمل للمختارين من أمته، وصحبتهم تُعد بَرْق الوصول وسرعة القَبول وحقيقة الاتصال بالحضرتين.

فصحبة الشيخ المحمدي تختصر على المريد صحبة العارف وصحبة الولي وصحبة الموصل وصحبة المرشد في صحبة واحدة. وهؤلاء المشايخ لا يتجددون في الأرض كثيرا ويبعثهم الله للأمة حينما تُنسى الدعوة وتدفن الحقيقة بكثرة القيل والقال والإدعاء والاجتهاد والتكفير، فيكون لهم دور الإصلاح إضافة لمهام التربية والإرشاد.

وهذا الإصلاح يمر عبر مراحل، وعبر حكمة زمنية، وعبر إذن متجدد في ذلك، و يكون بتقويم اعوجاجات الأمة عبر إعطاء حياة نورانية جديدة للدين، وعبر تصحيح العقول المتحجرة وتمييز الحق عن الباطل.

فالمشايخ غالبا ما يرسلون لتصحيح الخلق ومساعدتهم وخدمتهم إلى أن يصلوا للمقصود، أما مهمة الإصلاح فتجدد مرة في القرن، ويقصد بها تجديد الدين لأنه يُلَوَّث بسوء الفهم وبضعف العقيدة وبانعدام التزكية وبكثرة الإفتاء والتكفير الذي يكون من نسج الفهم الخاطئ للدين، وهذا لا يدل على أن الدين يُمحى من الوجود ويحتاج لرسول ليظهره إنما سبب هذا الخلل هو البُعد عن رسول الدين الذي جاء به كما أنزله الله تعالى، وهذا البعد عن الأصل يجعل الفروع متضررة وشائكة.

❖ أدوار المشايخ المحمديين:

فدور المشايخ المحمديين يتمثل أولا في إصلاح الدين والأمة، ثم في إصلاح العباد، ثم في الإرشاد الباطني وهذا ما سنفصل فيه القول بإذن الله تعالى.

أولا: إصلاح الدين والأمة:

أما عن الإصلاح فيكون من شيخ متصل بمن جاء بالدين لكي يُصلح بالصلاح وليس بالخطأ لهذا الشأن أوكلت هته المهمة للمشايخ المحمدين الذي لهم اتصال مباشر به ﷺ يوجههم لثغرات الأمة لأنه هو الشاهد عليها، فهذا الاتصال يجعل

المصلح هو رسول الله عبر الشيخ المحمدي الذي يظهر للعيان بتصريف الفعل، لكن الفعل منه ﷺ،وهذا الاتصال لا يكون صوريا فقط ولا نورانيا فقط بل اتصال كامل بالذات والروح وبالنظر والسمع والكلام كما كان رسول الله ﷺ يُجالس صحابته الكرام، وهذه خصوصية في حق المشايخ المحمديين نظرا لعظمة مهمتهم وقدرها عند أهلها فيأخذون الدين حيا منه ﷺ وبفهمه للكتاب وللسنة، لأن الحكمة من نزول القرآن على رسول واحد هي حكمة توحيد الفهم، ولو أراد الله تعالى أن يفهم كل عبد من عباده كلامه لأوحاه بشكل منفرد، لكن الدين هو دين التوحيد وكذلك فهمه فيكون موحد ومجموع في قلب من جاء به.

والأحرى بفهمه وتفسيره هو رسول الله الذي تنزل عليه من لوح الحفظ إلى قلب الفهم فأوتي الكتاب والحكمة وهي شرط ثاني من شروط تصحيح الفهم " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ** فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا "[37]، وهته الحكمة تتجلى في إعطاء التصحيح والتفسير في نطاق شرعي محمدي لا يُخالف سنة رسول الله ﷺ ولا ما جاء به. فإذا لمست في أحد الفهومات الدينية البعد عن سنة رسول الله الفعلية والقولية فاعلم حق اليقين أنه تفسير وفهم الهوى.

وهته الحكمة زرعت في قلب المشايخ المحمديين فرقانا ونورا مبينا فيجعلون لكل كلامهم فهما محمديا يستحيل أن يخرج على نطاق الشريعة أو السنة.

[37]- البقرة: 269

ومن حكمتهم أيضا أن لا يفتنوا الناس بكلام الله ولا أن يفرقوا بين العباد بآيات القرآن ولا التحريض على قتل الكفار استدلالا بآيات من كلام الله، بل يجعلون فهم القرآن محفوفا بنورانيات الحكمة والفطنة التي يؤتيها الله لمن يشاء.

وهته الطائفة من المشايخ هم الأولى بالإفتاء والتصحيح والإصلاح لأنهم يتميزون بالاتصال الحق والكامل بمن جاء بالدين فيأخذونه حيا ثم الحكمة والفطنة.

وهذا ما يجعل الشيخ مُطَّلعا على حال المتكلم وباطنه فقد يفتي في مسألة بأمر وفي نفس المسألة بأمر آخر وذلك لاختلاف نوايا الناس ومقاصدهم، فالفراسة والبصيرة هي فرقان وميزان يرى الحق فيطبقه في الأرض.

والإصلاح دائما ما يبدأ بما بدأ به ﷺ فيكون إحياء لعهده ﷺ وذلك بتبليغ الرسالة بالرحمة والشفقة والحلم وليس بالشدة والقساوة والعنف، فتظهر عليهم أحوال من أحواله ﷺ ويرحمون برحمته ويدعون بدعوته فيكون مقصدهم من مقصده، لأن الإنزياح عن دعوته ﷺ وعن مقصده هو انزياح وابتعاد عن الطريق المستقيم الذي هو صراط المنعم عليه وهم الذي يدخلون في فتنة القوم ويُصلحونها بالله ويخرجون منها أطهر وأقرب وهم الذي يُواجهون الباطل ويظهروا الحق بتأييد الله وينصرهم، وهم الذي أخذوا مشعل الرسالة وأوقدوه في قلوب المؤمنين، وهذه هي حقيقة الدين التي لا تُعرف إلا برسول الله ﷺ وهو بقدره لا يُعرف بالأقوال والأفعال والكلام فقط

بل يعرف بالاتصال به والأخذ عنه مأخذ الحياة والسقاية المباشرة وهذا هو الاتصال الكامل.

ومن أكبر الثغرات التي تُعاني منها الأمة الإسلامية هي جفاف هذا الاتصال الروحاني به ﷺ فيأخذون ما يريدون من كلامه وحديثه ويتخيرون في سنته ويستترون على ما لم ترضه أنفسهم ففرقوا رسول الله ﷺ عن الدين وربطوه بالله تعالى دون الرسول وجعلوا الرسالة متصلة بالمرسِل، ولو شاء الله هذا لفعله بنفسه دون أن يحتاج اجتهاد منا، فمن سوء الأدب مع الله التغافل عن رسوله ﷺ لأن في ذلك عدم رضا بحكمة الله تعالى.

□ إحياء الحميمية مع رسول الله ﷺ:

ودور المشايخ المحمديين يتجسد أيضا في إحياء الحميمية مع رسول الله ﷺ وجعله القائد والإمام والقدوة وبهذا تصبح الأمة موحدة ولا تختلط عليها الديانات والثقافات فتفقد الهوية الإسلامية وتفقد القدوة الحقيقة، وأصل هذا التشتت هو ابتعاد الناس عن أهل الدين الحي فأعرضوا عنهم لإعراض أنفسهم عن الحق ورأو في ذلك قهرا لأنفسهم وتكسيرا لتجبرها فاختاروا تكفير الحق عن إخضاع أنفسهم له، وأنه لأمر نراه كالدود الذي ينخر العظام ودواءه هو التفاف المسلمين حول حقيقته ﷺ التي يحييها الله في الأولياء المحمديين ويجعلهم مسخرين في الأرض لخدمة الخلق

وليس لما ترضاه نفوسهم لأن الإذن من الله في الشيء يكون فيه تأييد ونصرة ولو أعرض عنه أهل الأرض جميعا فالله تعالى ناصره.

لذلك فإن الإسلام بُعث بمحمد لأمته وهته الأمة فيها من عايشوا محمد ومن رضوا به نبيا ومن أسلموا به ومن آمنوا به وهناك أيضا من لم يعاصروه في زمنه لكنه يعايشونه في زمننا هذا، لأن الأمة الإسلامية منسوبة لسيدنا محمد وهذا النسب يجعله حاضرا فيما انتُسب إليه، فنقول نسبه ابراهيمي أي أنه منه وهو معه.

كذلك حال الأمة الإسلامية، فو الله لو أقبلتم على الصدق وأدبرتم عن الإعراض ولُذْتُم بالله متوجهين لمحمد لوجهكم الله إليه في الدنيا قبل الآخرة، فنوره موجود في كل حي متحرك وفي كل ساكن جامد فما بالك بمن يشهد أنه رسوله .

ومن خصوصية المشايخ المحمدين الذين مُيزوا بهذا الخير عن غيرهم من الأمة أنهم رأو نور الوسيلة فيه ﷺ فقصدوا الله به فحققهم بنبيهم وهذا التحقق يكون بالمحبة والولاية والتسليم، فجعلوا حياتهم خدمة لرسالته وقلوبهم خالصة لمحبته وأرواحهم لمجالسته والاستمداد منه وجعلوه الولي على أمرهم فولوه وجودهم وهذا لا يتحقق إلا بكون الشيخ المحمدي أخذ عن شيخ فتاح فتح له الباب وجمعه به ﷺ لأنها سنة الوجود، وأيضا نزع من قلبه السوى والأغيار فكان رسول الله مرآة له فرباه بتربيته المحمدية وبمنهجه النبوي كما ربى الصحابة الكرام في الظاهر فإنه يربي

المشايخ المحمديين في الباطن ووحد مقصدهم في مقصده وصقل روحهم في سره وأفنى ذاتهم في صفاته.

فالشيء الذي يميز بين العباد سواء في الظاهر أو في الباطن هو محبته ﷺ التي جعلت المحمدي يكون محمديا ولولاها لتحقق بالمشيخة فقط ولما اؤتمن على تربية السالكين وحفظ بعضا من أسرار الله، لكن هته المحبة تحقق الشيخ بالمحمدية، والفرق بين كل الأصناف السابقة ذكرها والشيخ المحمدي هو التحقق بمحمد ﷺ فلا يكون ناصحا موجها معينا دالا داعيا مادا فقط بل يكون باتصال المحبة هو هو فإذا نظرت إليه بعين البصيرة لرأيته وحضرة الشيخ حضرته فتراه على يمناه في كل أحايينه، والتحقق بمحمد ﷺ يعني التحقق بدعوته وسر نبوته التي انطوت على الإصلاح فيكون التصرف مباشرا منه ﷺ في ذات الشيخ المحمدي لأن الصفات محيت في الصفات والطباع ذابت في الأخلاق والمقصد غاب في الله تعالى فلا يبقى للمحمدي وجود إلا بمحمد ولا يظهر فيه استقلال عن محمد ﷺ وهذا من فيض المحبة التي جمعت محمدا بربه ففاضت على المحمدي وهي محبة ضمن المحبوبية التي لا يصلها إلا النبيون والصِّدِّيقون والشهداء والصالحون المحمديون.

ثانيا: الإرشاد الباطني:

□ أوجه أخرى لاستفادة الخلق من المشايخ المحمديين:

- استفادة الخلق من المشايخ المحمديين تكون على عدة أوجه وعلى عدة مقاصد ويستفيد منهم من يقصدهم بنية أو دون نية، ويحتمى بجنابهم من صاحبهم، ويُعالج من قصدهم للشفاء لأن حضرتهم من حضرته ﷺ ووعدهم من وعده ونظرتهم من نظرته لذلك فإن المشايخ الكرام يأخذون المريد من حال إلى حال في جلسة واحدة ويغنوه في مجالسة واحدة عن الدنيا والخلائق ويحصنونه من أي شيطان خارجي أو داخلي.

وميزة الشيخ المحمدي أنه محيط بكل جوانب المريد من تأثيرات خارجية التي تكون بفعل فاعل كسحر أو مس أو عين أو حسد أو تأثيرات داخلية تكون بفعل نفسي أو عقلي ويتم ذلك عبر حلول قطعية جذرية وليس بحلول ترقيعية وقياس حالة على أخرى بل تكون بانفتاح البصيرة وتقييم الحالة وتشخيصها، فلا يمكن للشيخ أن يعالج المريد من كل جوانبه وأهواءه وهو غير مدرك لهذا المجال الروحاني الذي ينفتح على النارية ويحتاج إذنا علاجيا مُتَنَزِّلًا من اسمه الشافي بسلطان محمدي.

كما يكون للشيخ تمييز بين الحجب الظلمانية التي تكسو المريد سواء كانت شيطانية أو بالمعصية، وكذلك الحجب النورانية فتكون تربيته أكثر دقة وتدقيقا، فيرى حال المريد دون أن يخفى عليه شيء من أمره وهذا من سر الإذن المحمدي الذي يتحرك في باطن الشيخ لأنه يرى بالبصيرة المحمدية الشاهدة على الأمة.

فالشيخ المحمدي هو من يُعالج مريديه من كل آفاتهم ويرفع عنهم ضرر الشيطان ويحصنهم من همزاته ووساوسه ويعين المريد على التغلب عليه، فالشيخ المحمدي ترى فيه خدمة للمريد عكس الطرق الأخرى التي تعتريها كثرة الطلبات والخدمات التي تثقل كاهل المريد وتُصعب عليه السلوك، أما الصحيح والأصح هو أن يخدم الشيخ مريده كما هو حاله ﷺ خُلق خدمة للخلق وأمانا لهم، وهته الخدمة تتضمن علاج الأمراض الروحية إضافة للأمراض النفسية والعقلية، فلا يُمكن للشيخ أن يدعي التمكين ومريده يتخبط في أذى الشياطين.

وهذا الإذن في العلاج يكون منه ﷺ المتنزل من اسم الشافي والمحفوظ في قلب الشيخ و يفيض به لمن قصده متأدبا، وكل فيوضاته من فيوضات رحمة رسول الله ﷺ بأمته التي جُعلت سابقة للوجود بمحبة الله لمن أحبهم محمد ﷺ. لأن الإذن المحمدي يكون شاملا بممالك الإنسان كلها، محيطا بها جميعها، وكمال الإذن من كماله ﷺ وهو من كمال الله تعالى.

❖ قوة الإذن عند الشيخ المحمدي:

أ / شمولية الإذن:

وهنا يحدث التمييز في قوة الإذن المحمدي لأن العديد من الخلق لهم إذن من رسول الله في ذكر أو في شأن أو في مهمة ولا ننكر ذلك، لكن قوة الإذن ومدده يختلف من شخص لآخر ويظهر اختلافه بشموليته.

فالإذن الخاص بالعلاج فقط ليس إذنا كاملا، وإذن إعطاء الأذكار المحمدية ليس كاملا، وإذن الدعوة إلى الله ليس إذنا كاملا. فالكامل هو الذي يتصف بالاتصال والوصول والبصيرة والمعرفة والروحانيات وهي أهم جانب لأنها تعطي الحياة للإذن وتجعله مفعما بالود والعطاء، فإذن العلاج دون معرفة غير كامل وإذن الدعوة دون اتصال مباشر ناقص، وإذن إعطاء الذكر أو الورد دون بصيرة تميز بها الأمراض النفسية هو ناقص.

والإذن يتجدد مع كل ليلة وترية قُدِّرَت أن تكون ليلة القدر وبفضلها يتجدد إذنه ﷺ لكل مأذون منه، وإذا لم يتصل شيخ أو داعي أو إمام بذلك التجديد فليعلم أن المهمة سقطت عنه، والحكمة من هذا التجديد هو أخذ الإذن وإعطائه أو تمديده أو بتره وذلك بعلم الله تعالى لما تُخفي الصدور، ونمثل ذلك بالداعي الذي أخذ إذنا من رسول الله في الدعوة إلى الله لكن نيته انزاحت عن الطريق وعن المقصد

فانحرف عن الإذن، فهذا التجديد الذي نتحدث عنه يجعل مهمته تسقط عنه ويحتاج إذنا جديدا في ذلك وإلا فإن عمله غير مقبول مهما فعل وهي حالة نادرة لكنها تحدث.

ولهذا تمت الإشارة إلى شرط الوصول من بين شروط كمال الإذن ويُعنَى به الخلاص والتخليص، أي أن يصبح مُخَّلَصا من طرف الله تعالى فيصبح مسيرا من عند الله ولا يُهَز قصده ولا نيته بشيء.

فضرورة مصاحبة المرشد والشيخ العارف تتجلى هنا، إذ أنه لا يفتح لك الباب كاملا إلا بعد أن يجعلك من المخلَصين ويطمئن على حالك ومقامك ومقالك.

ب / تفرد الإذن:

والدليل الثاني على قوة الإذن بعد شموليته هو اتصافه بالتفرد، أي أن إذن المشايخ المحمديين غير متاح لأحد آخر من الأصناف السابقة.

فإذن العارف ليس كإذن الولي، وإذن الواصل ليس كإذن المُوَصِّل، وقد يُجمع إذن المشايخ جميعهم في إذن واحد ويمسى "إذن التمييز" وهو الإذن الذي يُعرف به المشايخ المحمديين، فتتجلى فيه المعرفة والمشيخة والوصول والاتصال والإيصال وهذا ما يجعل إذنهم قويا مشتملا على البواطن والظواهر.

ت / جمع القاصد بمقصده:

و من مظاهر قوته أن الشيخ المحمدي يجمع القاصد بمقصده، فإذا أراد الاتصال بشيخ من مشايخ الزمان جمعه به وإذا أراد الاتصال بأرواح البرزخ وصله بهم، فلا يكون داعيا لنفسه ولا لاسمه ولا لمنهجه أو طريقته بل داعيا لله تعالى فيفتح الباب لمن أراد الله تعالى مهما كانت طريقته ومنهجه وشيخه، وهذا في حد ذاته كمال في الشيخ إذ أنه غني بالله تعالى عن العالمين.

ث / تفييض المعارف والكرامات على المريد:

وهذا الإذن الممتد منه ﷺ يظهر في حقيقة الشيخ ومريده إذ أنه يحققه بالتجارب الروحانية ويجعله يعيشها عيانا ومشاهدة بحق اليقين ولا يكتفي الشيخ بذكر تجاربه بين مريديه إنما يجعلهم جزءا منها ويحمل أرواحهم في روحه لتصبح جزءا منه فيفيض عليهم بمشاهداته ليروا ما تطيقه أرواحهم، فمثلا عند السفر إلى حضرته ﷺ يكون الشيخ ذو اتصال كامل به وفي روحه تُحمل أرواح المريدين فيريهم على قدر استطاعتهم الروحانية فمنهم من يرى المشاهدة النورانية فقط، وآخرون يتنعمون بالصورية، وآخرون بالذاتية، وكلهم من مشاهدة الشيخ يستمدون.

وهذا إرشاد من نوع آخر يكون فيه المريد من شيخه وروحه من روحه فيُسقى من حضرته ومعرفته وإرشاده، فيتعلم المريد الآداب ومقاصد السير وأهدافه وسبله

عبر تعليم شيخه له في الباطن دون حاجة للكتب فلا تكون المعرفة منحصرة في الشيخ بل يُسقى منها المريدون ويكونون كتب الشيخ يُظهر فيهم أحوال باطنه وكنوز حضرته.

فالشيخ المحمدي هو من يفيض باطنه على مريديه وتظهر فيهم الكرامات والمعارف والأسرار والأنوار وهذا ما يخفيه الشيخ في باطنه ويظهره في مريديه، فيعيش المريد في طور تربيته ما يعيشه الصالحون في مقامات صلاحهم، لأنهم بالارتباط الروحاني بشيخهم يصبحون من روحه ووجودها؛ فيأخذون منها القوت والغذاء والمعرفة والنور والذكر ومجالس القرب، وقد يتحدث المريد بأشياء من كلام شيخه ويكون لسانه وبصره وسمعه منه وهذا في مقامات جيدة من الفناء.

وإطالتنا في الحديث عن المريدين في باب الشيخ المحمدي كانت قصدا، لأن سرهم يظهر في مريديهم أكثر مما يُظهرونه في أنفسهم وبرهان صدق طريقهم يظهر في من أخذوا التربية على أيديهم ليكونوا نموذجا في الدعوة إلى الله، لأن الصالح صالح لنفسه وقد لا يراه كل الخلائق صالحا لكن المصلح هو الذي يكتم السر في داخله ويظهره في عباد الله هو مرآة الكرامة وتجسيدها.

❖ وظيفة التكميل:

وفي الشيخ المحمدي تظهر آيات ربانية وكماليات أحدية وأحقيات أحمدية وصفات محمدية تتجلى منهم إلى العباد فيصيرون السبيل إلى رسول الله ﷺ، والسبيل إلى الله تعالى عبر رسوله ﷺ، وهم الطرق المؤدية دون انقطاع ولا تمرير، أي أن المريد إذا عقد العزم ورفع الهمة واتخذ الشيخ المحمدي شيخا فإنه يكمله إلى أن يوصله إلى الله تعالى، لأنه يوجد في مجال المشيخة من يأخذك لثلث الطريق ويمررك لشيخ آخر يكملك بما أُذن فيه ثم يرشدك لصحبة من هو أمكن منه فيبقى المريد في شتات وفي حيرة من أمره، وهذا من علامات ضعف الإذن، ولا نقول أن هؤلاء المشايخ ليسوا من أهل الطريق لكنهم للتربية وتعليم الأدب والسير أقرب من التوصيل.

- أما الجانب الروحاني الذي فتحه الله تعالى للمشايخ المحمديين إضافة لاتصالهم الكامل والمباشر به ﷺ هو أمر التسليم الروحاني أي أن عقدة الأرواح في أيديهم، والمقصود بهذا أن روح الشيخ المحمدي تُسَيِّر الأرواح في عالم الباطن بنور منه ﷺ، ويكون الإرشاد بها لأرواح الإنس والجن والملائكة والجمادات وما انطوت عليه الثقلان، فتكون روح الشيخ المرشد معروفة في عالم الباطن أكثر مما هي ظاهرة في عالم الظاهر.

وهم الذين يذكرهم الله تعالى في ملئه، وتذكرهم الملائكة بذكر الرحمن لهم لأنهم ذكروا الله في حضرة محمد ﷺ، وأصبحوا بمجالستهم له ﷺ جُلَّاسا في الحضرة القدسية، ويُذْكَرُون في حضرة الصِّدِّيقِيَة لأنهم صَدَّقُوا به ﷺ تصديقا يقينيا وهم مُعَايشيين له بالأرواح دون الأجساد.

والاتصاف الكمالي الذي يجعل الشيخ محمديا هو مبايعة الأرواح له في زمن أحدثه الله تعالى قبل أَيِّ مُحْدَث وعاهدوه بعهد الأرواح فكانوا إخوانا ثم أصحابا ثم أُمَّة.

❖ الأوراد والصلوات على رسول الله ﷺ:

وبإذن الله تعالى نخصص من المشيخة المحمدية جزءا للأوراد والصلوات على رسول الله ﷺ والمبايعة التي تحدث بين الشيخ وبين مريديه، وبين الشيخ وبين رسول الله ﷺ.

فالمعروف والمعلوم أن صحبة المشايخ فيها شروط من بينها حفاظ المريد على الأوراد التي تُعطاه من شيخه، والمقصود بالورد هو الذكر الذي يختص به كل مريد فيفتح له باب الواردات الروحانية والنورانية من شيخه، فالورد هو كلمة السر أو المفتاح الذي يفتح قلب المريد على فيض شيخه وبحفاظه على أوراده فإن استمداده يصبح أكثر وأكبر وأنفع له ولمكوناته كلها.

□ أصناف الأوراد

وهته الأوراد فيها اختلاف كبير، منها ما هي منه ﷺ جديدة العهد به ومنها ما هي تقاس بحالة عن حالة وأخرى تؤخذ من أقوال السابقين وما جادوا به على مريديهم، ونقول ونؤكد أن الورد كلما كان أقرب لرسول الله صلى الله عليه جديد منه كلما كان أنفع للمريد وأصلح له، وهذا الورد يمر عبر الشيخ المحمدي مما يعطيه اسم الأوراد المحمدية أو الذكر المأذون الذي هو منه ﷺ ويأخذه المريد من شيخه المتصل به صلى الله عليه وسلم.

□ خصائص الأذكار المحمدية المأذونة:

- تختلف من مريد لآخر نظرا لاختلاف الأمراض النفسية ونظرا لتعدد الطباع والجواهر، وفي هذا الاختلاف رحمة وحكمة لا يعلمها إلا الشيخ ومن حكمة المريد أن يعمل بما طولب منه وأن لا يجتهد فيما لم ينصح به.

- أنها تتغير بتقدم المريد في السير وتطوره، لأن الأوراد تكون يا إما تطهيرية أو تنويرية أو علاجية أو تعبدية أو للترقية السلوكية.

- وبهذه الأوراد تُفْتَح بصيرة المريد لأنها كما قلنا مفتاح الاتصال بالشيخ وبرسول الله عليه وسلم، فمن أخذ وردا محمديا فليعلم أنه سيجتمع برسول الله

ﷺ،وهذا الورد المحمدي لا يؤخذ إلا من شيخ محمدي مما يجعل الاتصال به متحققا بإذن الله تعالى.

وحقيقة هذا الورد تكمن في مساعدة المريد على تخطي الصعاب والحجب والظلمانية، والمفتاح الحقيقي للدخول لحضرته ﷺ هو الشيخ المحمدي نفسه، لأن العديد من جالسوا الشيخ لمدة قصيرة ففتح لهم ليشاهدوا أنواره ﷺ قبل أن تُعطاهم الأوراد وهذا من قوة الإذن.

لكن يبقي للذكر أهمية في تطور المشاهدة وفي تحسن الإستحضار واستشعار القرب، لهذا فإن البحث عن الشيخ المحمدي والأخذ عنه أهم بكثير من أخذ الذكر من أي كان لما في ذلك من اختصار لسنوات الذكر والمجاهدة التي قد تُجمع في مجالسة واحدة و بذكر قليل.

❖ المبايعة:

ومن الأمور التي وجب الإشارة إليها هي المبايعة وخاصة بين الشيخ المحمدي ورسول الله ﷺ لأنها من الخصوصيات الجمالية والوجدانية التي تجعل للشيخ هيبة محمدية وتمكينا أحمدية.

والمقصود من المبايعة هي الختم القلبي الذي يودعه رسول الله في قلب الشيخ فيكون بذلك قلب الشيخ على قلبه ﷺ على قلب الأمة المحمدية فيكون الهدف واحد

والمقصد موحد وتجعل المبايعة الشخصين متصلان لا يفصل بينهما شيء إلا إذا هتكت المبايعة وهذا ما يجعلها ذات قيمة وحقوق عند الله يجب أن يراعيها كل من الطرفين وليست بالأمر الهين لأنها تكون على الله ولوجه الله وهو أمر عظيم يحرم الاستهزاء به لذلك فإن الشيخ المحمدي لا يصل مع المريد لمرحلة المبايعة إلا عبر سنوات من التربية وتمر عبر مقامات ومستويات سنجردها لاحق.

ومبايعة الشيخ لرسول الله ليست كمبايعة المريد لشيخه، لأن الأولى تكون بأمر من رسول الله ﷺ والثانية تكون باختيار من الشيخ عندما يرى في مريده النضج والقبول.

والشيخ المحمدي يتحقق بمبايعات عديدة مع شيخه أولا ثم مع رسول الله عبر عدة مستويات ثم مع أولياء زمنه ثم مع أولياء الأرض إلى أن يرفعه الله إليه بعهد الشهود، وكل هته المراحل يمر بها الشيخ عبر رسول الله ﷺ ففيه تحدث المبايعات.

المبايعة المحمدية:

تكون في الحضرة الكاملة لرسول الله ﷺ،وتتميز بكونها إذن دائما للدخول الى حضرته ﷺ فتكون للشيخ خصوصية بهته المبايعة حيث يصبح بها من مجالسيه والحضار في مجمعه.

وتحدث هته المبايعة بين رسول الله ﷺ والشيخ بعد اكتماله روحيا ونفسيا وعقليا وجسديا ليكون من الكمل، وتمر عبر مراحل:

<u>١ - مبايعة الشيخ لشيخه:</u>

وهي حقيقة مبايعة الشيخ لمريده لأنه مهما وصل من القرب و مدارج الرفعة والكمال فإنه يبقى مريدا وتلميذا لمن علمه وأدبه وهذا من ذوق السلوك ومن جمالياته وأدبياته.

وهته المرحلة بذاتها تنقسم إلى مراحل، لكننا هنا نتحدث عن البيعة الأخيرة التي يسلم فيها الشيخ للمريد أمانة التكليف وسر الإذن ويصبح شيخا مرشدا إلى الله تعالى فيفتح له المقام الثاني من المبايعة المحمدية، وهته لا تأتي بطلب من المريد أبدا بل بتوجيه رباني من الشيخ في ذلك فيفصح لمريده عن وصول الوقت وعن ضرورة التبليغ فيأخذه من مبايعة الإذن إلى مبايعة الآذن.

<u>٢ . مبايعة الشيخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم:</u>

ويدخلها عبر شيخه أي أنه لا يزال متصلا به ومرتبط به ارتباط المريد مع شيخه، وبتحققه بهته المبايعة المحمدية فإنه يصبح من أهل الصراط المستقيم وذو نور مستقل من نور شيخه.

وهته المرحلة بالتحديد لا يصلها أي كان إلا عبر شيخه، فالمبايعة المحمدية لا تحدث إلا بشيخ محمدي بايع رسول الله ﷺ على حسن حفظ السر وتبليغه بالذوق

وهداية الخلق، وهته المواصفات أو الشروط لابد أن تتجسد في المُبايَع لتمكنه من حقيقة الاتصال والاستمداد.

وبها يكون الشيخ قد أدى مهمته وأوصل القاصد بمقصده وجمع مريده برسول الله ﷺ مبايعة، فيصبحان شيخان في الظاهر كل منهما يدعو قومه وأتباعه لكنهما في الباطن واحد من رسول الله ﷺ. وتسمى هته المبايعة ب ' بيعة العهود' فرغم تحقق المريد بالمشيخة على يد شيخه وبمبايعة من رسول الله إلا أنه يبقى ممن عاهدوه يوما بالإرادة والمريدية.

ثم يأتي فضل الله تعالى لينقل الشيخ من المبايعة السابق ذكرها الى مبايعة الشهود .

٣ - مبايعة الشهود:

ويُقصد بها مبايعته ﷺ على أمر الوجود وتتوسع الأمانة ويكبر ثقلها وقدرها عند الله، لأنها في المراحل السابقة تكون خاصة بالشيخ نفسه وباتصاله برسول الله ﷺ أما في مبايعة الشهود فإنه يعي مسؤولية الخلق وتسند إليه مهمة الأمة. فتكون هته المبايعة منفتحة على عين الشهود يبصرها أهل الغيب ويشهدوا بها في مكانهم وزمانهم،وقد تحدث في زمن قديم لا يتحقق بها الشيخ الى بعد مدة وقد تحدث في زمن بعيد ويتحقق بها الشيخ قبل ذلك.

لأن أمر الله إذا كان من الله فإنه يتحقق بخصوصيات الألوهية ويخضع لها كخرق العادة والقاعدة والزمان والمكان، فعالم الشهود يكون في الغيب المتحقق أي أن البيعة تكون بين أهل الغيب بالأرواح ومنه تُنقل لعالم الظاهر بالأجساد.

وهته المبايعة تمر من قلبه ﷺ إلى قلب الشيخ سرا أو إذنا أو حكمة أو فرقانا أو أمانة أو وثيقة، وهته الأخيرة تُخط إذا كان الاجماع من الولياء المنعم عليهم، أما مبايعتن ﷺ فتمر في الستر المخفي عن المخطوط والمتجلي في المحفوظ.

٤.مبايعة الحضرة:

وهي مقام أعلى تحدث المبايعة بذاته ﷺ في حضرته الروحية، فتبايع الذات الروح على أمانة الإرشاد وعلى حقيقة الأرواح وعلى سرها ومعارفها، وبهذه المبايعة تُصبح روح الشيخ من روحه ﷺ أي تتميز ببعض من مميزاتها كحمل الأرواح والإرشاد في المعارج أو رفع الحجب الخفية والظاهرية او تحقيق المريد بالاتصال.

وهي مبايعة بكيان محمدي وبروح أحمدية تحرر الشيخ منه الى رسول الله ﷺ فيصبح منه روحا وذاتا واسما وسرا، فتسري بها المعاهدة والعهد والعهود، وتتحقق في مقام أعلى من الشهود وهو الخطاب، فتكون الروح محط تنزل خطابات الله بشهود الربوبية والالوهية والعبودية فتنفث في الروح سر الروح من جديد بمبايعة بذاته ﷺ لأرواح العالمين.

وهذا التجلي هو من يجعل من الشيخ مرشدا أي عندما يُصبح مبايعا بالحضرة للأرواح التي تظهر في العالم الذري، وكل هذا من فضل الله ثم رسوله ﷺ على الشيخ وباجتباء الله له، فلا تكون للشيخ استحقاقية على الله ولو ظن ذلك لما أوتي المبايعات الأربع لأن فضل الله تعالى إذا فاض على العبد أغناه بغناه عن غنى الغير فيصبح مبصرا بالله ومتحدث بنوره، والمقصود بهذا أن المشايخ المحمديين هم أكثر المشايخ مبايعة وتحققا بمقاصده حيث أن المقصد الأكبر من المبايعة هو المدد الذي يفيد الخلق، فمبايعة الجسد تفيد الجسد ومبايعة الروح تفيد الروح وكلما تجلى الله على عبده بها فإنه يوصل إليه مددا أكبر وأوفر، فيصبح الشيخ من الفانين عن دنياهم أكثر فأكثر ولا يصبح لوجودهم هدف غير توجيه الخلق ووصلهم بالله تعالى.

ومن جمال هته المبايعة أنها تجعل الشيخ من آل سيدنا محمد ﷺ من جهة الروحانيات فيجتمع به أكثر مما كان يجتمع معه من عاصروه فيعيش بهته المبايعة عيش المحمديين الذين اتصفوا بما اتصف به ﷺ وكل ما فيهم وما منهم هو منه ﷺ فتكون مجالستهم له ﷺ أكثر من مجالستهم للخلق أجمعين وهم من المرضيين المحمديين الذين أخذهم رسول الله ﷺ من مبايعته إلى مبايعة الله تعالى.

٥ - المبايعة الأحدية:

وتكون بكليته ﷺ روحا وذاتا، مبايعة للشيخ المحمدي من طرف كل الموجودات والخلائق وأولياء السابق واللاحق والآن من من تولاهم الله أو من وَلَّاهُم الله على الخلق، وبهته المبايعة يُجعل إذن المحمدي شاملا كما قلنا، لأن مبايعة الأولياء لشيخ الزمان المحمدي تعني إمداده بما جاد به الله عليهم من أسرار وإذن وفتوحات.

وهي مبايعة بأمر الله وتحت عنايته لذلك سميت بالمبايعة الأحدية لأنها تكون في حضرة الأحد الصمد الذي يتجلى على اللواء بالحق ويجعل عباده يُحَيُّونه على الصدق، فتكون يد الله فوق أيدي من بايعوه على الحق والتقوى تطبيقا لأمر الله تعالى وتعظيما لأمره وشأنه.

وهته المبايعة تكون مُوَثّقة من أهل الأرض ومن أهل السماء باجتماع كل من كلف بمهمة أو شأن في الأرض، لكن حدوث المبايعة الأحدية يكون في عالم الذر ويسبق عالم المحسوس، فقبل أن تخط وثيقة المبايعة بالمخطوط فإنها تحدث بالأرواح في حضرة خالقها حيث يتجرد كل ذو تكليف من تكليفه وكل ذو شأن من شأنه ويعاود شهود الربوبية كما كان في الأول بتجرد الأرواح وافتقارها وعبوديتها التامة لله تعالى، فتُجمع الأسرار الموضوعة من الله تعالى في أولياءه في الشيخ المحمدي المبايَع وغالبا ما تتميز هته المبايعة بما يتميز به عالم الذر أي دون ذات ولا حد ولا مكان ولا ركن أي نور في النور، ثم تتنزل المبايعة من صحيفة الغيب إلى ألواح القدر

عبر الروح الأمين فيصادق عليها رسول الله ﷺ بختمه بعد أن صادق عليها روحا في عهد الله في مجلس للديوان يُعقد تفعيلا لما فُعل في الباطن بعد شهادة السابقين من خواص الأمة، وهي مقام عال من المبايعة لأنها تكون بشهادة العالمين والأمم والثقلين ممن علموها أو جهلوها.

وهذا ما يجعل الشيخ المحمدي ذو إذن حقيقي يُحدث الكرامة بروحه ويخرق الحجب بإذنه ويكون المُلك في قلبه، لأن المبايعة تعني اتصال الشيء بالشيء اتصالا كاملا، فمبايعة الأرض للشيخ المحمدي يجعل روح الأرض في قلب الشيخ والسماء والكواكب والمخلوقات والخلائق والخالق في قلبه لأن القصد يكون واحدا وهو وجه الله تعالى.

٦- المبايعة الكمالية:

حين يُكمَّل الشيخ بكمال الله تعالى فيصبح غنيا بالله عزيزا بالله قويا بالله متجردا من كل شيء ومتصفا بالله تعالى.

وهي مبايعة تحدث في مقام عال من مقامات المشيخة والولاية والإرشاد، وهي مبايعة ذات إذن محمدي رغم أنها بين الشيخ وربه. فالشيخ لا يصل إليها إلا عبر رسول الله ولا يتحقق بها إلا عبر تحققه بالمحمدية، فيسير أمره كله بالله ويتصرف الله فيه كما يتصرف في رسوله لأنه أصبح من محمد ﷺ وأصبح محمديا، وهته

المحمدية أو النسب المحمدي يجعل الشيخ أقرب المقربين إلى الله تعالى لأنه جاء إلى الله بمحمد نبيه ورسوله.

ومواصفات هته المبايعة لا تظهر على ظاهر الشيخ بل هي من أسرار باطنه وانطواءات روحه ولا تكشف للخلق لأنها تبقى من خصوصيات الشيخ مع ربه، وقد يذوق المريد بعضا من تجلياتها إذا تحقق بالمقاصد الكبرى وتحلى بالأدبيات المحمدية، حينها يُبصر في شيخه بصيصا من حقيقته.

فالشيخ المحمدي إذا أردنا تعريفه بعد كل هته التوضيحات فإنه الذي خُلق منفعة للخلق من محمد رسول الله ﷺ،خلق منه لأمته وليس لأحد غيرها ولا لنفسه.

مبايعة الشيخ المحمدي ومبايعة عامة المشايخ:

وهنا وجب التمييز بين مبايعة الشيخ المحمدي ومبايعة عامة المشايخ، وهذا الاختلاف يتجلى في العديد من المظاهر وسنذكر من بعضها ما سيفيد السالك في معرفته .

- **الاختلاف الأول:** مبايعة رسول الله ﷺ للشيخ تكون على ما كلف به، فإذا كان شيخا عارفا يُبايَع على المعرفة وإذا كان شيخا موصلا يُبايَع على التوصيل، أما الشيخ المحمدي فيبايع على ما اجتمع في قلب كل ولي ويوضع في قلب واحد، إذا نطق فإنه

ينطق بلسان كل الأولياء وقد ينوب عليهم في مجالس الديوان أو مجالس الخواص وذلك نظرا للمبايعة التي أعطته الولاية والكمال.

- **والاختلاف الثاني:** في مبايعة المشايخ تظهر في مظهر المبايعة، فقد تكون باللسان وقد تكون بالعهد وقد يكون بالمصافحة وقد تكون بالتلقين وقد تكون بعقدة القلب وقد تكون بالأجساد أو بالأرواح وأعلاها قدرا تكون بالسر وهذا ما يميز مبايعة الشيخ المحمدي لأنها تمر من سر رسول الله ﷺ إلى سره، وغيره فقد يُبايع عبر الواسطة وهذا حال المشايخ الواصلين فتكون مبايعته لرسول الله ﷺ عبر شيخه على وصوله ويبقى على ذلك الحال إلى أن يلقى الله اللقاء الكامل، وهناك حالات من المبايعة باللسان وتكون للمريد الذي اقترب من الوصول فيُبايعه رسول الله ﷺ وهو في حضرته مع شيخه على أمر الدعوة مثلا وهي مبايعة بقوله ﷺ تحفز المريد وتزيد من سرعته في السير لكن لا تُعطيه الإذن. فالمبايعة الكاملة تكون بسره ﷺ.

- **أما الاختلاف الثالث:** فيتجلى على حال الشيخ وخاصة ما يَظهر منه لأن بواطن المشايخ يصعب وصفها وحتى وإن وصفت فإن الوصف لا يتعدى ثلث الحقيقة.

فحال الشيخ الظاهري يُظهر لك قدر مبايعته ومقامها، فإن كان ادعاء وهو أمر محرم فإنه يُرى في وَصف الشيخ وما بويع عليه، فالشيخ لا يُبايع إلا على ثلاث: الإرشاد الروحاني، الدعوة إلى الله، التوصيل لله عبر رسوله ﷺ وكل المبايعات هي تفرعات من

هته الثلاثية (مبايعة التعريف، مبايعة العلم، مبايعة الذكر، مبايعة التفسير...)، وإن ظهر غيرها فأمره غير صادق وهو في ادعاء وفي وهم.

أما الحال الثاني الذي يميز المشايخ الحقيقيين وهو مظهر تعامل الشيخ مع مريديه فإذا كان تعامله محدودا لا يرونه إلا ناذرا وخلوته مع ربه أكثر من توجيهه للناس وهدايتهم ومجالستهم فإن مبايعته غير كاملة باكتمال المقام، ومن مظاهر هذا الحال من المبايعة أن المشايخ لا يفتحون باب الحديث إلا ناذرا ولا باب السؤال وهذا الصنف من المشايخ هو الموصلون بالتربية فقط أو بالذكر فقط دون روحانيات ولا إرشاد روحاني.

أما المظهر الثالث والذي يُظهر صدق المبايعة وكمالها هو انفتاح الشيخ على المريدين أكثر من خلوته مع الله فيكون معظم وقته للدعوة إلى الله، وفي توجيهه للمريد تكون مناجاته مع ربه وحتى وإن تحدث فيكون برسول الله ﷺ فينفع الخلق بكلامه وبسكوته وبحركته وبسكناته، فيكون الشيخ أقرب المقربين لمريديه ويتيح لهم فرص المجالسة والتوجيه المباشر، وهته النقطة هي أكثر ما يُظهر الاختلاف بين مبايعة الشيخ المحمدي ومبايعة باقي المشايخ، فكلما كان الشيخ أقرب للخلق فإن مبايعته تكون أقرب للسر لأن هذا من حال رسول الله ﷺ مع أمته، وكلما كان الشيخ بعيدا عن الخلق فأن مبايعته تكون على ما أُذن وكُلف به.

مبايعة الشيخ المحمدي لمريديه:

وهي المبايعة الحقيقية التي تصبح بها المريدية جزءا من المشيخة، وغيرها فهي مجرد عهود أمام الله تعالى.

والفرق بين العهد والمبايعة أن العهد يكون على شيء فنقول أني عاهدت فلان على الصدق والصراحة وعاهدته على ائتمان السر أو عاهدت شيخي على أن لا أعصي الله تعالى، أما المبايعة فتكون لله وعلى وجه الله تعالى فمبايعة المريد لشيخه تعني أنه معه في الحياة والموت وأنه على منهجه أي أنها تقتضي المعية والصحبة وفناء الشيء في الشيء، فلا تكون المبايعة على شيء بل تكون بالشيء نفسه.

ومبايعة الشيخ المحمدي لمريديه لا تحصل إلى بعد سنوات من الصحبة لأنها إن حصلت يكون فيها تكليف للشيخ ومريده، عكس طرق أخرى حيث يبايع فيها الشيخ كل من أقبل عليه وغالبا ما تكون لغير الله تعالى يا إما لتكاثر المريدين أو للحصول على ترقيات في الباطن أو للتميز على المشايخ.

وفي الآن ذاته فعلى المريد أن لا يبايع كل من التقي به وهو غير عارف بحقيقة مشيخته أو إذنه لأنه بتلك المبايعة يسلم روحه للآخر. لذلك فالمشايخ المحمديين لا يفتحون الباب لهذا الأمر إلا بعد إذن منه ﷺ وبعد نضج للمريد وتحققه بالسلوك.و

لا تكون إلا بعد سنة على الأقل من التحاقه بشيخه والأخذ عنه، ولا تحصل إلا بشروط منها:

- **شروط المبايعة**

- إذنه ﷺ في ذلك.

- قبول المريد روحيا وظاهريا لمبايعة الشيخ.

- أن يكون المريد أنهى تزكية جوارحه وتحقق باطنه بأنوار محمدية.

- بعد مرور المريد بعدة اختبارات وتجاوزه لها بالنجاح.

- بعد تصديق المريد بشيخه التصديق اليقيني الذي يجعله متصلا بشيخه بالبصيرة والحكمة والفهم.

والإذن في المبايعة يكون من أمر الله تعالى الذي يظهر في سيدنا محمد ﷺ بالقبول فيرى المريد مشاهدات لذلك وعلامات عليها بحيث تزداد محبته لشيخه ويزداد أدبه الظاهري والباطني وكذا تعظيمه وتوقيره لأمر شيخه فيرى فيه أمر الله تعالى وهذا ما يؤهل المريد للمبايعة في مقام المريدية منها:

1) **مبايعة القبول:**

أي عندما ينتمي المريد لشيخه ويصبح في زمرته وتحت حصنه ورعايته، ولا تكون بعد شهر أو شهرين من الصحبة بل من ستة أشهر إلى سنة، ونُذَكر أننا

نتحدث عن الشيخ المحمدي الجامع لمهام المشايخ السابق ذكرهم والمستمد من رسول الله ﷺ ما يَحيى به ويُحيي به.

وهذا القبول يظهر في أخذ المريد لمنهج شيخه بقوة وفي الحفاظ على الأوراد المنصوصة وفي حفظ العهد وفي الصبر على الامتحانات وتجاوزها بالارتقاء.

وهذا المنهج المحمدي يتميز بتكامله حيث يغذي ويربى ويرقي ويعرف، فيكتمل المريد وينضج بكليته، ويُختبر حين يأتي وقت ترقيته من مقام إلى مقام.

والقبول هنا مقرون بصدق الطلب، لأنه يستحيل على المريد مبايعة الشيخ المحمدي وهو غير صادق في طلبه وبعيد عن السير وأدابه.

ومن حكمة تأخير المبايعة هو تصحيح قصد المريد كي لا يسيء الأدب ويحرم من رحمة الله تعالى، لأن هَمّ الشيخ يكون هو تثبيت المريد على الصراط المستقيم وليست كثرتهم دون استفادتهم.

وهته المبايعة تجعل مريدا بألف رجل وذلك لقوة اذن الشيخ المحمدي التي تجعل المبايعة براق للتقرب والانتقال من مقام إلى آخر، لأن الهدف منها الذي هو التقرب من الله إن لم يتحقق فهذا يعني أن الشيخ غير مأذون في المبايعة.

ونشير إلى أن هناك من الأولياء من هم ممنوعون من المبايعة وآخرون يحتاجون إذن متجدد وآخرون لهم الإذن المطلق.

- أصحاب المنع: وهم الأولياء المعروفون بالجذب وعدم استقرار الحال، وهم نوع خاص من الأولياء حيث تغلب حقيقتهم على الشريعة فيرفع عنهم التكليف في حالة الجذب الدائم أو في حاله المؤقت، وقد ترى منهم حالات تخالف الشريعة تماما لكن روحهم تهيم في الوجود وفي مظاهر النور وفي أسرار الغيب وبصائرهم منفتحة على الحق فيكون وعيهم في السر أكثر من الواقع ويعيشون في مشاهدة الغيب أكثر من انفتاح بصرهم على الظاهر، ولا يكون في صحبتهم النفع بل قد يكون في ذلك إذاية لمن اعتدى على حقوقهم أو آذى ظاهرهم وخاصة من أراد الأخذ عنه فإنه سيهلك لا محال.

ويدخلون في زمرة الولاية لأن باطنهم يكون مجهولا عن أغلب الخلق ودعواتهم تكون مستجابة عند الله لأن روحهم منفتحة على حضرة الإطلاق الخاصة بالأولياء.

فمبايعتهم للخلق تكون فيها الإذاية في الظاهر قبل أن يتحقق النفع في الباطن، لهذا حرمت المبايعة في حالة الجذب لأنهم لا يعتمدون على منهج محمدي كامل في ذلك وإن خالفوا السنة النبوية فإن المتضرر يكون المتلقي وليس المجذوب لأن التكليف رفع عنه، ومن رحمته ﷺ بأمته أن جعلها من المحرمات حفظا لأرواح المسلمين.

وهذا الجذب لا يحصل إلا بثلاث: غلبة الباطن على الظاهر وهذا يحدث في حال عدم اكتمال تربية المريد، أو في حال قيامه بأذكار تفوق نورانياتها طاقة الروح فتسلب الروح من ظاهرها وتغوص في باطنها، أو في حال من عدم التكليف ورفع

الحجاب المباشر وهذا حال ناذر جدا لأن الجذب يحدث بفعل فاعل في غالب الأحيان.

ووجب التمييز هنا بين الجذب الشيطاني الظلماني والجذب الروحاني النوراني، أما الأول فأمره بين ولا حديث لنا عنه، والنوراني يكون مميزا ولو رأيت المجذوب في حالة مخالفة للشريعة إلا أن قوله وحديثه وكلامه فيه من العبر والحكم ما يحيي في الشخص نور الروح، و بصائرهم مكشوفة على الحق لأن الستار رفع عنهم ويكون حديثهم عن الله دون رسوله وعدم تحققهم بهته الوسيلة هو من أسباب الجذب ولو اتصلوا به ﷺ لأصلح حالهم.

وهذا السبيل لا يُقصد ولا يُطلب من طرف المريد لأنه لن يستفيد منه شيء سوى العيش بالآخرة في الدنيا وما وجب عليه طلبه هو الجمع بين الحقيقة والشريعة.

- أصحاب الإذن المتجدد: الإذن المحمدي أمر ضروري في المبايعة، إلا أنه من المشايخ من يحتاجون إذن متجددا وهم مشايخ الطريق والمقصود بهم من يعتمدون في تربيتهم على منهج أحد السابقين ويتعمد إحياء طريقته فيسمى بشيخ الطريقة القادرية مثلا نسبة للمولى عبد القادر الجيلاني وقد يكون اتصاله به سطحيا فقط، ففي هته الحالة المبايعة تحتاج لإذن متجدد وحتى وإن كانت فإنها تتحقق بمفهوم سطحي فقط، فكيف للشيخ أن يُبايع مريده بشيخ ميت، فالمبايعة تكون بين الأحياء.

ومشايخ الطريق غالبا ما يعتمدون على الظن في تفسير أحول مشايخهم الأموات فيقيسون أفعالهم على مريديهم وتكون تربيتهم جافة فكيف بالمبايعة.

وهنا نذكر أصناف المبايعة التي تكون بين الشيخ ومريده، فقد تكون بالقول فقط أو بالمصافحة أو بالعقدة القلبية وبالفناء أو بعدة مظاهر باطنية والتي لا تتحقق إلا إذا كانت المبايعة مشتملة على شروطها وهي: شيخ حي مَوْصول، مريد صادق، إذن محمدي.

والقصد من المبايعة يكون تقريب المريد من الله تعالى فإن لم يتحقق القصد فإنها مبايعة غير كاملة يا إما من طرف الشيخ أو من الإذن أو من المريد.

لذلك فإن مشايخ الطريق يعتبرون من المسؤولين على تبليغ الأمانة لكن لا تكليف لهم أمام الله تعالى ومبايعتهم لا تخلق تكليفا أيضا، لأن المكلف هو من له تكليف محمدي ومنهج محمدي مباشر منه ﷺ يواكب الزمان والعصر ويُفيد الأمة ويُصلح حالها، لذلك جُعلت المبايعة الكاملة في الشيخ المحمدي الذي يغترف من المنهج الصحيح ومن الإذن المطلق.

- أصحاب الإذن المطلق: ويقصد بالمطلق أنه يؤتى مع إعطاء الإذن، فيكون به الشيخ مأذونا في مبايعة مريده متى ما وجد في حاله الإصرار والقبول، وهذا الإذن يجعل الشيخ وخاصة المحمدي أقرب للمبايعة الكاملة التي تحرر المريد وتقربه من المراد والمقصود.

وهته المبايعة فيها أحوال ظاهرية وأحوال باطنية لا تظهر إلا في الروح، لأن المعروف عن الروح أنها نور وتتنور بانفتاح لطائفها وتحررها لكنها عندما تصل لمراحل عالية من الصفاء والنورانية فإنها تحتاج لمن يثبت حالها ويرسخ مقامها ولو كان لها مرشدا إلا أنها في مراحل تحتاج للمبايعة مع روح الشيخ وبهته المبايعة تُحفظ الروح من الجذب.

ومن الأخطاء الكبير التي يقع فيها محرروا الأرواح الغير مأذونين أنه بتحريرهم لأقفال اللطائف قد يفقدون السيطرة على إحدى الأرواح الهائجة فتصبح روح المَفتوح عليه أقوى من روح الفاتح فيجد صعوبة في تقويم حالها وهذا ما يسبب الجذب.

لذلك فإن المبايعة في مراحل متقدمة من السير ضرورية تثبت حال المريد وحتى وإن رأى من المشاهدات ما يهز الجبال وما يُذيب الجليد ويتخبط في الأحوال بين الموت والحياة فإنه يعود لحاله مستقرا ثابتا وهذا من فضل مبايعة المحمدي له.

ونُذَكّر أن واقع المبايعة يختلف من مريد لآخر ولو كان من نفس الشيخ إلا أن المريدين تختلف مبايعتهم باختلاف تربيتهم، لكن مبايعة القبول أمر مشترك يجمعهم على قلب شيخ واحد.

<u>2) مبايعة المريدية:</u>

وهو مقام أعلى من مبايعة القبول لأنه يتميز بالإرادة في الطلب والعزيمة في القصد وفي هذا المقام من المبايعة تتصل المريدية بالمشيخة ليصبح المريد من شيخه، وتحدث في حضرته الذاتية ﷺ بعد أن يتحقق المريد بانفتاح البصيرة ليرى مشاهدة ذاته ﷺ وبها يبايع شيخه بالإرادة.

ولهذا الصنف جمال خاص حيث تصبح روح المريد معروفة بانتسابها لشيخها في عالم الباطن وقد يظهر من مظاهر المبايعة ما هو محسوس أيضا كأن يتكلم المريد بلسان شيخه ويُبصر ببصره ويفنى في ذاته وبها يتنعم بالحضرة الذاتية له ﷺ،ومن جمالها أيضا أن المريد يعيش حالات من الوجد الباطني ومن الاتزان الظاهري فتغلب روحه بالفيض على ذاته بفضل المبايعة التي تربط وجوده بوجود الشيخ، فيكون ذكره قليل وقربه كثير وعبادته موصلة ولو كانت قليلة وذلك بفضل مبايعة شيخه له والتي تجعله دائم الحضور في محضره ودائم الاستمداد من مدده.

ولا يتحصل المريد أبدا على هته المبايعة إلا بعد أن يكون تزكى قلبيا وعقليا لأن المريد يدخل في سلك المريدية بعد أن يستقر النور ب ٥٠% في باطنه.

ومن الحكم التي جعلها الله بين المريد وشيخه أن المشيخة لا تكتمل إلا بالمريدية وهذا هو الحق، لأن كثيرون من يرو أنهم في جهة ومريدوهم في جهة أخرى وهذا دليل على سوء الفهم أو انعدامه، فالشيخ الحق هو من يحس بمريديه ويعيش معهم أحوالهم وتقلبات أنفسهم وأحوال ترقيتهم وفرحهم واختباراتهم.

فلا يتحقق الشيخ بالمحمدية ليكون شيخا محمديا إلا بعد أن يكون أقرب للمريد من نفسه وأقرب للخلائق لتكون مناجاته هو إرشاد الخلق وخلوته هي هدايتهم وتوصيلهم، ومن أرقى العلاقات الموجودة في عالم الباطن هي علاقة المريد بشيخه أو علاقة الشيخ بمريده خاصة التي تكون على الله ومن أجل الله وبالله تعالى فيحصل بها التسليم والتوكل والتحقق والمحبة.

3) مبايعة المحبوبية:

أي حين يبايع المريد رسول الله ﷺ بشيخه، ولا يمكننا التحدث عن هذا المقام دون التحدث عن الفناء الذاتي الذي يتحقق به المريد عبر المبايعة السابقة فتذوب ذاته في ذات شيخه وتفنى طباعه في طباع شيخه فلا يبقى له وجود مستقل ولا وصف غير وصف شيخه فيصبح من المحبوبين المحبين.

وأول ما تُفتتح به محبة المريد الحقيقية هي محبته لشيخه التي هي ماء الحياة وعطر الروح وصفاء البصر ورَوْح الوجود.

ومحبة الشيخ لمريده تسبق محبة المريد لشيخه، فالله تعالى أحبنا قبل أن نحبه وإذا لم يُحب عبدا من عباده فيستحيل على العبد أن ينعم بمحبة الله، وكذلك محبة المشايخ تشبه محبة الأم التي تحب ابنها قبل أن تراه وقبل أن يتكون حتى، لذلك فالفضل من المشايخ يسبق اجتهاد المريد وهمته وعزيمته، وهته المحبة تؤهل

المريد لأن يحب رسول الله ﷺ لتصبح محبته من محبة شيخه التي هي فيض من الشيخ عليه فيتحقق بفناء المحبة ويرتقي فيها إلى المحبوبية المحمدية فتكون مبايعته لرسول الله ﷺ عبر ذات وروح ووجود شيخه.

وهذا مقام غير متاح لكل المريدين، فمن بين المريدين من هم أقرب للمحبة وأقرب للفناء وللشكر، وهذا الاختلاف يظهر في الأنفس وطباعها فكلما كانت رقيقة سهلة الطباع إلا وذابت في الشيخ كما يذوب السكر في الماء.

ومبايعة المحبوبية هي مبايعة في حضرة الله تعالى حيث يكون هو الشاهد والمشهود والمشاهد وفيه تجتمع عين الشهود، فهذا الصنف من المبايعة ليس هو الأخير بل هو الأول في مقامات التحقق وبها ينتقل المريد من المريدية إلى العبودية وتصبح مبايعاته بشيخه بين تنزلات الحضرة الأحدية والأملاك الكونية لينتقل من المريد السالك إلى العبد بوصف العبودية.

فالبيعة أو المبايعة عالم خاص جدا لا يحصر في شيخ ولا في مجال ولا في نطاق لأنها تمثل ميثاق متينا أمام الله تعالى.

وخلاصة القول أنه ما اجتمعت من مجامع وما انفصلت من أجساد وما فنت من أرواح إلا على أيدي المشايخ المحمديين الذين هم للمبايعة وللعهود وللتوصيل والإيصال أقرب، فمن بايع شيخا محمديا ولو على القبول فليلزمه وليعلم علم اليقين أنه سيصل دون شك ما إن ثبت ورسخ.

وسنختم باب المشيخة المحمدية بإذن الله بحديثنا عن النعمة الكبرى والفضل الجامع الذي يُحْمَل في الشيخ المحمدي وهو منهجه الذي يُعرف بمنهج الشكر أي عبادة الله بشكره وحمده وهذا السر في الشكر والحمد من سر اتصال الروح بخالقها.

فالروح حامدة لله تعالى وتحيى بالحمد وهذا الحمد يتجسد في شكر النعمة والشكر يقتضي المحبة والسلوك عبر الوسيلة التي اقتضاها الله للوجود وسنها سنة للموجود، فالشيخ المحمدي الشاكر ييسر أمر سلوك العباد حيث يوجههم للطريق المختصر الموصل دون زهد وبُغض و بُعد لأن الله لا يتصف بالزهد بل يتصف بالشكر، والزهد صفة بشرية ناقصة أما الشكر صفة إلهية كاملة والوصول إلى الله يوجب الاتصال بصفاته أي بالشكر.

فأقرب الطرق الموصلة وأكثرها دقة وإحاطة وكمالا هي طريق الشكر على يد الشيخ المحمدي الذي اتصف بشكر رسول الله ﷺ لربه فكان من الشاكرين بمحمد ﷺ،وهذا ما يجعل المحمدي محمديا بجميع المقاييس والفهومات والصفات والمواصفات فيستمد الشيخ من رسول الله ﷺ استمداد اتصاف بصفاته وبمنهجه وبسره فيصبح مُكمَّلا برسول الله ﷺ ويكون منهجه مكتملا من اكتمال منهجه ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

القطب

وفقنا الله تعالى لختم مجال المشيخة والتوجيه والإرشاد وذلك بالشيخ المحمدي الجامع لكل إذن وكل مهمة في قلبه وروحه، وهي أعلى مرتبة في المشيخة وأخلصها وأصدقها وأقواها وأقربها للقطبية، وبها نقفل باب المشيخة ونفتح باب الخاصة من أهل الخصوصية وهم الأصناف الذين لا يكشفون عن صنفهم مهما حدث لأنه يكون في الحال وغير مدرك لحاله، وهذا المجال ينقسم للقطبية والتي بذاتها تتفرع لمقامات ثم الغوثية الوترية التي هي من وحدة الله تعالى.

❖ تدرجات القطبية :

القطب هو من أخذ إذن المشيخة الكاملة وارتقى بها إلى أن تحقق بأعلى مقاماتها ثم تنزه عن العالمين وتوجه إلى الله توجه العابدين، حيث تكون بين الحال والمقام:

الحال:

يكون فيه الشيخ بين المشيخة والقطبية وهذا الحال يجعله أبعد عن الخلق وأقرب إلى الله فتكثر خلوات الشيخ بربه وحتى ولو كان من الشاكرين إلا أنه يتصف

ببعض الزهد الذي يُخلص به وجوده من وجود الآخر، ولو كانت للشيخ مهمة الإرشاد أو التبليغ فروحه تبقى في خدمة الخلق وفي توجيه للمريدين وذاته في اعتكاف وخلوة.

و غالبا ما تأتي هته المرحلة بعد أن يُمَكِّن الشيخ عددا من مريديه لتَحَمُّل الأمانة وخدمة الخلق ظاهريا ويكون الشيخ في خدمتهم باطنيا بروحه الفائضة.

لذلك تعتبر المريدية جزءا من المشيخة وأشير لهذا في الشيخ المحمدي الأقرب للقطبية والآن وضح سبب ذلك حيث يجعل الشيخ مريده نسخة عنه في الظاهر ويمده بمدده في الباطن.

وهته المرحلة الانتقالية تجعل الشيخ مِنَ الحقيقة الأحمدية لسيدنا محمد ﷺ فلا يستمد منها فقط بل يصبح منها.

والمقصود بالحقيقة المحمدية هي علاقة الرسول بربه وهي غالبا تدور حول روحه الشريفة، فذاته المحمدية ﷺ تجعل الشيخ محمديا وروحه الأحمدية تجعل الشيخ قطبا؛ ففي هته المرحلة تتحرر روح الشيخ من الجسد بصفة كاملة وتتحرر من المحمدية لتأخذ عن الأحمدية، لهذا تكون ذات الشيخ في خلوة مع الله وروحه في فيض أحمدي.

وهذا الحال الانتقالي يرفع الشيخ إلى مقام العبودية قبل أن يتحقق بالقطبية، ولا نقول أن الشيخ في مشيخته لا يكون عابدا بل المقصود بالعبودية هو أن يتجرد حتى من التكليف والسر والأمانة التي أعطيت له.

فالحال الأول من القطبية هو العبودية، أي التجرد من كل خصوصية أو اختصاص فيذوب الشيخ في ارض العبودية بالمحو الذي يرفعه إلى سماء العبودية، ونشير إلى أن الأرض يقصد بها عبادة الله لأننا عباد والسماء يقصد بها عبادة الله لأننا أحرار فالسماء يقصد بها عبادة الحرية.

وهذا التجرد من كل شيء ولو كان تكليفا من الله تعالى يجعل الشيخ في سماء العبودية ويرقيه إلى القطبية، فالله هو الذي يكلف وهو الذي يرفع التكليف، وكما قلنا فإن هذا الحال يظهر على ذات الشيخ أكثر من روحه فتتجرد من الوصف المحمدي وحتى من التنزه ومن السر الذي يميزها فتتساقط عنها في أرض العبودية لتُرفع من جديد في سماء الأحرار وبها يُطل على القطبية.

وكل هته الأحوال تَحصل في الشيخ بأمر رباني وقد لا يلتفت الشيخ لتقلب هته الأحوال لأن التصرف في الذات يحدث بالعبودية، ونَصِف هذا الحال بالسبات أو الركود، فكما أن للمريدين حالات انتقالية فللمشايخ حالات انتقالية أيضا لكنها تكون أشد وأعمق وأحق لأنهم ينتقلون من النورانية إلى الوجودية أما المريدين فيكون انتقالهم من الظلمانية الى الروحانية.

وهته المرحلة من التقلبات تختلف مدتها من شيخ إلى آخر، فالأقطاب لا يفوق عدده ثلاث في الكون وغالبا ما يكونون بين مشارق الأرض ومغاربها وفي لبها.

ولازلنا في الحال الذي لم يثبت بعد والذي يُفني الشيخ في حقيقة سيدنا محمد ﷺ فلا يحصل التمييز بين الشيخ ورسول الله فينتقل الشيخ بسر رسول الله ويتقلب في أرض العبودية به و يتحرر به ويحصل التمكين من هذا الحال حين تذوب الذات في الظاهر وليس في الباطن فقط، لهذا تكون للشيخ خلوة مع الله تعالى حيث تحدث في ذاته الكرامات الظاهرية الحسية فقد تختفي الذات عن الظهور بشدة ذوابها في أرض العبودية وقد تصبح شفافة حين تتجرد من صفاتها وقد يكبر حجمها إذا حملت بأسرار العبودية وهذه كلها أحوال ظاهرية تُرى بالعين المجردة إلى أن تفنى ذات الشيخ ظاهريا وتموت موتا يُحييها من جديد، وهنا يحدث الانتقال من الحال إلى المقام أي حين يموت الشيخ موت الجسد وهو موت حقيقي تخرج فيه الروح من الذات وتتصل بالله اتصال الأموات ثم ترجع للذات فتحييها حياة تنقل الحال إلى المقام.



المقام:

وهو حال التمكين والتثبيت والتحقيق، وهي نقطة اتصال روح الشيخ بأحمديته ﷺ أي روحه ﷺ،فتكون الانتقالية من مرحلة الذات إلى الروح حيث تصبح روح الشيخ من روحه ﷺ،فالأصناف السابقة من المشايخ رغم اختلاف مهامهم وإذنهم فيكون اتصالهم بمحمديته ﷺ أي بذاته أكثر، ويكون استمداد اتصال بها وليس التحقق بها. أما القطبية فتصبح الروح من الروح أي منه، فلا تظهر الروح مرتبطة بروحه ﷺ عبر المدد أو عبر الاتصال بل تكون منه ولا تميز بين روحه ﷺ وبين روح الشيخ أي تصبح منه إليه وهذا هو المفهوم الشامل للقطب سرا وروحا. وهذا المقام الذي تمكن من حال العبودية يعتمد على صقل الروح بالروح وتمكين السر من السر وانفتاح السريرة على السريرة وكلها أحوال في روحه ﷺ تعيشها روح القطب وتتميز هته المرحلة الانتقالية بمرحلة خاصة بالذات ومرحلة أخرى خاصة بالروح وهي المراحل الأهم التي تُعرف بتحقق السر الأحمدي حيث يصبح به القطب متوجها داعيا لله تعالى برسوله فيتحقق بالوسيلة حقيقة وليس اتصالا فقط. لأن الاتصال يجعل الشيء يفيض كاتصال المطر بالأنهار فإن قل المطر جفت الأنهار وإن فاض المطر فاضت الأنهار هذا هو الاتصال، أما التحقق هو أن يصبح ماء النهر من المطر وفيه، كذلك فإن السر في المراحلة السابقة المذكورة من المشيخة يكون

بالاتصال فنقول أخذ إذن التوصيل من سيدنا محمد أو أخذ إذن الارشاد من سيدنا محمد، أما في هته الحال يصبح السر والإذن هو القطب وهته الحالة من التحقق تسبقها حالة العبودية كما قلنا حيث يتحرر من التكليف ليصبح هو التكليف عينه.

ووجب الإشارة إلى أن كل حدوث او انتقال وارتقاء سواء كان في نطاق الذات او في ذوق الروح فإنه لا يمر ولا يحصل إلا به ﷺ،وباب القطبية لا يفتح إلا به ﷺ،وادعاء القطبية دون اتصال حقيقي برسول الله ودون اتخاذه وسيلة فهو باطل وكذب، هذا لأن روح رسول الله ﷺ كما قلنا ونقول هي الأم الجامعة للأرواح فالقطب منها والولي منها والواصل منها والاكتمال يحصل فيها والارتقاء أو الجمع بين مهام وجودية عديدة يحصل فيها لأنها وسيلة الإيجاد الروحي ووسيلة التكليف الباطني.

فمن لم يعطه رسول الله ﷺ الإذن في التبليغ أو المشيخة فإن باب القطبية لا يُفتح له ولو وصل من الولاية والصلاح ما وصل فإن الباب يُفتح بالوسيلة.

❖ دور الوسيلة في مجال المشيخة :

للوسيلة دور خاص وعام في تكليف المشايخ وفي اختيار أرواحهم وأخذهم في مقامات المشيخة ونذكر منها:

1- الوسيلة تمثل درج البناية التي لا يمكن الصعود من طابق إلى آخر دونها، فمثلا البناية هي عالم الإرشاد والطابق الأول خاص بالارشاد التربوي والثاني خاص بالارشاد التعبدي والثالث خاص بالارشاد الروحاني فدون درج لا يمكن الانتقال من طابق إلى طابق وكل هته الطوابق هي في روحه ﷺ والدرج يكمن في كونه وسيلة ﷺ،فالعالم والعلم والعوالم مجتمعة فيه.

2- والوسيلة هي من ترفع المريد من المريدية إلى المشيخة، لأن المريد لابد له ومن الضاروريات أن يحصل على إذن رسول الله ﷺ بعد إذن شيخه في الإرشاد أو الدعوة إلى الله، ولا يفتح هذا الباب ولا هذا المجال إلا باسمه، لأن الروح منه ﷺ فكيف لعالم أصله منه ﷺ أن يفتح بغيره، هذا هو الجهل والنكران.

3- حقيقة الوسيلة في عالم المشيخة أيضا تظهر في المعرفة بالأمة الاسلامية وبالمسلمين والمؤمنين والمحسنين، لأن الشيخ لا يمكنه أن يوجه ويرشد وهو غير مبصر لبواطن الأمة وغير شاهد على فتنها وهته الشهادة هي من سر الوسيلة لأنها خلقت وجعلت شاهدة ومشاهدة، ولو أن ذاته ﷺ غادرت الوجود إلا أن سره في

الوسيلة لا يزال حيا كما كان قبل أن يبعث رسول الله ﷺ ذاتا ولا يزال كذلك إلى يوم الدين.

4- وللوسيلة عالم مستقل ضمن عالم المشيخة ويعد لبها وأصلها ونمثل ذلك بشمس تدور حولها الكواكب وتطوف، فلا تبرز هته الكواكب إلا بضوء الشمس ولا تظهر إلا بظهور الشمس، كذلك فإن الشمس هي الوسيلة والكواكب هم المشايخ ومهاهم الكونية، فإذا غابت الشمس وفقد الاتصال بها فإن الكواكب تنطفئ وتغيب وإذا أشرقت وبرزت فإن الكواب تتجلي.

والمقصود من هذا كله أن رسول الله ﷺ هو من يحرك فلك الإرشاد ويؤطره ويكونه ويقسمه ويجعل له الوظيفة والمهمة. والقطب هو من تحقق بحقيقة الوسيلة وتعرف عليها معرفة يعيش بها اكثر مما يتصل بها.



❖ الفرق بين روح القطب وسره وذاته ووظيفته في الوجود:

روح القطب:

- أي عند تحقق الروح بالروح وبعد الانتقال من الروح المتصلة إلى الروح المتحققة، وهو مقام التمكين في حضرة القطبية أو ما يسمى أيضا بحضرة الروح وهي ما تظهر في بعض المشاهدات على شكل روح الهوية فتكون هي روح القطب المتحققة بالروح الأحمدية وتتمثل في الحضرة الروحية.

وما يقصد بالحضرة هي رفعة من رفعة الله جُعلت منازل وأوطان للأرواح في عالم الغيب كما هي في عالم الظاهر، فلكل شأن في الدنيا مماثل في الغيب، والحضرة تمثل مقام لكن دون زمان ومكان وتختلف الحضرات بوسعها طولا وعرضا وبما تحمل من أسرار وحقائق وأيضا بألواح القدر وبقلم الوحي، فمنها ما تسع ملائكة البيت المعمور ومنها ما تسع الموجود في السماء السابعة ومنها ما تسع العرش.

أيضا تظهر في مشاهدات بعض المريدين كراسي العرش أو تنزل الروح على العرش وهي في الحقيقة مظاهر من مظاهر روح القطب التي تكون حضرته حضرة روحية متصلة بهوية الله تعالى.

- ولروح القطب دور في الوجود يجعل التنزلات من حضرة الروح تسع الارواح كلها من الجمادات والساكنات ولو كانت أرواح الكفار، فالرحمة التي تتنزل منها تشمل الأرواح جميعهم، و حضرة روح القطب تمثل عالم الأرواح وهي الصورة المصغرة لزمن الذر، فالعديد من الأرواح ترفع لحضرة روح القطب قبل أن ترفع لزمان الذر، والاختلاف بينهما أن زمان الذر ثابت لا ينقص ولا يزداد عدد الأرواح الموجودة فيه لأنها خلقت في آن واحد، أما حضرة روح القطب فهي مفتوحة للأرواح تصعد إليها لتسقى وقد تتخذها مسكنا فيبقى حالها متقلبا غير ثابت بعدد الأرواح الوافدة إليها، فيكون عالم الذر هو وجود الأرواح المطلق وروح القطب هي وجود الأرواح المتجدد.

ولا نفصل هنا بين روح القطب وروحه ﷺ لأنها أصبحت منها فحملت الروح في الروح الأحمدية وهذا مستوى عال من الفناء والتحقق يصعب على العقول قبوله خاصة لمن لم يتحقق بروحه بعد، فلا يمكن معرفة الروح دون روح لهذا وجب على كل متشوق يريد الله تعالى أن يبحث عن روحه ويحييها فإنه لن يصل بذاته أبدا ولو طهرها وزكاها ما زكاها فإن الوصول للمعرفة وللذوق يكون بالأرواح.

فروح القطب تصبح بحر للمعارف لا يحتاج المريد للاتصال بغيرها ليتعرف أو يتحقق وخاصة المعرفة الوجودية أي معرفة الوجود منذ عالم القدم إلى يوم البعث والموجود في الوجود من أرواح الثقلين والأكوان والملائكة لأن روحه تحمل الأرواح لاتصالها بالهوية الواجدة للأرواح.

ذات القطب:

والذات يُعنى بها الذات وما تحمل أي القلب والنفس والعقل دون الروح، لأن روح القطب لا تُحمل في ذات ولا في أي واقع آخر لما وضع فيها من أنوار وحقائق تغني السائل عن سؤاله.

وذلك بعد تقلبات الأحوال التي تحدثنا عنها في مرحلة الحال، وبحرية العبودية تصبح الذات مسكنا للأسرار وليست فقط مستمدة لتمد بل تصبح هي المدد بذاته، وكل هذا لا استقلالية فيه ولا بعد عنه ﷺ لأنه يسكن الذات بذاته فيصبح مالك الشيء بنفسه.

وذات القطب تختلف عن ذات المشايخ في مضمون الشريعة والحقيقة، فتكون ذاته سنة في الوجود من سنته ﷺ وتتجلى الحقيقة فيها حين تصبح ذاته مرآة للمشاهدة الغيبية وهو حال شفافية الروح حيث تعامل الطينية بالطينية وتعامل النورانية بالشفافية، فتصبح الذات روحا والروح حضرة، ومن المظاهر الظاهرة على ذات القطب هي مظاهر اتصف بها ﷺ كتنزل الملائكة على الذات وسماع الخطابات بالذات لأن الذات أصبحت روحا، فالغالب من أحوال المشاهدة والاتصال تكون بالروح لكن القطب يتميز بالاتصال الذاتي فقد يخرق الزمان المكان بذاته وقد تتعدد ذاته في عدة أمكنة لأنها اتصفت بشفافية الروح ولهذا حكمة كبيرة تُظهر قدرة الله

تعالى في الأجساد وليس في الغيب فقط، فقاعدة القدرة جُعلت في الغيب لكن من قدرة القدرة أن تتجلي على الحاضر أيضا وذلك ما يجعل ذات القطب روحا قبل أن تكون ذاتا.

ومن خصائصها أيضا أنها تعرف لذى أهل البصيرة والكشف بشدة نورانياتها وبثقل وزنها النوراني في الأرض، فقد يرى شيخ في المغرب نور القطب في آسيا وذلك لانتشار نور الذات في الأرض.

وتُعد من بيوت الله تعالى التي تحفها الملائكة وتطهرها الأنوار وتذكرها الأرواح في الملأ الأعلى وهذا ما يجعل قلب القطب قمرا وعقله شمسا ونفسه كونا وذاته وجودا مستقلا عن الوجود فتعيش فيها بعض من الخلائق التي خلقت لها وتصاحب بالعناية الكونية.

وهذا تعظيم لأمر الله تعالى، لأن القطب لا يفصح بهذا وقد لا يراه حتى وحتى وان التفت اليه لرآه في رسول الله ﷺ ولا يصنف نفسه أبدا من الأقطاب بل يؤدي وظيفته من وجوده وهو في عبادة لله تعالى.

□ سر القطب:

والسر هنا خاص به ولا يستمده من سر آخر، ويسمى بسر السريرة الخاص بكون القطب وكيانه الخاص، لأنه كما سبق وذكرنا أن القطب هو وجود مستقل عن الوجود الكلي ولكل وجود سره وسر القطب يتميز عن سر الشيخ باستقلاليته فيه، فمثلا الشيخ المحمدي يكون سره من سر رسول الله ﷺ وسر الشيخ الموصل يكون من سر رسول الله ﷺ أما سر القطب فيكون سره هو سر رسول الله ﷺ أي تحقق بالسر وهذا التحقق لا نقصد به سره الكامل في النبوة أو سر الوسيلة، بل جزء منه ويصبح خاصا بالقطب.

ولرسول الله ﷺ أسرار من سره الواحد وتسمى ب"أسرار الزمان" ويقصد بها السر المخصص لكل قطب وزمانه، لأن السر الجامع تجمع فيه كل الأسرار دفعة واحدة ولو أن السر لن يخرج منه ﷺ إلا بعد ألف سنة فيبقى محفوظا في السر الكلي إلى أن يظهر في السر الجزئي الخاص بالأقطاب.

والسر الكامل لرسول الله ﷺ يتضمن التاج وهو النبوة، ثم يليه الكيان وهو الرسالة، ثم الديوان وهو الوحي، ثم الوجود وهو الإسلام، ثم الموجود وهو الأمة، ثم الوسيلة وهي الإيجاد، ثم الشفاعة وتتجلى في البعث وغيرها من الأسرار العديدة التي تُجمع في السر الكامل لرسول الله ويسمى ب"سر الفرد" أي أنه لرسول الله ﷺ ولا

لأحد غيره، فينقسم هذا السر عبر الأزمنة وما يستوجبه حال الأمة فقد يجود على القطب بسر الإسلام فيصبح له ويُصلح به دون الحاجة لإذن محمدي متجدد في ذلك، ونمثل ذلك بإعطاء الرخصة في القيام بأمر وتكون محدودة وذات اختصاص واضح كرخصة البناء أو الإصلاح، هذا مثال حي عن الاذن الذي يكون مقصودا لشيئ معين، أما في حالة القطبية فيصبح القطب هو الرخصة نفسها، وهنا يظهر الفرق بين الاذن والسر ولماذا لم ندرج اذن القطب في التوصيح، لأن القطب لا إذن له بل له السر كله، فالإذن يبقى خاصا بالمشايخ ونمثله بالرخصة المؤقتة والسر يبقى خاصة بالأقطاب ونشبهه بالوثيقة المكتوبة.

والأمر العجيب في السر الكامل لرسول الله أنه حي بحياة الأمة ومتجدد بما تحتاجه، فيجود على القطب بما يوجبه الزمان، لذلك فإن الاسلام دين حي ورسوله حي شاهد على الأمة وهو من يخدمها وييسر أمورها في الباطن والظاهر.

إذن فالقطب له سر واحد يكون خاص به وبوجوده فيخدم الخلق بذلك السر، ونضيف للتوضيح السابق للاذن والسر أن الإذن يخدم المأذون ومن اتصل به، مثلا إذن الإرشاد يجعل المرشد حيا بذلك الإذن ويحيي به الأرواح أما السر فيحدث به شمولية الإذن من أن يكون خاص بالإرشاد إلى أن يصبح هو المرشد، لذلك فإن الاتصاف بالإرشاد راجع للإذن أما السر فيجعلك مرشدا بما في الصفة من معنى.

فمثلا الانعكاس الذي يحدث على البحر من السماء يجعله أزرقا وهل هته الزرقة منه؟ لا بل هي صفة تجعله يتصف باللون الأزرق، وهذا هو حال الإذن الذي يجعل حامله يتصف به.

والسر هو ما اختلط بالشيء فلا تفرق بين الحامل والمحمول، كذوبان الجليد فالماء حيث يصعب التمييز بين ما كان جليدا وما كان ماء عذبا.

فالأقطاب هم وعاء يحمل السر، فيختلط السر بذاتهم وروحهم فلا تحدث استقلالية وجوده عن وجود السر فيه، وغالبا ما يكون السر من جوهر الروح ويوصف بالزجاج البلوري اللامع الراجع لنار المعرفة، وكما قلنا فإن لكل قطب سر، ويعد ذلك بثلاث أقطاب في الزمن أي ثلاث أسرار في الزمن وتكون مقصودة بما يفيد الأمة.

وتجدد الأقطاب لا يحدث إلا بعد أن يفنوا جميعهم ثم يبعث الله تعالى أرواحا وذواتا آخرين، لأن اتصالهم يكون اتصال تكامل فإذا نقص سر من الوجود فإنه يكمل بالسر الآخر وهذا من كرم الله تعالى، وناذرا ما يدوم الحال على قطب واحد، لأن التجديد يحصل في عالم الغيب على رأس كل تقلب من تقلبات الشأن.

والقاعدة في القطبية هي أن ينتقل الشيخ من المشيخة الدنيوية إلى المشيخة الأخروية وذلك عبر مروره بمبايعات وترقيات ومجالس وتكميل، لكن هناك حالات استثناء تأخذ العبد من ركود الحال إلى أمانة التكليف، فهناك من الأولياء من ينقلون إلى

القطبية دون أن يمروا بالمشيخة ولا بالإرشاد، والفرق بين الشيخ القطب والولي القطب أن الولاية لا يكون فيها اختلاط كبير بالخلق ولا مجالسة دائمة لهم لأن وظيفته تكون في الباطن أكثر من الظاهر وقد يبقى الولي في ستر على حاله وخلوة مع ربه فلا يؤذن له بالمشيخة ويرفع مباشرة للقطبية وهذا النوع غالبا ما يأخذ سر الرسالة الباطنية. أما الشيخ الذي ينقل من المشيخة إلى القطبية يُؤَمن على سر الوسيلة وذلك لتعلق أرواح العالمين به ولارتباط الخلق بذاته وبروحه فينفع الخلق بذلك السر.

والسؤال الذي يطرح هنا: **هل بالانتقال من المشيخة إلى القطبية تسقط على القطب مهمته وإذنه في المشيخة والإرشاد؟**

الإذن لا يسقط والمهمة لا تنته باختلاف التكليف بل تُصبح جزءا من ذلك السر، إلا أن الإختلاف يحدث في الأولوية وما توجبه الساعة، حيث تنتقل الأولوية من خدمة الخلق بالتربية والإرشاد إلى تكوين المشايخ والمرشدين وهنا ندخل في وظائف القطب، حيث تصبح للقطب مهمة تكوين المشايخ المرسلين إلى مهام التربية عوض تربية المريدين، فيصبح المعلم هو القطب والتلميذ هو الشيخ وهذا يحصل في المجالس الباطنية وتُعرف بمجالس العرفان حيث يكون للقطب مهمة في إرشاد المرشدين ليأخذوا الإذن في المهمة منه ﷺ.

وظائف القطب في الوجود:

وله من الوظائف ما هي روحية وما هي ظاهرية وما هي باطنية ونذكر منها ما يفيد الخلق وما تطيقه العقول وما ستحتويه الأرواح:

- **<u>أرواح الأقطاب تمثل حملة عرش الحضرة الأخروية:</u>**

ومن أرواحهم زُينت الجنة وتجملت الأرواح وكشفت الأستار، وبمفاتيحهم تفتح الخزائن السماوية والأملاك الأرضية المعرفية، فوظيفتهم تكون متعلقة بالمخلوقات الموجودات خاصة في عالم الروح كما سبقت الإشارة إليه، بحيث أن روح القطب هي الحاملة للشهب الروحانية من عالم الذر والمجددة لعهد الروح بالله تعالى لأنها تمثل أم الأرواح ومرجعها ومددها.

- **<u>أرواح الأقطاب وسيلة التكامل الروحاني:</u>**

ومن وظائفه أيضا في عالم الروحانيات هو التكامل الروحاني أو ما يوصف بالتكميل الوجودي، خاصة في عالم النور الروحاني لأن روح القطب هي أقرب لروح رسول الله ﷺ فتجتمع فيها أرواح الصالحين والعارفين والأولياء والمشايخ لتجديد العهد، فكما أن الشيخ يعتبر وسيلة للمريد للوصول لرسول الله ﷺ فللمشايخ أيضا وسيلة لذلك، وهذا من سنة الله في الوجود حيث جعلت روح القطب وسيلة لذلك فتتصف بوسيلة الوسيلة لأنها تحقق بالوسيلة.

وحقيقة الأمر أن روح القطب ليست مستقلة نهائيا عن رسول الله ﷺ وتفصيلنا في هذا الأمر هو مجرد توضيح وتصحيح لما قد يخلط فهم المريد وتوجهه.

فكل ما سبق ذكره وما هو آت ذكره هو منه ﷺ وليس من أحد غيره، وهته الوظائف التي تميز المشايخ عن بعضهم البعض لا تعني أنه ﷺ غير قادر على أن يتجلى على المؤمنين ويرشدهم، بل هو من يرشدهم في الحقيقة وهته الوظائف والمهام الوجودية هي من رحمة الله لأن الطبع البشري وميولاته يصعب تصحيحه بالاستقامة بالأرواح فقط إنما هذا يحتاج للأجساد الأحياء وهذا من النقص البشري الحاصل فينا فيُكمل بالبشرية قبل أن يتجلى بالروحانية، ولو كان الإرشاد في الروح يكفي لما أرسل الله المرسلين والنبيين ولاكتفى ببعث الأرواح وتذكيرنا في الباطن، والحكمة جُعِلت في الأحياء الذين يمشون في الأرض بالأجساد والأرواح.

ونشير إلى أن خصوصية الذات والتكليف الظاهري يرفع عن المشايخ وعن الأقطاب عند انتقالهم لجناب ربهم وتبقى رحمتهم في الباطن فقط، لذلك تُعطى الأمانة للأحياء وترفع عنهم عند الفناء الكامل لهذا جعل الأخذ في السلوك على أيدي الأحياء ومن المخاطر أخذ السير من أهل الباطن فقط لأن التكليف يرفع عنهم.

ومن فضل الله تعالى أنه جعل الأحياء للأحياء قبل الأموات لأن الحكمة أصلا من تجديد المشايخ عبر كل زمان ومكان هي تلك الحياة الجسدية ولو كانت الأرواح تكفي

لحُدَّت فيه ﷺ ولم يبعث الله بعده وليا أو مرشدا، لكن الله تعالى علم أن في الإنسان ضعفا فكمله بإنسانية من هو أكمل منه.

- **وظيفة التكوين الروحي للمشايخ:**

ومن وظائف القطب كما تمت الإشارة إليه سابقا هو التكوين الروحي، كما أنه من الممكن أن يمر في الإذن كل شيء من توجيهات وتوضيحات للشيخ في باطنه فيكون في استغناء عن التكوين القطبي لكن هذا هو الاستثناء ولا يحصل إلا نادرا لمن دخل مباشرة في زمرة المشايخ المحمديين حيث يكون توجيههم مباشر منه ﷺ،أما القاعدة فهي أن يمر الشيخ أو المرشد أو العارف أو الولي على أيدي القطب أولا فيلقن ويفهم ويُعرف ولو أنه مر بالمريدية وتعلم بها الطريق والآداب، لكن للمشيخة آداب ومبادئ أخرى تحتاج لتلقين حقيقي، ويحدث هذا في الباطن كما قلنا في مجالس العرفان لكن قد يحدث أيضا في الظاهر باجتماع الأجساد إذا ما تحققت الذوات بشفافية الروح فتخرق المكان والزمان.

ومن بركات ذلك أن الزمان لا يُحاط بالساعة ولا بالدقيقة، فقد يسافر القطب من مكان إلى مكان ويُقيم مجلس العرفان ولا يتعدى كل هذا ساعة، لأن الخرق حدث بذاته وبسرها.

- كما أنه من الضروري على الشيخ أن يحصل على إذن قطب الزمان، أما إذا حصل على إذن الأقطاب الثلاث فيكون إذنه أكمل، ويعطى هذا الإذن قبل إذنه ﷺ وهو دال

على اكتمال الشيخ وتمكينه، فيُرفع إذنهم لإذن سيدنا محمد ﷺ فينظر في أمره ليختم عليه بإذنه المحمدي وهو الإذن الأخير الذي يختم على قلوب المشايخ.

- **<u>والأقطاب هم السنة الجمالية في الكون:</u>**

لأن وظائفهم تتمثل وتُقصد للآخر وليس لأنفسهم ولو تحقق فيهم من الكرامات ما تحقق فإنها للخلق ولمنفعتهم وخاصة لعالم الروح كما قلنا.

ومن باب التنزلات والتجليات فإنهم بالروح والجسد يمثلون وسائط وجودية فقط أي لا يتصرفون بالقدرة ولا بالأقدار إنما يوصلون التنزل بالمنزَّل عليه و يربطون التجلي بالمتجَلى عليه وهته وظيفة من الوظائف التي تُحدث الاختلاف بين القطب والغوث.

- وتسمية القطبية هي في الحقيقة راجعة لتواجدهم النوراني في الكون، فاتصال الأقطاب الثلاث يقع في نقطة واحدة وهو عمود الغيب الذي يجمع كعبة الأرض بكعبة كل سماء بالبيت المعمور بالعرش بسدرة المنتهى وغيرها من المعالم التي تُمثل السير العمودي، فيحدث الاتصال بعالم الغيب ومرور الملائكة إلى عالم الأرض ورفع حجب الكشف عبر هته النقطة والتي تسمى بالقطبية الدنيا، أما القطبية الغيبية فتقع بعد عرش الحضرة القدسية المعروفة بالتكليم والخطاب، وهذا العمود الذي يجمع النقطتين يتجلى في حبل المعراج المحمدي الذي يكون خاص بالمشايخ المأذون لهم من طرف سيدنا محمد ﷺ.



فمعراج المريد ليس هو معراج الشيخ ومعراج الشيخ ليس هو معراج القطب ومعراج القطب ليس هو معراج الغوث ولا معارجه ﷺ ولو أن المعراج واحد وأنه من فتح رسول الله إلا ان الاختلاف يكمن في الإذن وفي القُرب الروحي منه ﷺ وهذا ليس بمعنى المشاهدات أو التلقي أو الفناء هته كلها أمور أولية يتجاوزها الشيخ في مريديته، إنما نتحدث هنا عن التمكن من السر وخصوصية الإذن.

ولو أن المشايخ جميعهم حصلوا على إذن منه ﷺ ومن ذاته الواحدة وروحه الواحدة إلا أن قربهم من سره يختلف ويتدرج، ونمثل ب:



وهذا التوضيح كان شاملا للأصناف الكبرى والأكثر انتشارا في مجال المشيخة وتوجد تفرعات أخرى.

❖ تفرعات المشيخة:

المريد المرشد:

وهو الذي يتوقف في مرحلة المريدية لأنه يبقى في صحبة شيخه الحي ولو أخذ عنه السر فلا يتصف بالمشيخة إلا بعد أن ينتقل شيخه إلى جناب ربه وهذا من عظيم التربية والأدب لأن المصاحبة توجب المريدية ولا يجوز اجتماع شيخان في منهج وحتى في مكان واحد.

▢ الشيخ المربي:

وهو الصنف الأول من مشايخ الطريق الذين لم تتم الإشارة إليهم لأنهم في الغالب لا يكون لهم إذن محمدي في ذلك ويأخذون إذنهم من مشايخهم فقط ويعتمدون في الأرجح على الاجتهاد العقلي فلا يكون لهم منهج قار ومحدد.

▢ الشيخ الواصف:

وهو من يوجه الناس بالحديث والموعظة وكل من يجالسه تنفث فيه همة الطلب والبحث فيهيج شوق المتشوق ويحرك ندم التائب والمستغفر، فتكون مهمته ظاهرية بالدروس، وحتى وإن لقي إقبالا كبيرا من الخلق واجتمعوا عليه لوجههم للمشايخ لأن مهمته تكون في وصف الطريق.

▢ الشيخ المَوسُوط:

من يجمع المريد بشيخه الحقيقي الذي عاهده في عالم الأرواح، لأن العهد الذي حصل في عالم الذر لا يسمح لشيخ أن يقبل مريدا وهو مقدر لشيخ آخر لذلك فإن عالم المشيخة ليس بالأمر السهل ولا بالأمر الهين فالتكليف الذي يحصل فيه أكبر من قدرة ذات شيخ وروحه ومدده وإذنه إنما هو أمر الله تعالى، لذلك فإن العديد من من يدعون الإرشاد والمشيخة يحاسبون على أمر الأرواح التي منعوها من مشايخها، يحاسبون بالتظليل عوض أن يُقبلوا بالإحسان.

شيخ التمكين:

وهو من يتخذه الشيخ شيخا ليتحقق بشمولية الإذن أو جزئيته، فمثلا الشيخ الواصل الذي تُوفي شيخه وتركه في مرحلة الوصول، فلكي ينتقل منها إلى مرحلة الإيصال يحتاج شيخا يأذن له في ذلك وهو ما يسمى **بشيخ التمكين**؛ فعالم المشيخة هو عالم متكامل واضح حتى إن اختلط بالادعاء والكذب والتكذيب يبقى الحق ظاهر بَيِّن والباطل واضح ومعروف.

ومن شمولية سر القطب أيضا أن يكون عارفا بأصناف المشايخ الموجودين في كل مكان في الأرض ومهامهم وخصائصهم وحقائقهم فيُمثل المرجع في عالم المشيخة.

علاقة القطب برسول الله ﷺ :

وهي علاقة تحقق كما قلنا، وعلاقة اتصال بالحقيقة حيث يعتبر رسول الله ﷺ هو ديوان الأرواح والقطب هو مرجع لذلك الديون، كما تعتبر ذاته ﷺ هي البحر وذات القطب جوهر من جواهر البحر. وتوضيح العلاقة يُشاهد بفناء الفناء حيث يحدث فناء عن الاستقلالية وفناء عن الوجودية وحتى عن القطبية فتتصف الذات بالذات والروح بالروح والسر بالسر، ولا تحصل الاستقلالية إلا في عالم الظاهر حيث يظهر القطب بمظهر البشري الشرعي رغم أنه متحقق بمحو الذات فيه ﷺ.

وهذا من فيض محمد عبد ورسول الله على الأمة جمعاء، فمنهم من يرى الفضل ويشكر الله تعالى فيزيده ومنهم من يرى فضله فينكره ومنهم من يجهله فلا يعيش الشكر في حياته.

□ علاقة القطب بالمشايخ رضي الله عنهم:

وتكمن في الرؤية المحمدية فيما يحقق المشايخ بصحبته ﷺ وما يجمعهم بمريديهم وهذا الفضل وإن عمّ يَجعل للمشايخ المتصلين به ﷺ اتصالا بالقطب والمشايخ الواصلين اتصال في القطب، فإما يكون عبره أو به لأن الواسطة لا تنتفي إلا إذا تحقق هو بالواسطة، فللشيخ واسطة محمدية وهي القطب ولا تُرفع عنه إلا إذا أصبح من الأقطاب.

وهذا من خصوصية العِلم بالشيخ وبمجاله وما يدور في فلكه، لأنه وكما قلنا أنه وجود متكامل فلا يمكن الحديث عن كون الشيخ واسطة للمريد دون الإشارة إلى واسطة الشيخ الى سيدنا محمد ﷺ.

□ علاقة القطب بالخلق:

أما الخلق فهم المظهر الحقيقي والهدف الأكبر والمهمة الواضحة للمشايخ والأقطاب، والخلائق هم الوجه الظاهر من حقيقة الأقطاب، فإذا نظرت فيهم ترى كرامات ربانية يراها المبصر وتخفى عن الجاهل وهذا من فيض الروح على الأرواح،

فالمشاهدات أو الرؤى التي قد تظهر لبعض الخلق قبل التحاقهم بمشايخهم هي من فيض هته العناية الروحية والتسيير القطبي للأرواح، وأيضا اللطف الخفي والعناية الظاهرية ورحمات الأقدار والأرزاق.

وبهذا نكون ختمنا موضوع القطبية وما تنطوي عليه من المعارف التي تُفيد المريد خاصة ثم المسلم بشكل عام.

والحمد لله رب العالمين

الغــوث:

ننتقل بإذن الله للحقيقة الأقرب للنبوة وهي الغوثية التي تمثل حقيقة كاملة وليست مقاما ولا حضرة ولا سرا، بل هي الحقيقة التي تخلق المقام والحضرة والسر ومنها تُفرق الأسرار.

وهته الألقاب التي تُعطى سواء الشيخ أو العارف أو الولي أو الصالح أو القطب أو الغوث هي مجرد أسماء تفيد التمييز والأصل أن الكل عباد لله وبنوره يحيون في الأرض وبقدرة الله يتصرفون وليس في أمرهم أو شأنهم شيء من أنفسهم، إنما هي ألقاب خص بها الله الخاصة نسبة للأسرار والحقائق التي يحملون بها ويوصفون بها، فلقب الشيخ يعني التعامل مع الخلق والموصل يعني الاتصال به ﷺ والقطب يعني خصوصية الأرواح، أما الحقيقة أن الكل من الله يستقي وهته السقاية تختلف فمنهم من يُمَد من القوي أو العليم أو البصير أو القريب وهذا التنوع والتعدد في أسماء الله الحسنى رغم أنها من وحدة الله هي من تجعل التعدد في المقاصد الوجودية للمشايخ والأولياء.

أما الغوث فهو الحقيقة الأقرب لحقيقة النبوة، لأن النبوة سر وحقيقة ثم مقام، فالحقيقة أقرب للسر والسر اختص به ﷺ وحده والحقيقة اختص بها الغوث

وحده لأنها حقيقة واحدة، لذلك فإن الغوث واحد في الزمان والمكان ولا يتجدد إلا بعد عدة سنوات روحية.

وللغوثية مقامات ضمنها الصديقية، المحبوبية، الحبيبية ثم الغوتية الكاملة، وهته المقامات تحمل أحوال يعيشها العبد قبل أن يتحقق بالغوثية الكاملة، فمنهم من يستقر حاله في الصديقية ولا يكتمل بالغوثية ومنهم من يستقر حاله في المحبوبية، لكن الغوثية الكاملة تعرف بالفردانية لأن فيها من أسرار الوحدة ما سنتحدث عنه لاحقا بإذن الله تعالى.

سر النبوة

الصديقية

المحبوبية

الحبيبية

الغــوث

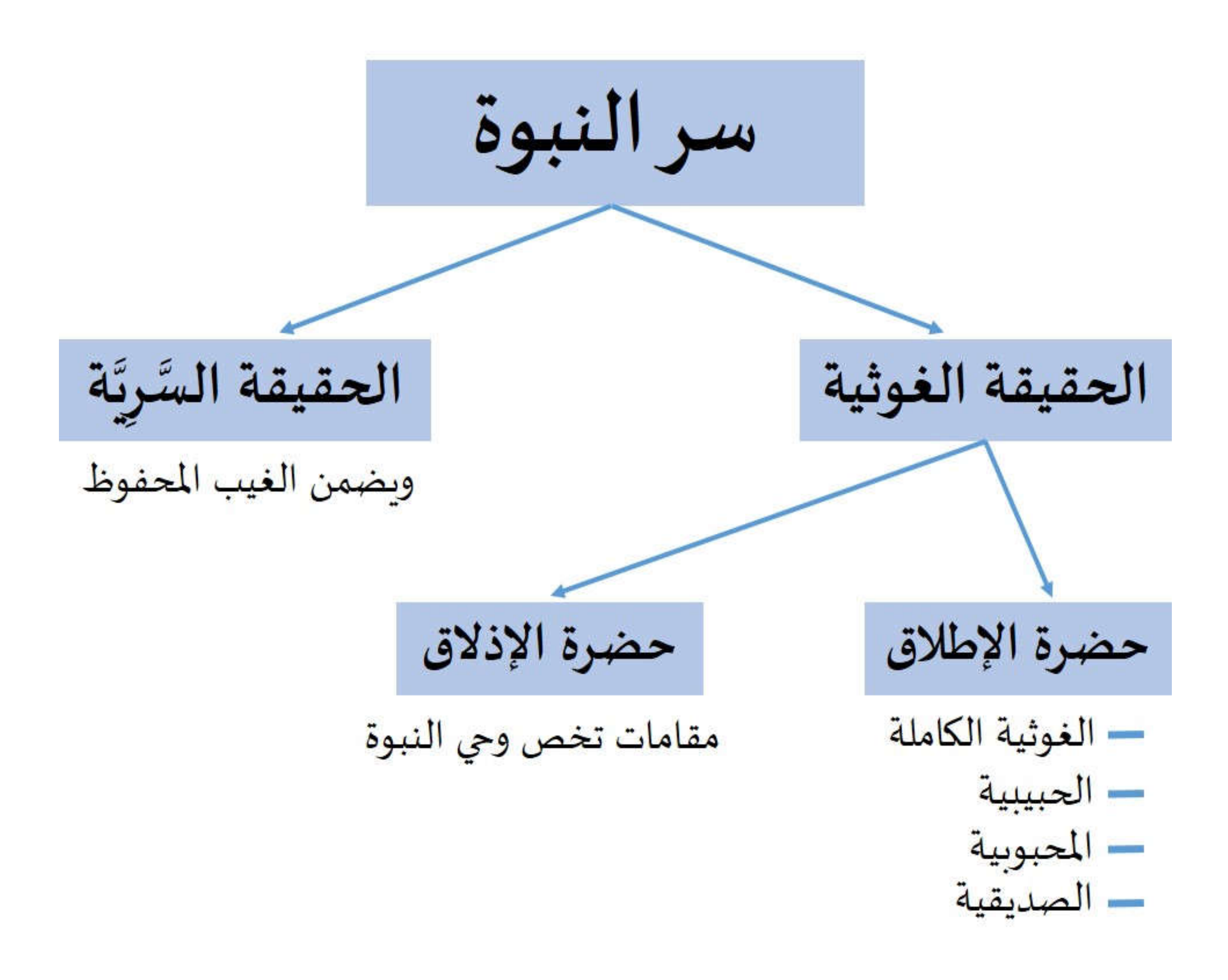
فمن الممكن ان يُفتح باب الصديقية وتحمل فيها أرواح المحسنين والحبيبية كذلك لكن الغوثية فيها حقيقة واحدة من سر النبوة الواحدة، والغوث ليس هو

القطب والقطب لا يمكن أن يصبح غوثا، لأن القطب يكون توجهه للخلق بالله أما الغوث فيكون توجهه لله بالله تعالى، وسنفصل الحديث بإذن الله عن مقامات الحقيقة الغوثية.

❖ مقامات الحقيقة الغوثية:

مقام الصديقية:

ويسمى بالمقام لأنه ضمن الحقيقة الكبرى، فهذا العلم الروحاني يوضح أن السر هو أول ما في هذا الكيان ومنه تتفرع الحقائق ولكل حقيقة حضرتها وفي الحضرة مقامات، فمثلا سر نبوة له حقيقتان حقيقة الغوثية وحقيقة السَرِيَّة (وهي من ضمن الغيب المحفوظ)، أما الحقيقة الغوثية ففيها حضرة الإطلاق وهي التي تحمل مقام الصديقية والمحبوبية والحبيبية والغوثية الكاملة ثم حضرة الإذلاق وفيها مقامات تخص وحي النبوة.



فالصديقية مقام في حقيقة الغوثية ويُقصد بها التصديق اليقيني الغيبي الكامل الأحمدي المحمدي الذي جُعل للخواص القلة من أمة سيدنا محمد ﷺ وخاصة من صحابة رسول الله ومن آل بيته إلى يوم الدين، وهذا يُعد المقام الأول من الغوثية لأنه تصديق بالمشاهدة الروحية ويكون فيه اتصال بعالم الأرواح حيث يكون تصديق بغيب الروح وتصديق بها قبل أن تبعث في الجسد، لذلك يُعتبر الصدق والتصديق من ميزات الصالحين لأنهم صدقوا بأرواحهم وشهدوا بنبوة رسول الله

قبل أن يُبعثوا أرواحا، فالتصديق أعلى من شهود الربوبية لأن الأرواح وُجب عليها ان تشهد بربوبية الله أما التصديق فكان طواعية وهذه نعمة لم تُتح للجميع لذلك نسبت الصديقية إلى النبوة فكانت مقرونة بها لأن شهود الربوبية والنبوة كان بطواعية ومحبة.

وقد يجود الله على بعض الأقطاب أو المشايخ الكامل اتصالهم به ﷺ برفعهم إلى مقام الصديقية لكنه حال خاص وناذر جدا، وقد يرفع عبد إليها من المريدية مباشرة دون أن يمر عبر المشيخة ولا بالإرشاد فيعيشون منعمين في مقام الصديقية، وهو مقام أعلى من العبودية فالعبد لا يتصف بالصدق إلا بعد أن تتصحح نيته ويصفو مقصده ويعبد الله باليقين والمشاهدة وهذا لا يحدث بمجرد شهادة الاسلام ولا بأركانه ولو كان ذلك لكان كل المسلمين صديقين، لكن الوصول إليها يتطلب سبل ومناهج من بينها السلوك عبر الصِدِّيق الذي خصه الله بها، فالأستاذ لا يصبح أستاذا إلا عن طريق أستاذ معلم، وهته المقامات ليست مقصد في الحقيقة إنما هي جود من الله تعالى على من اختارهم وخصهم به والعبد لا يدرك مقامه إلا إذا كان سينفع به الخلق أما غير ذلك فإنه يرى نفسه في أرض العبودية مهما وصل من المواصل.

ونشير إلى أن الفرق بين الصدق والصديقية أن الصدق يحصل بين المؤمنين أو بين الأم وابنتها أو الأخت وأختها، أما الصديقية فهي بين العبد وربه ورسوله ﷺ،فقد يتصف العبد بالصدق لكنه ليس صديقا ولا يمكن أن يكون صديقا دون أن

يتصف بالصدق، لأن الصديقية تحتاج لصفة الصدق أولا ثم للصديق الذي يوصلك إليها.

وهو مقام يتحقق به الغوث قبل أن يستقر حاله في مقام الغوثية ويمر به ويُسقى منه إلى أن تحمل روحه أسرار ذلك المقام فيصبح من إذنه ايصال العباد للصديقية. وكما أشرنا من قبل فإنها مقرونة بالنبوة أي أن بابها والوصول إليها لا يحدث إلا به ﷺ روحا و ذاتا، حيث إنه لا يمكن الاكتفاء بالإذن الباطني والاستغناء عن الإذن الظاهري فهذا ليس كمال، وحتى ولو كان حق فإنه لا يُعترف به في مجال الدين، لذلك فإن الإذن الصحيح هو ما يؤخذ من الباطن والظاهر وهذا الظاهر يتمثل في الشيخ الحي الكامل المكمل.

فلا يمكن الاحتجاج بإذن الباطن فقط ولا اتخاذه سلطانا ولا حجة بل ولا يعتبر إذنا حتى، لأنه غالبا ما يكون من فعل الشيطان أو من مؤامرات النفس، لذلك جُعل الكمال في الباطن والظاهر و جعل كل مقام وصفة ووصف يحتاج لإذن ظاهري وباطني، وكذلك الحال بالنسبة لمقام الصديقية.

◻ مقام المحبوبية:

وهو ثاني ما يحصل بعدها، بحيث ينتقل الحال من التصديق إلى المحبة فتتجلى على العبد بالفيض فتُغنيه على العالمين، وهو مقام بداية التجرد وهو ليس تجرد من أرض العبوية إلى سماءها كما ذكرنا حول القطب وليس التجرد من المهام والتكليف والإذن بل هو تجرد الوجود من الوجود فيعود وجوده إلى أصله الذي هو المحبة فتفيض عليه وهذا ما يُمَكِّن المحبة منه فيصبح مقامه مقاما للمحبوبية وهذا ما يجعل استمداده من الأسماء الحسنى والصفات العليا أكمل وأصفى وأقرب لأنه يستمد منها بسر النبوة وهذا ما ينقل من حال الوصف إلى حال الاتصال.

فالمحبة كما قيل هي الوجود وسببه، وهذا الوجود يوجب الفناء فيه فيعيش الغوث في هذا الحال بفناء الوجود عن الوجود وهو مرتبة عالية من الفناء وهي ما تسمى بالمحو، فحتى وإن نظرت إلى وجوده مستقلا على الوجود لا تراه وإذا رأيت الوجود كله تراه فيه لأن هذا المحو يجعله لا شيء في كل شيء.

ومظاهر الوصف فيه تمر إليه عبر مقام المحبوبية حيث لا يكون واصل إلى التمكين بعد بل يكون في حال الوصف، والتمكين هو الاتصاف أي أن تتصرف الأسماء والصفات فيه وهذا ما يحدث في حال الغوثية الكاملة، أما مقام المحبوبية هو مجرد أخذ من أصل الوجود فيجعله روحا وذاتا في الوجود واحد وتمثل روحه بحملها

للوجود كله وذلك من شدة كبرها وتمثل ذاته بحمل الموجود كله وهذا من شدة وسعها إلى أن يصبح الوجود فيه فيحمله في ذاته وروحه وهذا ما يُعَرِّف الغوث بالزمان والمكان والحدوث والإحداث والخلق والإيجاد فيكون عارفا بالوجود وكل الموجودات وهذا من فعل المحبة فيه التي هي أصل الوجود، فيعيش في هذا المقام أحوال الإيجاد الأول منذ نفوذ الأرواح، فتبعث السماوات والأراضي فيه ومهما وصفنا كبر ووسع ذاته وروحه فلن توصف بحقيقة الأمر، وبهذا الحال يتحقق بمقام المحبوبية والفرق بينهما أن الحال يُعرف بتقلبات الشأن أما المقام فيُعرف بثبات الشأن.

▫ مقام الحبيبية :

وهو بداية التمكين، حيث ينتقل من التجرد إلى الخوصصة وبتجرده يجعله الله مجردا من الوجود وموجودا في وجود الله تعالى فتكون حياته عند الله أكثر من حياته بين الخلائق، فيكون بلا وجود في الوجود وهذا ما يجعله متمكنا من المحبة بعد أن تَمَكَّنَت منه، والمقصود بهذا أنه يصبح هو مقام الحبيبية أي حبيب الله وهذا من سر النبوة المتجلية فيه، فحب الله تعالى من عالم الدنيا ليس هو محبته في وجوده، والتحقق بالمحبة تحققا يجعلها تفيض منك ليس هو التحقق بفيضها عليك، فالفيض هو اتصال أما التحقق فيجعلها منك. حيث تكون المحبة هي أصل

الوجود في وجودها ويكون مقام الحبيبية هو أصل المحبة فتفيض على الوجود بالإيجاد من أصلها وتفيض على الوجود بالمحبة من مقام الحبيبية.

فالمشاهدات التي تحدث في المحبة هي ما يدور في مقام الحبيبية وليس أصلها لأن الإيجاد بعيد على أن تصل إليه روح أو بصيرة، فلكل شأن في الغيب مظهره في الحقائق وهذا المقام هو مظهر لشأن الإيجاد بالمحبة.

وهذا المقام لا يصله إلا من اختير للغوثية الكاملة ولا استقلالية له عنها لأنه تهيئ للتصرف الوجودي والكوني وتحدث به بداية الاتصاف خاصة بصفات الذات الأحدية أي أن الصفة تصبح فيه فيمد الوجود بها، وهذا المقام يورث صفة الرحمة، المحبة، اللطف، الحفظ، الشفاء، الود، العطاء.

فالغوث هو من يُنقل من حال الإرشاد إلى حال التصرف ومن خدمة الخلق في الظاهر إلى خدمتهم في الباطن، والقطب كذلك لكن الاختلاف يظهر في كون القطب وسيلة للتصرف أما الغوث ففيه يحدث التصريف بتمكين حاله من مقامه وهذا عبر المقامات التي سبق ذكرها بين الصديقية والمحبوبية والحبيبية والمقامان الأخيران يعرفان ارتباطا من نوع خاص بحيث لا يمكن أن يتحقق بالحبيبية دون أن يمر بالمحبوبية لأن التكمين لا يحصل إلا بعد تمكن الحال، فمن تمكن من الحال حق فيه التمكين.

وعبر ما ذكرناه من تفصيلات نوحد القول والتفسير في المقام الأكبر.

◻ الغوثية الكاملة:

وهي المقام الأخير الذي يحقق الغوث بحقيقة الغوثية، وسمي بالكامل لأنه استوفى شروط الصديقية والمحبوبية والحبيبية وبهته الشروط تفتح له أبواب التصريف فينقل من التصرف إلى التصريف، والفرق بينهما أن التصرف يحدث في الشخص فنقول تصرفت القدرة عبر الشيخ أي يفعل الفعل فيه أما التصريف فيعني أن يؤتى مفاتح التصرف فيُفعله بما أراد ومتى استوقفه الحال على ذلك، لذلك يعتبر الغوث من أكبر الأسرار والحقائق المتصرفة في الكون وعبر تصريفه تكتب الأقدار المشروطة وتمسح التنزلات المهيبة وعبر روحه تكثف الرحمات بالسكنات، فيكون وجودهم هو الوجود وتفعيله، وهذا يحصل في مجالس الديوان الخاصة، لأن منها ما هو خاص لكن يؤذن للبعض في حضوره ومنها ما هو جد خاص وذلك بالتسيير الكوني وبعالم المشيخة والإرشاد فيحكمون في الأمور العظيمة ويتصرفون بإذن الفعل.

❖ مجالس الديوان:

ومجالس الديوان هي الحلقات التي تجتمع على شؤون الأمة ويحضر فيه رسول الله ﷺ في بعض الحالات التي سنذكرها، ويحضر فيها بعض من الصحابة الذين كلفوا بهذا التسيير الكوني وتحققت فيهم الصديقية أو المحبوبية أو الحبيبة ويحضرهم الأقطاب والغوث وبعض من المشايخ وأولياء الزمان أو أولياء البرزخ.

أصناف مجالس الديوان ومهامها:

- كما قلنا فإن لهته المجالس حلقات لتدارس شؤون الأمة والدعوة إلى الله وهي غالبا ما تكون مفتوحة لكل أصحاب التكليف سواء في الظاهر أو الباطن حيث تدون مجالسهم والمشاكل التي يتدارسونها والحلول التي يرجونها عبر ملك مكلف بالكتابة، ثم ترفع لحضرة الديوان الكبرى.

-وتوجد مجالس خاصة يحضر فيها القلة من المشايخ والأقطاب ويترأسها الغوث ويكون مفادها التسيير الكوني العام بما يشمل الإنسانية والخلق بشكل كامل ويتدارسون ما اجتمعت عليهم المجالس السابقة بحكم الفعل فيقررون وتدون أحكامهم في ألواح الحفظ وهته المجالس لا يحصل فيها التصريف بل تكون مكلفة بالحكم في شؤون العباد والوجود.

- وهناك مجالس جد خاصة وتكون بين الأقطاب والغوث حيث يحدث التصريف الكامل وغالبا ما تُعقد قبل الفجر ويتنزل التصريف عند بزوغ الشمس وهذه قاعدة قابلة للاستثناء في حالات خاصة. ومهمة الغوث تتجلى بتصريف القدرة في تطبيق الأحكام وتفعيلها وكل هذا من إذنه ﷺ،ونشير إلى ان المجالس التي يحضرها رسول الله ﷺ تكون حول الأمور التي يحرص عليها ويرعى أمرها بشكل مباشر ومن بينها بيوت الله التي يذكر فيها اسم الله واسم رسوله بالخدمة والطاعة والدعوة إلى الرسالة فيكون حضوره ﷺ من باب الكمال حيث يرعى شأن الأمة عن قرب فيختم على قرار المجلس ويرجع للغوث للتصريف فيه.

خصائص الغوث:

إن عالم الروح الغيبي والنور الباطني عالم مستقل عن الوجود ومتصل به اتصال يجعلهما واحدا لكنه يخفى عن معظم الخلق ولا يراه إلا قليل وهذا من حكمة الله تعالى التي جعلها سارية في الكون، فخص نبيه بفتح باب الكرامة وإظهار طريق الوصول وتوضيح أهمية الوسيلة، وخص الغوث بالتصريف والقطب بالتصرف والمرشد بالإرشاد والشيخ بالتربية السلوكية وكلها تفرعات من رسالته ﷺ خدمة للخلق.

ومن خصوصية الغوثية أنها حقيقة لا تتحقق إلا في الأحياء بالروح والأجساد ولو كانت من فعل الروح لاكتفى ﷺ بذلك وهو أقدر، لكن السر الكامل جعله الله في الحي بالذات والروح وهذا من كمال الحي المحيي، والغوث الذي ينتقل إلى جناب الله يُرفع عنه هذا التكليف وينسب للحي القيوم الذي يجتبي إلى حضرة الغوثية من يريد من جديد، وضرورة الحياة والمعاصرة والبشرية ليست خاصة بالغوث فقط بل بكل المهام التي تخدم الخلق لأن للوجود وجهان ولمن يخدمه يجب أن يتحلى بالوجهان وهذا هو اتصاف الكمال.

وللغوث أيضا أن يجمع بين الإرشاد والتصريف وهذا في حال الشيخ المحمدي فقط لأنه يحمل جزءا من سر النبوة الذي بذاته يحمل حقيقة الغوثية فيعيش بالإرشاد والتصريف، وله حال المرشد مع الخلق وحال التصريف مع الله تعالى وهي أعلى المقامات وأقربها إلى الله تعالى، والتي تجلت في سيدنا محمد ﷺ فقط فكونت منه المحمدية للعباد والأحمدية لله، كذلك الغوث جعل له الإرشاد وجها للعباد والتصريف وجها للمعبود وهذا هو الصنف الأكمل الذي يأتي بعد الأنبياء والرسل، ويسبق الشهداء والصديقين والصحابة لأنه تحقق بالوجهان وهذا من النادر أن يحصل في شخص واحد إلا في حال اجتمع فيه كمال النسب المحمدي وكمال الإذن المحمدي فيستمد من الحقيقتين ليتصف بهما.

❖ مهمة الغوث في الوجود:

سنذكر منها ثلاث تجمع في سرائرها وظائف العيان والبيان .

- فهناك مهام تُحصر في مجالس الديوان كما قلنا، وهي مهمة التصريف، فكيف يحدث هذا التصريف؟ ولماذا جعل للغوث وحده؟ وكيف يستفيد منه المريد أو العبد؟

التصريف مهمة تأتي بعد التصرف الذي بدوره يأتي بعد الإرشاد الروحاني، وتحدث بالحدوث الفرداني في وحدة الله تعالى، لأن من التنزلات والتجليات ما تستلزم ذاتا حية تُطيق ثقل التنزل مهما كان يحمل وهي أحوال تحدث في ليلة القدر وكل الليالي الوثرية من أواخر شهر رمضان وفي ليلة الإسراء والمعراج، ونصف شعبان وليلة تجديد عهد الربوبية وليالي تنزل الأقدار.. فلكي يتحقق الوجود بكرامات هذا التنزل يحتاج إلى إناء يسعه ويحمله وهو ذات الغوث لذلك فإنه الوحيد الذي يسعها لأن ذاته اتصفت بأوصاف ذات الله فأصبح التمكين فيها أكثر من الإعجاز.

ويحصل التصريف غالبا في الروح ويُنقل منها إلى الذات عبر حياة الذات البشرية المتحققة بالاتصاف الأحدي، فيكون الاستمداد من فعل القدرة مباشرة على الروح دون واسطة لأنها هي الواسطة، ونمثل ذلك في الرزق، حيث يظهر الرزاق في روح الغوث ومنها تُفتح أبواب الرزق وخزائنه أي أن تصريف الرزق حدث في روحه وتجلى

على الوجود بذاته فكان هو المتصرف في اسم الله تعالى الرزاق، هذا أقرب وصف لحال التصريف الذي يقف على الروح والجسد بشكل متكامل.

وللمريدين والعباد شكل خاص من هذا التجلي بحيث أن مدد الله يجعل الرزق يصل من الذات إلى الذات، فمثلا مجالسة الغوث تجعل الجليس يسقى من ذلك الاسم دون واسطة توصل له الرزق وهذا في حد ذاته خرق للعادة حيث يتجلى الاسم دون واسطة لكنه حال ناذر تظهر فيه الكرامة لمقتضى التثبيت او لإظهار حق الله تعالى. فمجالسة الغوث بالأشباح تكون غالبا بوجه الإرشاد وهذا أنفع للمريد، لأن الغوث الذي تحقق بالتصريف فقط فإنه لا يظهر للخلق وتبقى ذاته مسخرة للتنزلات مخفية عن عيان، أما الذي جمع بينهما فغالبا ما يجالس الخلق بالإرشاد لأنه الحال الأنفع لهم وخصوصية التصريف تبقى للباطن وقد ينال منها المُجالس المقصد إذا تحققت فيه بعض الشروط منها عدم الاختبار والتسليم.

- ومن مهام الغوث الخاصة بعالم المشيخة والإرشاد هي توزيع المهام الكونية وتجديدها وإحياءها حياة كاملة بعد أن عوهدت في عالم الأرواح فقط، فيخصص لكل شيخ مهمته وما يطيقه إذنه ويوجه كل مرشد لمريديه وأرواحهم ويجعل لكل إذن حامله ولكل حامل زمانه ومكانه، ومن موجبات ذلك أن يكون عارفا بالتكليف ذائقا له متصفا به، فلهذا الوجود المستقل نظام خاص ومرجع خاص بحيث ترفع المشاكل

الكونية للغوث أولا ويرى منها ما يرفعه لحضرته ﷺ وهو بذاته يرجع للغوث شؤون التصريف والتحقيق.

ولهته المهام الوجودية تدرجات من بينها البعث والإحياء والخرق، والكرامة والوصف والمبعوثية والحكم والقضاء وغيرها من الأحكام التي يُقضى أمرها وحكمها في الأرض قبل السماء والتي تناقش في مجالس الديوان وفي خلوات الإحسان.

- والمهمة الأخيرة والوظيفة الجامعة والكاملة تتجلى في حقيقة الوجود المنطوي على عوالم الغيب وهو ما يفصل بين الثقلين وما يجمع بينها حيث تمثل روح الغوث الفالق النوراني الذي يَرى ولا يُرى وكل من ارتبط بروحه يتحقق بهته الخصائص، فالعديد من الكرامات التي يعيشها المشايخ هي من الغوث الذي يستمد المعجزة منه ﷺ،فيكون حاله من حال رسول الله ﷺ وتجليات الله على رسوله روحا يعيشها الغوث ذاتا ليصبح بذلك أقرب لسر النبوة بما تحمله الذات المحمدية فيخدم الخلق بالوجه الذاتي لسيدنا محمد بحيث تستمد الأرض من نوره والشمس من ضياءه والأمطار من رحماته والجمادات من ذكره كما كان حال ذاته ﷺ وهذه الحقيقة مكشوفة لوجه الروح، بحيث أن أرواح العالمين كلها تميز نوره وتعرف ذاته لاتصافها بذاته ﷺ فيعيش بالذات المحمدية ما عاشه ﷺ ذاتا، أما الروح فهي كانت ولا تزال وستظل لسر النبوة ولخالقها.

❖ الغوث الجامع بين التصريف والإرشاد:

فالغوث الكامل المكلف بالإرشاد والتصريف لا يجعل اتصاله بمريديه اتصال غوثية ولو كان ذلك لأفناهم نورها وذابوا في الأرض قبل أن تخرج أرواحهم بإذن الموت، إنما يتصل بهم من جهة الإرشاد ويبقى الإرشاد حجابا للمريد إلى أن تكتمل تربيته اكتمال مريدية فيرى بعضا من هته الحقيقة التي توصله إلى الله وصولا كاملا وحقيقيا.

وفضل هته الصحبة تظهر في وصول المريد ودخوله إلى الحضرة المحمدية والحضرة الأحدية في وقت وجيز ولا استحقاقية له في ذلك بل هو من تأثير التصريف على الإرشاد المستتر في باطن الغوث، فإذا وجد المريد من يدله على الله بهذه الدلالة فليلزمه وهو طائع تائب مصدق.

هذا من أكمل أوجه التربية وأرقاها حيث يجد المريد كل حاجته في شيخه فيكفيه عن غيره كفاية العلم والمعرفة والتربية والقرب والسلوك والروحانيات وتكون صحبته صحبةً لرسول الله ﷺ لأن ذاته تحققت بالحياة المحمدية فإن بايعه فإنه يبايع رسول الله ﷺ وإن أطاعه فإنه يُطيع أمر رسول الله فيعيش المريد عيش الصحابة رضوان الله عليهم داعين لمنهج رسول الله على بصيرة من أمرهم موقنين بحقيقة ربهم.

وهذا المقصد الأكبر من وجود المشايخ والأولياء والأقطاب فإذا تحقق فالحمد لله على فضله وتسخيره.

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

وبهذا نختم ولله الحمد هذا الفيض الذي عمنا ونحن عباده المريدون لحضرة قربه ومرضاته. ولعل هته المعرفة النورانية الربانية تحقق المريد بمعرفة الأساس الأول والأخير في السير إلى الله وهو الشيخ الفتاح الذي يفتح باب الوصول للمقصد ويوصل كل طالب لمطلبه وكل باحث لمبحثه.

فهَمُّنا أجمعين هو الوصول إليه تعالى بما يرضيه وأقرب الطرق لذلك هي اتخاذ الشيخ المعين على تربية الأنفس وعلاج الأرواح، صاحب الإذن المحمدي والسلطان الالهي واللطف الرباني والكمال التربوي، من جعله الله نور النور الذي نميز به النور عن الأنوار وتُحمل في روحه أرواح المريدين والأخيار.

وكل ما قيل فيه نفع للمريد سواء كان في بداية سيره أو في نهايته لأن المقصد من هذا هو تصحيح الفكر وإظهار الحق، ونرجو من الله تعالى أن يفتح بصائرنا على مشايخ الفتح ليعمنا فضل الله أجمعين ما دمنا على العاهد ثابتين ونلقاه وهو راض عنا كل الرضى؛ فاللهم صل على محمد الولي الإمام المختار، محمد الوالي المرشد الطبيب صلاة كاملة من كماله وطيبة من جماله تفتح البصائر المنطفئة والعقول المتحجرة والقلوب الجافة وعلى آل الارشاد المحمدي والإصلاح الديني وسلم تسليما. والحمد لله رب العالمين.

فهرس الكتاب:

☐ ذات الشيخ كنز ظاهري تنتفع به الأكوان:..ص:

☐ الفرق الأجم بين الذات والروح هو أمر التجلي:...ص:

سر الشيخ:...ص:

☐ ما هو السر؟...ص:

☐ خصوصية الأرواح الحاملة للسر:..ص:

قلـب الشيـخ:...ص:

السلسلة النورانية المحمدية:.......................................ص:

الذات الوارثة:...ص:

مشايخ أهل النور:..ص:

مشايخ التبليغ:...ص:

الشيخ العارف:...ص:

❖ أقسام معرفة الشيخ العارف:..ص:

- معرفة الذوق:...ص:
- معرفة الحس:...ص:
- معرفة المحسوس:...ص:

❖ أقسام المعرفة بالشيخ العارف:..ص:

- المعرفة بمقام الشيخ العارف:...ص:
- المعرفة بسر الشيخ العارف:...ص:
- المعرفة بإذن الشيخ العارف:..ص:
- المعرفة بمنهج الشيخ العارف:...ص:

الشيخ الواصل المُوصِل:..ص:

- **الشيخ الواصل:**...ص:
- **مدارج الشيخ الواصل:**...ص:
- **الفرق بين التوصيل والإيصال:**...ص:

5) التحرر من التعلقات الدنيوية بتحرر الروح من قيود الجسد:.....................ص:

6) امتلاء الروح بالأنوار الذي ينشط الذات على العبادة:.............................ص:

7) العيش بها في الدنيا قبل الآخرة:..ص:

❖ أدوار المرشد المأذون بعد فتح بصيرة الروح:.................ص:

1) تأمين الروح وتحصينها إذا ما خرجت لعالم مجهول غير معروف :............................ص:

2) تصحيح نية المريد وقصده من سفره:...ص:

3) وصل المريد برسوله أولا:...ص:

4) مَنْهَجَة المعراج وإعطاءه شرعية محمدية وحقيقة أحمدية: :................................ص:

5) توجيه المشاهدات وتفسير الرؤى وتوضيح الخطابات التي تُسمع ومصدرها وأصلها...ص:

6) أن يؤتي الإذن منه ﷺ في الإرشاد: :...ص:

❖ الرابطة الروحية: تعريفها ووظائفها ومستوياتها:.....ص:

☐ **تعريفها** ....ص:

☐ **وظيفتها في السير إلى الله:**...ص:

☐ **مستوايات الرابطة الروحية:**:..ص:

▪ الارتباط القلبي: :...ص:

الغوث